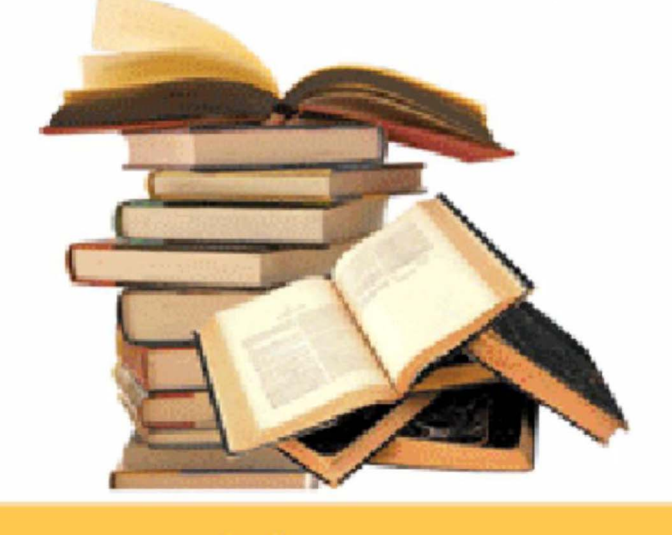
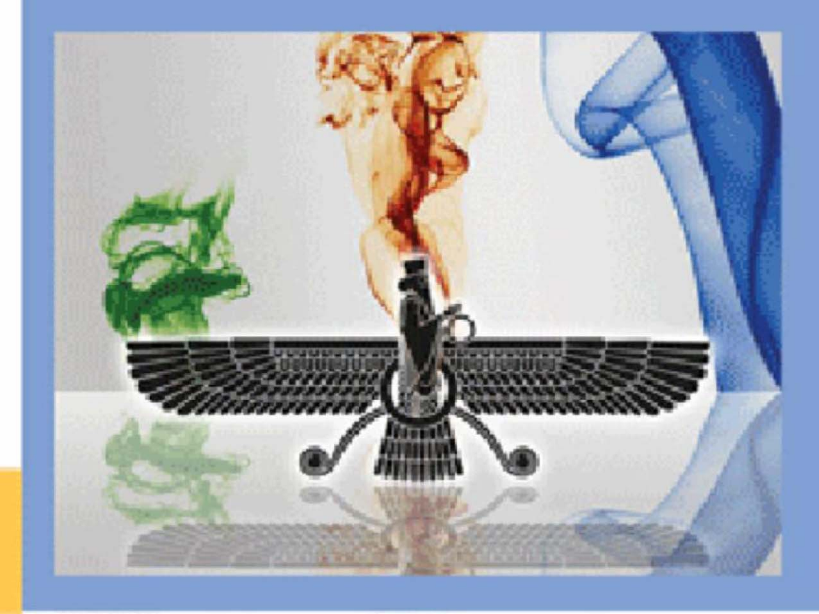


الزرادشتية واليزيدية تقابل أم تدابر؟





محمد ضاهر





الكتاب: الزرداشتية واليزيدية تقابل أم تدابر؟

التّأليف: محمد ضاهر

تصميم الغلاف: باسمة عرفة

الإخراج الفنّي: عبد الله الكردي

الطّبعة الأولى: تموز 2010

النّاشر: دار **الأوائل** للنّشر والتّوزيع والخدمات الطّباعيّة

سورية - دمشق - ص ب 10181

هاتف : 00963 11 44676270 / 00963 11 54890170

فاكس : 00963 11 44676273 / 00963 11 54890173

جوّال : 00963 933 411550 / 00963 933 327951

00963 988 629948

البريد الإلكتروني: *alawael@scs-net.org*

موقع الدّار على الإنترنت: *www.daralawael.com*

الفهرس

الإهداء

أُهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا إلى:

- والديَّ العزيزيَن اللّذَين غرسا فيَّ حبَّ التديُّن والعلم والمعرفة.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

- كما أهديها إلى قرَّة عيني – زوجتي – «أم سينم» التي كان لها القسط الأوفر في إنجاز هذا الكتاب من تشجيعٍ ونصائح.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

تمهيد:

الإنسان ذلك المسكين الذي تبرَّع ورأى في نفسه الكفاءة في حمل الأمانة التي تنوء بحملها الجبال والتلال والسماوات، نعم؛ تحمَّل الإنسان أمانةً فوق طاقته وقدرته، في وقت عرض اللهُ الأمانةَ على السماوات والأرض والجبال ... وهي فعل المأمورات، وترك المنهيات، فالسماوات والأرض والجبال رفضن هذه الأمانة، وخفن أنْ لا يحقِّقن مراد الله تعالى، والغريب أن هذه الأمانة عندما تمَّ عرضها على الإنسان لم يتردَّد في قبولها، وظن أنه قادر عليها، بل - أحياناً - يتملَّكه الغرور، ويُخيَّل إليه أنه قادر على تحمُّل أكثر من هذه الأمانة، لكنه كان ظالماً نفسه وجاهلاً بحقيقة صعوبة وضراوة هذه الأمانة على النفس. قال الله تعالى في شأن هذه الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[1].

يا رب؛ عندما عُرضتْ علينا أمانتكَ، وكنتَ عالماً بضعفنا، وكنتَ تعلم أننا ظلمنا أنفسنا بقبولنا إياها، فإنْ لم تعينا على أدائها، فلا طاقة وقدرة لنا عليها، فنحن الضعفاء، لا نستطيع مقاومة أهواء أنفسنا ونزعاتها، فكيف وأنتَ جعلت للبشرية خصماً قوياً يزيّن لهم الشهوات والآثام، ويحرِّضهم، ويؤلِّبهم على هتك حرماتكَ، وارتكاب المعاصي، ألا وهو «الشيطان»؟ فكيف السبيل للتغلُّب على هذين العدوَّين «أهواء النفس ورغباتها اللامتناهية، والشيطان وأعوانه»، وكلاهما عدوان مضلان؟

يارب، امنحنا إرادة وقدرة قويتن لكبح جماح النفس ودحر الشيطان.

البحث عن الحقيقة هو صلب اهتمام الإنسان وجوهره، منذ أن خلق الله هذا الكون، فحتى الأنبياء - قبل بعثتهم - كانوا يعتزلون الناس، ويخلون بأنفسهم بعيدين عن أعين الناس، ليتدبَّروا في حقيقة ملكوت السماوات والأرض، وليدلُّوا بتأمُّلهم في خلق الجبال والبحار والسموات إلى حقيقة خالق هذا الكون وهو «الله»، ولكن غرور الإنسان بنفسه يصوِّر إليه أنه قادر بعقله على إدراك وفهم كل شيء، وهو لا يدري إنْ تُرِكَ لعقله فحسب لمعرفة الله ومنهجه، بدون الاعتماد

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 72.

على نقلٍ صحيحٍ ضلَّ وأضلَّ، وزاغ عن جادة الصواب، أَلم يترك الله الكثير من الأمم على فترة من الزمن من غير رسول مرسَل، فماذا كانت النتيجة؟ عبدوا الأصنام، وصيّروا لأنفسهم آلهة وأرباباً متفرِّقةً ومتعدِّدةً، فجعلوا من الشمس إلهاً، ومن القمر إلهاً، ومن النجوم آلهة، وقسم آخر: أنكروا وجود الإله، وانغمسوا في المحرَّمات والمعاصي، إلى أن أتى على الإنسان حين من الدهر، حتى أباحوا لأنفسهم زواج المحارم كالأخت، وفي بعض الحضارات كان الابن الأكبر يتزوَّج من أمه بعد وفاة أبيه... ولهذا؛ كان العقل بمفرده عاجزاً عن إرشاد صاحبه على الله سبحانه وتعالى، إنه في الزرادشتية هو «أهورامزدا».

أَ لم يقم سيدنا إبراهيم بالتجربة الإيمانية الناجحة، كي يكون برهاناً ساطعاً ودليلاً قوياً ضد الذين كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب؟ ماذا حدث مع سيدنا إبراهيم؟ فلما أظلم عليه الليل رأى نجماً مضيئاً قال: هذا ربي، فلما اختفى، وغاب بعد ظهوره، ماذا قال؟ قال: لا أحب «الآفلين» لظهور عجزه، وهذا ليُفهم قومه أن هذا النجم العاجز على البقاء أقل شأناً وقدراً لأن يكون إلهاً يُعبَد. وتحتدم التجربة الإيمانية أكثر عندما رأى القمر «بازغاً» طالعاً منتشر الضوء، قال: هذا ربي، فلما غاب القمر، وعجز عن البقاء في كبد السماء، ردَّ إبراهيم على قومه قائلاً:كيف يكون المخلوق العاجز على البقاء إلهاً، إذنْ؛ أمره ليس بيده، بل بيد مَن خلقه – الله – لذا؛ لا يصلح أن يكون إلهاً يُعبَد،وطلب من ربه، وليس من غيره الهداية، والصواب، والثبات، وهذا ردّ على الذين قالوا بأن إبراهيم عبد القمر أو الشمس. ويتجلى عدم حقيقة هذا القول من قول إبراهيم؛ حيث قال: ﴿ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ . وتستمر التجربة أكثر فأكثر، وخاصة عندما رأى الشمس «بازغة» طالعة قوية النور، إنها أكبر الكواكب جرماً، وقال: هذا ربي، هذا أكبر، لكنْ؛ سرعان ما زالت الشمس، واختفت، وقال أيضاً: لا يستحقُّ هذا الجرم أن يكون [رباً]، وقال: إني وجَّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض؛ أيْ خلقهنَّ، وجَّهتُ قلبي وروحي إلى الله، ومائلاً عن الأديان الباطلة والعقائد الزائغة. قال تعالى مفصِّلاً هذا الحوار: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ

عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.[1]

والفاجعة أن الإنسان بعقله وحده لا يهتدي، وإذا أرسل الله إليهم الرُّسُل مبشِّرين ومنذرين أعرضوا وتكبّروا على قبول الحق والحقيقة - دعوة الرُّسُل -. ويخبر رسول الله ﷺ أن الله - تعالى - من رحمته بعباده أرسل 120 ألف نبي، واصطفى منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً... ولا يوجد بين أيدي الناس الآن 317 رسالة سماوية؛ لأنها ضاعت. ولذلك تعهَّد الله بحفظ هذه الرسالة الخاتمة. والقرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظة بين أيدي الناس اليوم كلمةً كلمة وحرفاً حرفاً، ولذلك: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[2]، وهو المهيمن على ما تقدَّم من الكتب، ولكون دعوة الرُّسُل والأنبياء تعارض أهواء البشر ونزعاتهم الشهوانية والنفسية، لذا؛ لا يقبلونها استكباراً وعُلُوّاً، والنتيجة: أن تاهوا في الضلال وظلمات الجهل، لذلك كان أمر الإنسان عجباً منذ الأزل، فالعقل وحده لا يهتدي، ومع الرُّسُل يقابلونه بالرفض والإنكار، لا إلى هذا، ولا إلى ذاك.

وفي هذا الكتاب سنتناول المقارنة بين الزرادشتية واليزيدية من حيث المنشأ والأصل، وكذلك من حيث الكتب المقدَّسة لديهم، وكذلك جانب الأحكام والتشريعات.

وعندما نتحدَّث عن تشريعاتهم وأحكامهم في هذا الكتاب ليس المراد منه هو التقليل من شأن أحد أو إهانته أو طعناً في حقٍّ أي من الملَّتين، وبالأخصِّ الملَّة اليزيدية، لأن الطعن

---

(1) سورة الأنعام، الآية 75 حتى 79.

(2) سورة فصلت، الآية 42.

والإهانة في حق الآخرين منهي عنه في شرعنا الحنيف نحن المسلمين بأمر من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1]؛ أيْ لو أنكم وجدتم طائفة أو ملّة يعبدون البقر أو العِجل فلا تسبُّوا وتشتموا أبقارهم وعجولهم، دعهم وما يعبدون، كي لا يردُّوا عليكم بالمثل، ويشتموا مقدَّساتكم، علاوة على هذا وذاك، فإن هذا الخُلق ليس من شيم الرجال، والذين هم أهل التقوى.

ما نتناوله في هذا الكتاب عن اليزيدية إنما هي حقائق واقعية، يمارسها اليزيدية في حياتهم اليومية، لو أننا قلنا إنهم – على سبيل المثال – يقدِّسون الشيطان «ملك طاووس»، فهذه ليست إهانة في حقِّهم، وإن هم اعتبروها إهانة، فليتخلوا عن ملكهم طاووس، وكذلك السناجق التي هي على شكل ديك يشير إلى «ملك طاووس»، وعندما نتحدَّث عن الشيخ عدي بن مسافر، وأنه كان رجلاً مسلماً متصوِّفاً، فهذا يكون بشهادة المعاصرين، أو الذين كانوا قريب الميلاد من الشيخ عدي.

وما شجعني ودفعني للكتابة في هذه الشّعب؛ حيث إنني وجدتُ الكثير من الخبط واللغط لدى الكثير من الناس وحتى المثقفين منهم حول أصول ومنشأ اليزيدية، فوجدت أنهم لا يفرِّقون بين الزرادشتية واليزيدية؛ ويعتبرون اليزيدية غصناً من تلك الشجرة الزرادشتية المتفرعة الأغصان، والحقيقة غير ذلك بتاتاً، ومحاولة منا لتبين أن كلاً من الزرادشتية واليزيدية بينهما من الفروقات والاختلافات كالفرق بين السماء والأرض وبين الليل والنهار، واليزيدية لا تمت بأي صلة إلى الزرادشتية إطلاقًا، سواء من حيث الجانب العقائدي أو التشريعي والذين يعتبرون اليزيدية فرعاً من الزرادشتية لهدفٍ ومغزى واحد وهو إعطاء البُعد التاريخي لليزيدية.

ومع تتبُّعنا ودراستنا عن الزرادشتية وكتابهم المقدَّس «الآفستا» وجدنا أن أهمَّ ركن في دعوة زرادشت هو محاربة الشيطان الذي يُطلق عليه «أهريمان»، ولأنه يغوي ويضلُّ الإنسان وهو عدوّ مضلّ له، لذا؛ يجب على الإنسان عدم اتباعه، وتجنُّب السير في دروبه وشعابه، فهذا هو الجانب الرئيسي في عقيدة زرادشت .

---

(1) سورة الأنعام، الآية 108.

بينها اليزيدية تدافع - بضراوة، وبكل ما أوتيَتْ من قوة عن «الشيطان»، والذي يُسمَّى عندهم بـ (ملك طاووس)، ويسعون جاهدين في طلب مرضاته، ونيل رضائه، وهذا غاية سامية لدى كل يزيدي.

وشيء آخر جدير بالذكر؛ وهو عندما يتحدَّث الباحثون والمؤرِّخون عن أصول اليزيدية وإسلاميتها، وأنها انبثقت عن الإسلام، ثم حرَّفوا وبدَّلوا العدوية التي رسَّخ أسُسها وأركانها الشيخ عدي بن مسافر، تراهم - أيْ المدافعون عن اليزيدية، لا سيما الذين ينكرون إسلامية أصولها - يتشبَّثون بالجانب القومي لدى اليزيدية، ويظنون أن المؤرِّخين يجرِّدون اليزيدية عن كرديَّتها إذا نسبوهم إلى الإسلام، لذا؛ يقولون إن اليزيدية ذات أصول زرادشتية، كأنهم بهذا القول أثبتوا كردية اليزيدية: ألا يعلمون أن الزرادشتية - أيضاً - يُضَمُّ في صفوف أتباعها من الفرس والهند والأفغان وأذربيجان والكرد ... أي أن الزرادشتية ليست ديناً كردياً خالصاً، بل كما ذكرنا لكافة شعوب المنطقة بأسرها، ومن ضمنهم كان الأكراد، وليدركوا جيداً أننا لا نجرِّدهم من أصلهم وعرْقهم، بل نقول لا يوجد اليزيديون فوق ظهر هذا الكوكب سوى بضعة عشائر من الأكراد فحسب في جبال الهكارية والشيخان؛ أي ليس كل كردي يزيدياً، بل كل يزيدي كردياً. وإن هذه الطائفة لا يفتحون الباب أمام الغريب ليعتنق ملَّتهم، فهم لا يسمحون لأحد في اعتناق اليزيدية إلا مَن كان مولوداً من أبوين يزيديين، ولا يسمحون لأحد بالخروج منها، وبالتالي؛ فان اليزيدية حديثة العهد، لا يتجاوز عمر وضعها إلا بعد عام 555 هجرية.

وهذا الكتاب الذي هو ثمرة جهد متواضع مني يتناول في أول بحثه معنى النبوة؛ حيث بيّنتُ أن النبوة هي اختيار من الله واصطفائه بعض عباده، يختارهم لهذه المهمة، وأن النبوة ليست صفة مكتسَبة يكتسبها الإنسان بجهده وكدِّه وإرادته الشخصية.

ومن ثم؛ تناولتُ ميلاد زرادشت وتاريخه، وبيّنتُ أهم أراء المؤرِّخين الواردة في شأن زمن وعهد بعثته وميلاده.

ثم تناولتُ في مبحث آخر: هل زرادشت هو نبي مُرسَل أم أنه مصلح اجتماعي؟ مع تبيان أراء المؤرِّخين في هذا الخصوص.

وفيما يتعلق باليزيدية: بيّنتُ أصل اليزيدية، ومنشأها، وكذلك ذكرتُ اختلاف العلماء ورؤيتهم حول منشئهم. وتناولت «الشيخ عدي بن مسافر» في مبحث مستقل. وسردت الآراء حول هذه الشخصية وخلفيتها الإسلامية، وأنه كان متصوِّفاً مسلماً.

ثم قمتُ بالموازنة بين أصل الزرادشتية ومنشأ اليزيدية، ومن خلال المقارنة يتَّضح أن بينهما اختلافاً واسعاً وبَوناً شاسعاً، وأن المذهبين كليهما مستقلان عن بعضهما، وأن اليزيدية لا تُنسب إلى الزرادشتية في شيء، مع تبيان الخلافات في الجذور والمنشأ، وأيضاً من حيث وقت ظهورهما وعهدهما.

ثم تكلَّمتُ عن الكتب المقدَّسة لدى الزرادشتية واليزيدية، وأن الزرادشتية لديهم كتاب يسمَّى «الآفستا»، بينما اليزيدية لديهما كتابان وهما: «مصحف رش وكتاب جلوة»، ولا يتجاوز صفحاتهما عشر صفحات، وبيّنت أن الآفستا تلعن الشيطان، وتحاربه، بينما كُتُبُ اليزيدية تقدِّس الشيطان، وتعبده.

وفي المبحث الأخير تناولتُ جانب العقائد والتشريعات عند كل من الزرادشتية واليزيدية، وسيجد القارئ أنْ لا وجه للشبه بين تشريعات الزرادشتية وتشريعات اليزيدية، فكل واحد منهما في وادٍ مستقل عن الآخر، فالزرادشتية يعبدون «أهورامزدا»؛ أي (الله)، ويلعنون ويرجمون «أهريمان» أي الشيطان، بينما اليزيدية - بالإضافة إلى الله - فإنهم يعبدون ويتمنون القرب من ملك طاووس «الشيطان».

{ والله ولي التوفيق}

محمد ضاهر مصطفى/ عين العرب Beytucan@hotmail.com

النُّبُوَّة

في مستهل مؤلفنا هذا حريٌّ بنا أن نوضح مفهوم «النبوة» لنلاحظ - من خلاله - هل أنَّ أمر النبوة يعتمد ويكتسب على قدرات ومواهب ذاتية شخصية؟ أم أنها اختيار من الله عز وجل، يصطفي مَن يشاء من عباده ليكون واسطة بينه وبين خَلْقه؟ عندها سندرك أن أمر "النبوة" لا تكون إلا باختيار من الله جل جلاله، وليست - هي - ادعاء من البشر.

- النبوة: ومنه نبأ، وجمعه أنباء :الخبر لأنه يأتي من مكان إلى آخر.
- ومشتق منها النبوة، وهي : الإخبار عن الغيب أو المستقبل بوحي وإلهام من الله.
- أو الإخبار عن الله وما يتعلق به شأنه.
- ومنه، النبي أي المُخبر عن الله، وما يتعلق به، أو المخبر عن الغيب أو المستقبل بإلهام من الله.
- وجمعه أنبياء ونبيون [1].
- وكذلك نبأ الشيء ونبوءاً ارتفع وظهر، تنبَّأ بالأمر أخبر به قبل وقته.
- النبوءة : سفارة بين الله عز وجل وبين ذوي العقول لإزاحة عللها[2].
- وكلمة نبأ، النبي بالفتح والتشديد الياء، بلفظ النبي ﷺ.

وقد اختُلف في اشتقاقه: فقال ابن السكيت : هو من إنباء عن الله، فترك همزه، وقال وإن اتخذته من النَّبوة أو النباوة وهو الارتفاع من الأرض أي أنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز، وقيل النبي ما نبا من الحجارة إذا نجَلَتها الحوافر.

وقال الكسائي : النبي الطريق، والأنبياء طرق الهدى[3].

يتضح من هذه التعاريف السابقة أن النبي أو النبوة هو الإخبار عن الله، أو ما يتعلق به، أو عن الغيب أو المستقبل بوحي من الله تعالى .

---

(1) قاموس المنجد.

(2) معجم الوسيط.

(3) معجم البلدان بحث في كلمة النبي، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي.

والوحي : له أنواع عدة: فقد يكون بتكليم من الله لأحد أنبيائه من غير واسطة، كتكليم الله لموسى عليه السلام، أو يكون بواسطة الوحي (والمسؤول عنه هو جبريل عليه السلام)، وهذا في كل الشرائع والأديان، أو أن يكون بإلهام من الله تعالى إلى أحد رُسُله، أو مخلوقاته، كإيحاء الله إلى النحل، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]. فالوحي هنا كان عن طريق إلهام من الله إلى النحل. فهذه الأنواع الثلاثة من الوحي يندرج تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[2].

بناء على هذا أن النبي مهما كان شأن أتباعه من حيث القلة أو الكثرة يتحتَّم أن يكون مصدر أخباره، وأوامره ونواهيه، وأحكامه وتشريعاته من الله تعالى، وليس من الأشخاص والعلماء، ولا من الكتب السابقين، كغلام أحمد القادياني[3] الذي ادعى النبوة، وادعى أنه هو عيسى بن مريم، وأن الله خاطبه قائلاً : أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، وقال : يا أحمد؛ أنت مرادي ومعي يحمد الله من عرشه، وخاطبني قائلاً : إنكَ أنتَ المسيح بن مريم، وأُرسلتَ ليتمَّ ما وعد من قِبل ربكَ الأكرم. وادَّعى - أيضاً - أنه هو النبي الذي تنبَّأَتْ بظهوره أغلب الديانات السماوية في آخر الزمان، لكنه لم يدَّع أنه أُنزل عليه كتاب جديد، ومن الذين شجَّعوا هذه الدعوة الإنكليز لمأربهم ولحاجة في أنفسهم.

ومن الطرافة والعجب، ولحكمة إلهية بالغة، أنه مات بداء الكوليرا في بيت الخلاء على وجهه، في أبشع مكان سنة 1908م[4].

---

(1) سورة النحل، الآية68 و69 .

(2) سورة الشورى، الآية 51.

(3) للمزيد عن القاديانية انظر في كتب العقائد.

(4) كتاب العقيدة، إصدارات وزارة الأوقاف السورية.

فالنبوة والرسالة ليستا صفة مكتسَبة يكتسبها الإنسان بإرادته وذكائه وجهده، بخلاف الرياسة والحكم، فإنها تعتمد على قدرات وكفاءات الذاتية المكتسبة، لكن النبوة صفة يمنحها الله لمن يشاء من عباده المصطفِين، الذين يتمتعون بصفات ومزايا معينة، وأهم هذه الصفات الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة والعصمة عن المعاصي، وخلوّهم من الأمراض المنفِّرة والذكورة .

فليس من المعقول أن يكون الرسول مشهوراً بالكذب قبل بعثته، فالناس لا يصدِّقونهم في الأمور العادية، فكيف إذا تعلَّق الأمر بالغيب والمستقبل، فالأخلاقية العالية سمة لا بد منها لإنسان مرسَل من قبل الله تعالى. وكذلك لا يُتصوَّر أن يكون الرسول أبلهاً، أو بليداً أو حتى متوسط الذكاء. فمهمة الرسول لا تتمُّ إلا إذا كان أكثر الناس عقلاً وفطنة، كي يتمكن من إقامة الحجة والبراهين على خصوم دعوته وإقناعهم، وأن يكون ملتزماً في كل ما هو إليه داع ليكون أسوةً لغيره ومضرباً للمَثل، وإلا أ فيُعقل أن يدعوَ الرسول إلى شيء ويكون سلوكه مخالفاً لدعوته، كأن يدعو الناس إلى طاعة الله وهو يعصي الله، ويحث الناس على الصدق وهو بعيد عن هذه الصفة الحميدة؟. والرسول يجب أن يكون صابراً محتسباً أجره من الله فيما يتعرض له من الأذية والبلاء، لأن عملية التبليغ والدعوة إلى الله محفوفة بالعقبات والمخاطر والصعوبات، فهي لا تنأى عن الاضطهاد والتهجير من الديار، ولا يصبر على هذا إلا مخلص في دعوته، وصادق مع ربه.

وما من دعوة رسول ونبي إلا وتقوم على ركنيين اثنين، الركن الأول:

الإيمان بالله وحده لا شريك له، أي تفريد الله وتوحيده في العبادة وتنزيه الله عن كل العيوب والنقائص، ولم يختلف نبي أو رسول في هذا الأمر من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والإيمان باليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار. كل نبي من الأنبياء دعا قومه إلى الإيمان بهذه الأسس في أمور العقيدة، وهذا الجانب من أمور العقيدة لا مجال للاجتهاد ولا للتبديل والتغيير فيه في أي زمان ومكان كان، لأن الكون مفطور على هذه الأمور العقائدية الرئيسية، بناء على هذا؛ فدعوات الرسل كلها متمِّمة ومكمِّلة لبعضها البعض.

أمَّا الركن الثاني من دعوة الرسل والأنبياء؛ فيتعلق بالتشريع والعبادات، وهو سَنُّ الأحكام والقانون التي تنظِّم حياة الأفراد والمجتمعات، وهذا الجانب قد تختلف فيه بعثة رسول لآخر، لأن هذا الركن يعتمد على مدى تطور حركة الزمن والحياة، واختلاف أمة عن أختها. ويأخذ هذا الجانب حيزاً مهماً في اختلاف الأحكام، فأرسل الله رسلاً وأنبياء إلى عشيرة بعينها، فلازماً أن تكون تشريعاتهم محصورة ومعينة لمجموعة أفرادها ومراعية ومتوافقة مع عقلية وذهنية هذه المجموعة، وعن مدى تقدُّم ووعي أفرادها، وهناك نبي أُرسل إلى مجموعة معينة من الأفراد قد تكون أقلّ من العشيرة في محيطها. ونبي أُرسل إلى جنس وعرْق بعينه. فالتشريعات دائماً تكون مراعية نمط عيشهم ودرجة معرفتهم، وهذا الجانب من التشريع مرن؛ حيث يخضع للتبديل والتغيير، ولا حرج في هذا.

أنبياء الله ورسله مؤيَّدون بالمعجزات لتكون دليلاً وبرهاناً على صدق رسالتهم ودعوتهم، والمعجزة أمر خارق للعادة، يُظهرها الله على أيديهم؛ بحيث يعجز عقل الإنسان عن الإتيان بمثلها، أو حتى تفسيرها، لأن عقل الإنسان كطاقته محدودتين، أمَّا قدرة الله وحدها؛ فهي المطلقة .

وقد شرط "الأشاعرة "أن لا تتقدَّم المعجزة على الدعوى، فلو ظهرت آية أولاً وانقضت، فقال : أنا نبي، والذي مضى كانت معجزتي، فلا يُكترث به، إذ لا تعلُّق لما انقضى بدعواه، وكذا فإن التصديق "بمعجزة "قبل الدعوى لا يعقل ذلك أن المعجزة قبل الدعوة لا تكون أصلاً معجزة، ولهذا؛ فلو أن نبياً ادَّعى ما مضى معجزة له، فإنه يطالب بها، أي بالإتيان بذلك الخارق (يلاحظ أنه لم يقل بتلك المعجزة) أو بغيره بعد الدعوى، فلو عجز كان كاذباً قطعاً[1].

فالنبوة والرسالة فضل إلهي، وهبة ربانية، يهبها الله ويمنحها لمن يشاء من عباده، وهي لا تُدرَك بالجهد والتعب، ولا تُنال بكثرة العبادة والطاعة، وكذلك لا تكون بالوراثة، ولا تكون عن طريق الغلبة والاستعلاء، إنما اختيار من الله، يختار لها من يشاء من خلقه، لذا اعترض المشركون على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، واستغربوا أن تنزل الرسالة على يتيم فقير لا يملك من أسباب القوة والغنى شيئاً، وليس له من مظاهر السلطان والملك ما يجعله في نظرهم عظيماً.

---

(1) النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ لـ علي مبروك.

وقالوا النبوة ينبغي أن تكون لغني عظيم، شريف من السادة والزعماء من أشراف قريش وعظمائها ومن ساداتها ووجهائها، وردَّ عليهم القرآن بأسلوب مفحم قاصم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1] و[2].

لذا؛ كانت النبوة أعظم شأناً من المال والجاه والسلطان ومن جميع زخارف الدنيا، وكانت حكمة الله العلية قد حدَّدت لكل إنسان رزقه، ولكل مخلوق حظه من المال والرزق، والمال بالنسبة للنبوة أمر حقير، فكيف يترك الأمر الجليل العظيم وهو النبوة إلى أهواء الناس ورغباتهم، لذا لما جاء كفَّار مكة ومشركوها وهم صناديد الكفر والشرك، وعرضوا على رسول الله إغراءاتهم الدنيوية، فقالوا له : إن كنتَ تريد مالاً جمعنا لك أموالنا، حتى تكون أغنانا وأكثرنا مالاً، وإن كنتَ تريد جاها ورياسة عيَّنَّاكَ رئيساً وملكاً علينا جميعاً، وإن كنتَ تريد امرأة زوَّجناكَ أجمل بناتنا ونسائنا، ما عليكَ إلا أن تختار ونحن رهن إشارتكَ، يا محمد، شريطة أن تترك هذا الدين الجديد.

فقال لهم رسول الله : أ فرغتم من حديثكم؟

قالوا : نعم.

قال رسول الله مخاطباً عمَّه صنوَ أبيه: والله، يا عمُّ، لو أنكم وضعتُم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الدين ما تركتُهُ، يعني لو جعلتموني ملكاً على الدنيا ومنحتموني زمامها على أن أترك هذا الدين ما تركته، فكيف بهذا عرضكم السخيف، إلى أن يجعل الله لي سبيلاً، فغادروا من عنده خائبين ناكصين، قال تعالى:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [3].

---

(1) سورة الزخرف، الآيتان 31 و32.

(2) للمزيد حول هذا الموضوع انظر في الكتاب (النبوة والأنبياء) محمد علي الصابوني.

(3) سورة الأحقاف، الآية 35.

وقال أيضاً: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [1].

مهمَّة الرُّسُل:

مهمة الرُّسُل دعوة الخلق الله عبادة الله الواحد الأحد، وهذا ركن أساسي من وظائف الرُّسُل، ولا يختلف فيه رسول عن آخر؛ لأنه ليس من الحكمة والمعقول أن يختار الله رسولاً، ثم يدعو هذا الرسول الناس إلى عبادة غير الله كعبادة الشجر والبقر والحجر ما دام الله أرسله، فحتماً أن يكون دعوته إلى الله، وإلا أنه ليس رسولاً، ويكذب على الناس في دعواه كمسيلمة الكذاب[2]، والأسود العنسي[3].

---

(1) سورة الحديد، الآية 20.

(2) مسيلمة الكذَّاب، و بعد أن اعتنق الإسلام، وأقام الدين الجديد بين بني حنيفة، واعتنقت القبيلة بكاملها الدين الإسلامي، وبنوا مسجداً في اليمامة، وأقاموا الصلاة بانتظام. ما حدث هناك لم يكن متوقَّعاً، والمفاجأة حدثت بعد مرور بضعة أشهر، إذ ارتد مسيلمة عن دينه، وأعلن نبوته، فجمع الناس، وخاطبهم مشيراً إلى أن النبي محمد قال : إني أُشركتُ في الأمر معه، أَ لم يقل لموفدينا، أما أنه ليس بشرّكم مكاناً ؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أنه قد أُشركتُ في الأمر معه. وبدأ أمر مسيلمة يزداد، وصارت قوته راسخة، وآمن به أبناء قومه، فدعاه هذا، في أحد الأيام عام 10 للهجرة أن يكتب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً قال فيه [من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أمَّا بعد؛ فإني قد أُشركتُ في الأمر معكَ، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون. وكتب محمد صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذَّاب رداً على رسالته، وهذا هو نصها[بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على مَن اتبع الهدى، أمَّا بعد : فإن الأرض لله يورثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين]. أمَّا تقليده للقران؛ فيأتي بهذا الشكل: { والمبديات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحيناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ترداً، واللاقمات لقماً، إهالةً وسمناً، ولقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريقكم ما منعوه، والمُعيي فآووه، والباغي فناوئوه...} . وكانت نهايته على يد " وحشي " فرمى وحشي حربته فأصابت مسيلمة في بطنه فوقع مسيلمة على الأرض وهو يتلوّى من الألم، وكان أبو دجانة قريباً من مسيلمة وبضربة محكمة من سيفه فصل رأس مسيلمة عن جسده، وتسبب نبأ مقتله في انهيار المرتدين بسرعة. [أدعياء النبوة] ديب علي حسن.

(3) من الذين ادَّعوا النبوة – أيضاً – الأسود العنسي وهو : عيهلة بن كعب بن عوف العنسي، وكان يلقَّب ذا الخمار؛ لأنه كان معتماً مختمرا دائماً، وقيل إنه لقِّب بـ" ذا الحمار " لأنه درَّب حماراً على تنفيذ بعض الحركات التي يطلبها منه، والأسود العنسي أول المرتدِّين عن الإسلام، وهو زعيم قبيلة " عنس "، وهي قبيلة كبيرة كانت تقطن الجزء

- هداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والمستقيم بعيداً عن الأهواء والنزعات والكذب والخداع والحسد والبغضاء.

- وأيضاً التذكير بالنشأة والمصير وتعريف الناس بما بعد الموت من شدائد وأهوال وحساب وجزاء.

- وجميع الرُّسُل لا يطلبون أجراً ولا جزاء على دعوتهم من الناس، ولكنْ؛ لا هَمَّ لهم سوى رضا الله سبحانه وتعالى، ومرضاته، والقرب منه، وهذا قولهم جميعاً: ﴿ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1].

- ولا يفوتنا أن العلماء فرَّقوا بين الرسول والنبي:

فقالوا عن "النبي" هو إنسان أوحى الله بشرعٍ سواءً أمر بتبليغه والدعوة إليه أم لا. فإن أُمر بذلك فهو نبيٌ رسول، وإلا فهو نبيٌ غير رسول. فهذا هو قول المشهور.

الغربي من اليمن. وقتله رجل مبارك من بيت مبارك؛ وهو " فيروز "، وجاء مقتله بعد وفاة رسول الله بـ 6 أيام، ودامت حركته ثلاثة أشهر . [أدعياء النبوة] ديب علي حسن.

(1) سورة هود، الآية 51.

مَنْ هو زرادشت؟

تعدَّدت الأقوال والروايات في شأن اسمه الحقيقي، بالإضافة إلى مكان وزمن ولادته، فقد جاء في كتاب المِلَل والنِّحَل للإمام الشهرستاني أن اسمه هو : زرادشت ابن بورشسب، وهو من أب أذربيجاني وأمه من الري اسمها (دعد).

وعند علماء الفُرْس أن زرادشت هو من نسل منوشهر، وأنه جدَّد للفُرْس بيوت النيران، بعد أن أخمدها منوشهر، ورتَّب لهم عيدَين: النيروز في الاعتدال الربيعي، والمهرجان في الاعتدال الخريفي .

بينما ذكر بعض المؤرِّخين أن زرادشت وُلد في صحراء تركمانستان.

والبعض الآخر يقول إنه من أصول الأُغوزية[1]، وهذا رأي محض كلام، لا دليل يعضده ويسانده، لأنه من المعلوم أن زرادشت فقد حياته على يد الطورانيين – وهم الأغوز- أثناء صلاته وابتهالاته في معبده لله عز وجل، بعد معركة دامية بين قومه والتورانيين.

وطائفة من المؤرِّخين يذهبون إلى أن والده من أصول آذرية، لذا ينسب الآذريون زرادشت إلى عرْقهم. بناء على هذا ذهب البعض إلى القول بأن زرادشت من أصول أذربيجانية. وورد في كتاب المِلَل والنِّحَل للشهرستاني موافقاً ومؤيِّداً لهذا القول.

فيما ردّ بعض المؤرِّخين على هذا القول قائلين : بأن أمه لأبيه تكون من أذربيجان، وليس والده، أمَّا أمه؛ فمن إيران، واسمها (دغدوية)، ووالده اسمه يورشسب.

وأورد طائفة من المؤرخين بأن اسمه زرادشت بن يورشسب بن فذارسف بن اريكدسف ابن هجدسف بن حيشبن باثير بن ارحدس بن هردار بن اسبيتمان بن وواندست بن هانيرم ابن ارج بن دورشرين بن منوشهر الملك، وكان من أهل أذربيجان يقال له "زراثوسترا"، وهو مؤسِّس الديانة الزرادشتية، وكانت أمه "دغدوية "من بلاد الري [2].

---

(1) نسبة إلى أوغوز خان، وهو الجد الأعلى للتركمان، واللغة الأوغوزية، يقال هي التي حملتها السلاجقة إلى إيران، ومنها إلى آسيا الصغرى، ويقال إأن الترك والصين أحد الفروع الأغوزية.

(2) الري مدينة كان اسمها القديم (راغا). تقع أطلالها على بُعد 8 كم ج.ق طهران بإيران، تذكر الروايات أن زرادشت يُنسب إليها. ضمتها إمبراطورية الفُرس، ثم إمبراطورية الإسكندر، ثم مملكة السلوقيين، فتحها

وذكر بعض آخر من المؤرخين والباحثين أن لزرادشت أسماء متعـددة منهـا زرادشـت، و زارادشـت، زوردسـترا، عـلاوة عـلى هـذا لـه أسـماء أخـرى ورد في / الآفـستا / كـ زرادسترا...وينفرد ابن نديم في القول بأن اسم والده اسبيتمان- يقول المؤرِّخون بأن أسـبيتمان هو اسم عائلته وليس اسم والده - وليس يورشسب أو يورشب وأن اسم والدته "دوخـدو" وهي من نفس عائلة أبيه[1].

إن كلمات من قبيل زردشت، زردشت، زردهشت، قـد اشـتقَّت معظمهـا مـن مـصطلح زرثوسترا / zarathushtra/ الذي ورد ذكره في الغاثـا "وهـو جـزء مـن كتـاب المقـدَّس الآفستا "والذي يساوي زرداشتر، وتعني صاحب "الناقة الصفراء ".

أما اسم والده بورشسب؛ فيعني "صاحب الجواد الهرم ".

واسم والدته دغدوية، ويعني "حالبة البقرة ".

واسم أسرته اسبيتمان، ويعني "العرق الأبيض "[2].

وأطلق عليه البعض اسم (زارا) كفيلسوف الألماني "نيتشه"، يحتمل أنه اقتصر من زارادشت.

يلاحظ مما تقدَّم أن الاختلاف في اسمه يدور بين زاردشت وزرادشت وزارا وزرادسترا، فكلها أسماء متشابهة، فهذا اختلاف طفيف ومتقارب، فربما كان المنـشأ لهـذا الاخـتلاف هـو تنقُّل هذا الاسم من عهد سحيق إلى يومنا هذا، مما أدى إلى هذا التغير اللفظي.

وكذلك اسم أمه إن كانت اسمها / دعد أو دغدوية أم دوخدو/ ربما حصل هذا التغيـير في اللفظ بحكم تناقلها من ذاك الزمن البعيد إلى ما وصل إلينا، والنتيجة كانت هذا التغيير.

لكن الخلاف يبرز ويشتد في نسبه، بعضهم قال: بأنه من أب آذري، أي أنه من أذربيجان، وبعض المؤرخين يقولون بأنه من أصول ميدِّية [3]،وبعضهم نسبه إلى إيران / الفُرس / ، و إنه من نسل منوشهر، ولكن كثرة روايات الواردة بهذا الصدد تقوِّي هذا الرأي الأخير.

المسلمون في خلافة عمر على يد نعيم بن مقرن. مسقط رأس هـارون الرشـيد. تـضم أطلالهـا آثـاراً مـن العهـود الساسانية والعباسية والبويهية والسلجوقية، يُنسب إليها " محمد بن زكريا الرازي " الطبيبوالكيمائي،وفخر الـدين الرازي صاحب كتاب " مفاتيح الغيب " أو التفسير الكبير.

(1) انظر البحث المُعَد من قِبل الباحث مهدي مجيد عبد الله في بحث له عن الزرادشتية.

(2) مقال على موقع آفستا أورك بعنوان "إيران القديمة ".

(3) ميديا تلك الإمبراطورية العظيمة التي ظهرت ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

إن دلَّ هذا الاختلاف على شيء فإنما يدلُّ على شيء واحد، وهو أن هـذا الرجـل العظـيم ليس أسـطورة كـما يـدَّعي الـبعض، وأنـه ذو أصـول هنـد أوربيـة، وأورد بعـض البـاحثين والمؤرِّخين حياته بالتفصيل، وعدد أولاده وأزواجه، كالتالي:

- الميلاد: غير متَّفق عليه.
- المكان: شمال شرق إيران القديمة.
- التاريخ: الألفية الثانية قبل الميلاد على الأرجح، حوالي القرن السابع قبل الميلاد.
- الأب : بور شاسب.
- الأم : دهدوغة.
- جدته هيشاداسبا من سبيتما.

تفاصيل شخصية:

- الزوجة : هفوفي..
- الأطفال : ثلاثة أبناء وثلاث بنات وفقاً للترتيب التالي:
- الابن الأول : ايسات فاستار.
- الابن الثاني : هفاري جيثرا.
- الابن الثالث : نارا ارفاتات.
- الابنة الأولى : بوروجستر.
- الابنة الثانية : ثريتيو.
- الابنة الثالثة : فريني.

النُّبُوَّة:

– العمر ثلاثون سنة.

– الأوائل الذين تبعوه من أجل قبول فلسفته ابن عمه " مايثيو مانغا ".

– ثم زوجته، ومن أبناء بلدته ستة أشخاص وأربعة عشر آخرون [1]. ويُذكر أن زرادشت تزوَّج ثلاث مرات، وأنجب العديد من الأولاد، لذا إنه يفضِّل الرجل والمرأة المتزوِّجة على مَن لا زوج له، ومَن عنده الأولاد على مَن لا أولاد له، وهو مات مقتولاً عن عمر يناهز نيف وسبعين عاماً، وهو واقف بين يدي ربِّه يصلِّي في معبده بطعنة في ظهره .

صورة رمزية لزرادشت



(1) العقيدة والقانون في فلسفة زرادشت، الباحث كارزان خانقيني.

زمن ولادته وتاريخها:

مر معنا أن غموضاً واختلافاً نسبياً دار حول اسمه ونسبه الحقيقي، وإنْ لم تتَّسع الهوَّة بين الآراء في شأن اسمه، إلا أن زمن ولادته وتاريخها لم يكونا بمنأى عن هذا الغموض. بل يشتد الخلاف في الروايات في هذا الصدد، لا سيما إذا كان التاريخ غير مدوَّن، ويسبق ميلاد عيسى عليه السلام، فبقدر بُعده عن ميلاد عيسى عليه السلام، وعن مطلع التاريخ الميلادي بقدر ما يكون الرواية والتاريخ قريبين من موضع الشك والريب والاختلاف .

حكى بعض المؤرِّخين أن ميلاد زرادشت كان في الربع الأخير من القرن السابع قبل الميلاد؛ أي حوالي 630 قبل الميلاد، وقُتل وهو يناهز من العمر [72] أو[77] عاماً[1]. أسَّس زرادشت الديانة الزرادشتية حوالي القرن 7، 6 ق م [2].

وورد في الموسوعة الحرَّة على الشبكة الدولية أن مؤسِّس الديانة الزرادشتية هو زرادشت، وعاش ما بين 1500، 1600 قبل الميلاد، وتُعرَف - الآن - بالديانة المجوسية .

ومن المؤرِّخين مَن قال إن هذه الديانة ظهرت فيما بين العام 1500، 1200 ق م في شرق إيران وجنوب أفغانستان.

ودار رحى الاختلاف بين الباحثين والمؤرِّخين حول ميلاده وبعثته ومماته خلافاً يجعل من العسير ترجيح رواية على أخرى، وخاصة أن أياً من الفرقاء لا يملك دليلاً دامغاً يزيل الشك باليقين، ولكن كل ما ورد من الآثار والأقوال بخصوص زمن بعثته أدلَّة مبنية على الظن والتخمين بعيداً عن التأكيد واليقين.

ويذكر الباحث مهدي مجيد عبدالله في بحث له عن الزرادشتية نقلاً عن لفيف من المؤرِّخين قائلاً : يرى البعض أنه وُلد في بداية القرن السادس قبل الميلاد، وهذا يدنو من الرواية المذكورة في الموسوعة الإسلامية الميسَّرة، ومنهم مَن ذهب إلى أبعد من هذه الروايات المذكورة بأنه وُلد قبل الميلاد بستين قرناً.

---

(1) الموسوعة الإسلامية الميسَّرة، الحرف [الزاي].

(2) الموسوعة العربية الميسَّرة، الحرف [الزاي].

والبعض الآخر يميل إلى الاعتقاد بأنه وُلد في القرن العاشر قبل الميلاد؛ أي قبل الميلاد بحوالي 1000 سنة.

أمَّا القول الراجح، ويعتمد عليه الكثير من المؤرِّخين قائلين إن الديانة الزرادشتية كانت منتشرة قبل الميلاد بـ ستمائة عام، ويمثِّل هذا الاتجاه كل من المؤرِّخين درمستد وهواردن الفرنسيان وويست بروان الانكليزي وجاكسون الأمريكي، فهؤلاء العلماء يميلون إلى الاعتقاد بأن ظهور زرادشت كان في النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، وكانت ولادته في سنة 660 ق م تحديداً، وقُتل في عام 583 ق م، وكان عمره سبعة وسبعين عاماً، وأن موطن ولادته هي أذربيجان، وجاهر بدينه في مدينة بلخ في عهد ملك كشتاسب[1]. وإلى هذا ذهب توماس بوا[2] قائلاً: ..وحسب بعض المراجع والنصوص يمكن أن يكون هذا النبي الفارسي القديم قد وُلد في بلدة مكري {mukri} الواقعة في قلب كردستان عام 660 قبل الميلاد، وعاش حتى حوالي583 ق م.

ويقول ول ديورانت : المؤرِّخون المُحدثون يحدِّدون تاريخه فيما بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد، وقيل إن الذي نشر دين زرادشت هو والد دارا الأكبر، ويؤيِّد هذا الرأي كل من عباس عبد الهادي في كتابه [المرأة والأسرة] وتوماس بوا في كتابه [تاريخ الأكراد][3] .

ويعتقد البعض الآخر من العلماء أنه هاجر من فلسطين إلى إيران، وهناك ألَّف كتابه، ونشر أفكاره، ولم يؤمن به أحد[4] ....

مما أسلفنا يربو تضارب الآثار والروايات، مما يستحيل أن نرجِّح رأياً على الآخر، وخاصة بين كل قول واجتهاد قروناً وحقباً من الزمن.

وبخصوص الرأي القائل بأن زرادشت هاجر من فلسطين إلى إيران، فإن القائلين به لم يبرهنوا ولم يتضح من قولهم هل أن أصوله من فلسطين وهاجر إلى إيران أم أن زرادشت قام

---

(1) بحث مُعَدّ من قِبل الباحث مهدي مجيد عبدالله " الزرادشتية نشأتها وفلسفتها".

(2) في كتابه تاريخ الأكراد.

(3) المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي للدكتور إبراهيم طاهر معروف.

(4) يبدو أن هذا الرأي ذكره الإمام الطبري في تفسيره.

بهجرتين أولاها من إيران إلى فلسطين، ثم مـن فلـسطين إلى إيـران؛ حيـث شرع بـالهجرة إلى موطنه الأصلي، لينهض بتبليغ دعوته إلى قومه.

أمَّا أن أصوله من فلسطين؛ فهذا محض كلام لا يقوى على دليل، بل ينافي روح الحقيقة والواقع لأن من بدهيات أمور الدعوة والرسالة أن كل نبي بُعث إلى قومه وبلسان قومه، وهذه سنَّة اللهفي الكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]. فلا يكون من الحجة على القوم إذا أرسل الله إليهم رسولاً لا يعرف ولا ينطق بلسان القوم المرسَل إليهم، عندها سيحتجّون بالقول: يا ربّ أرسلتَ إلينا رسولاً ما كنا نفقه من قوله شيء، فكيف تحاسبنا وأنت القائل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ .

أمَّا عن قولهم: وألَّف كتابه، ثم نشر أفكاره، هـذا يـصحُّ إذ لـو كـان زرادشـت مـصلحاً اجتماعياً أو فيلسوفاً حكيماً، أمَّا أن يكون نبياً، ويقوم بتأليف كتاب من تلقاء نفـسه ومـن غـير وحي وإلهام من الله عز وجل، فهذا لا يطابق والنبوة، جائز القول هكذا: ثم جاءه وحي النبوة في إيران، وشرع في تبليغ دعوته، لهذا نرى ضعف هذا الرأي، وبنـاء عـلى مـا ورد مـن طـرق أخرى[2] عن بعض المؤرِّخين في الكتاب{معالم تاريخ الإنـسانية } قـائلين : إن العـصر الـذي عاش فيه زرادشت غير واضح، يرجعه بعض الثقـات إلى سـنة 1000 قبـل المـيلاد؛ أي قبـل [قورش] مؤسِّس الدولة الأخمينية الفارسية.

ولفيف من المؤرِّخين ذهبوا إلى القول[3]بأنه وُلد قـرب بحـيرة أورميـة في سـنة 660 ق م، وقُتل في بلخ[4] على يد الأتراك .

---

(1) سورة إبراهيم، الآية 4.

(2) الكتاب: المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي، للدكتور إبراهيم طاهر معروف.

(3) وهذا ما رجَّحه الباحث مهدي مجيد عبد الله في بحثه الزرادشتية فلسفتها ونشأتها

(4) {بلخ} مدينة مشهورة بخراسان، وهي من أجلّ مدن خراسان، وأذكرها خيراً، وأوسـعها غلّـة، تحمـل غلّهـا إلى جميع خراسان، وإلى خوارزم، قيل إن أول مَن بناها لُهراسف الملك لما خرّب صاحبه بختنصر بيت المقدس، وقيل: بل الإسكندر، وكانت تُسمَّى الإسكندرية قديماً..

ويُذكر بأنه كان لشخصية زرادشت وتعاليمه آثار بارزة في حياة الإيرانيين بعد وفاته، ففي أثناء المائتي السنة التي تلت عصر زرادشت استطاع الإيرانيون أن يوسِّعوانطاق إمبراطوريتهم إلى حد لا نظير له من قبل، فقد تمكَّن قورش الأكبر (558-530ق.م) من ضمِّ ميديا[1] إلى فارس، وجعلهما مملكة واحدة، ثم أخذ بثأر زرادشت بالاستيلاء على بلاد الطورانيين، وأخضع كثيراً من المستعمرات الإغريقية، وأخيراً؛ استولى باسم "أهورامزدا" على بابل عاصمة الآراميين أو الكلدانيين. وحوالي سنة 538ق.م أطلق سراح اليهود الذين كان بختنصر قد حملهم أسرى إلى بابل بعد تخريب أورشليم والهيكل الأول حوالي سنة 586 ق.م[2].

كما ذكرنا سابقا ليس في حوزة من أصحاب الآراء السابقة دليل قاطع على صحة أقوالهم، وإنما جلها مجرد احتمالات وترجيح ظن على ظن آخر، ومجمل الآراء السابقة أن ميلاد زرادشت يسبق السنة الميلادية بأكثر من 500 عام .

مات زرادشت في غمار حياة ممتلئة بالتحديات والمشقَّات لأجل أداء مهمته، ولم يتوان في العطاء والمجاهدة في سبيل دعوته، مات وهو يناهز من العمر قرابة سبعة وسبعين عاماً، وهو مدفون في مدينة رستم الإيرانية، ثم انتقم الملك لمقتله بعد ذلك، وانتصر على التورانيين، ولم يقبل منهم صلحاً، حتى وعدوه باعتناق الزرادشتية، وتتلاقى رسالته مع الإسلام في التوحيد والبعث والحساب والجزاء ...

افتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. كما كانت مقراً للملوك والقوَّاد والعمال. وفيها يتمركز العساكر والأجناد، وفيها أسواق كثيرة وصناعات شتى، وفي عام / 107/ هـ جعلها أسد بن عبدالله عاصمة مقاطعة {خرسان} دخلها التتار وعملوا فيها فساداً سنة / 618/ هـ، ثم تركوها كومة من تراب، وهي اليوم - بلخ- مدينة صغيرة في جمهوريةأفغانستان.

(1) ميديا: مملكة قديمة بغربي آسيا، كانت تشغل مساحة يمثِّلها - الآن - الشمال الغربي وغرب إيران وجنوب جمهورية أذربيجان السوفيتية الاشتراكية – سابقاً – . امتدت حدودها من بحر قزوين إلى جبال زاغروس. قسمه الرومان إلى ميديا أتروباتن (أذربيجان الآن) وميديا ماجنا. وكانت تضم القسم الجنوبي والأكبر، وعاصمتها { اكباتان} همذان الآن. يقول المؤرخ الإغريقي تيزياس إن ارباكس هو مؤسس الأسرة التي ظلت تحكم ميديا حتى سقوطها على يد قورش العظيم، الذي أدمجها في الإمبراطورية الفارسية.

(2) حامد عبد القادر / زرداشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين/ .

هل كان زرادشت نبياً أم مصلحاً اجتماعياً؟:

عندما نُولي وجوهنا صوب تاريخ هذا الرجل العظيم [زرادشت] وحياته ستجدها قد تشعشع فيها الكثير من الأوهام والأساطير حتى جعلت من حياته وحقيقته نفسها وهماً وخرافة. بناء عليه؛ ذهب فريق من المؤرخين والباحثين إلى إنكار هذه الشخصية الفذة، وقالوا بأنها شخصية وهميةٌ، مجرد نسج خيال لا أكثر، وفي صورة رجل عبقريٍ حكيم. وسبب هذا قد يرجع إلى أن بعثة زرادشت ورد ذِكرها في شاهنامه الفردوسي، إلا أنها أُدرجت في قسم الأساطير من الكتاب المذكور، نظراً إلى تضارب الآراء حول شخصية كشتاسب الملك الذي دعاه زرادشت إلى دينه الجديد؛ حيث يعتقد البعض أنه هو كشتاسب والد داريوس الهخامنشي، في حين ثبت تاريخياً أنه كان والياً، ولم يكن ملكاً.

أمَّا الطائفة الأخرى - وهم السواد الأعظم من العلماء والمؤرخين - فذهبوا إلى القول بأن زرادشت شخصية تاريخية حقيقة واقعية لا ريب فيها، وأنه صاحب كتاب ودين عظيمين، وربما مرجعالخلاف على شخصيته يعود إلى نبوغه المبكِّر وذكائه الخارق وشدة جَلَده وتحمُّله في سبيل دعوته إلى الله سبحانه وتعالى .

الزرادشتية مذهب ديني أسَّسه زرادشت حوالي القرن 7، 6 قبل الميلاد زعيم ديني فارسي، ثم أُضيفت إليه بعض الإضافات[1]. وقد دعا زرادشت قومه إلى تغيير علاقة الإنسان بآلهته من علاقة خشية وخوف يقوم فيها الإنسان بتقديم القرابين للآلهة اتقاء لشرها، ويقدِّم فيها رقبته عبودية لكهنتها إلى علاقة محبة وتعاون وصداقة .

وأقام أسس السعادة في هذه الدنيا إلى ثلاثة قواعد :

- الفكر الحسن.
- القول الحسن.
- الفعل الحسن[2].

---

(1) الموسوعة العربية الميسَّرة.

(2) الموسوعة الإسلامية الميسَّرة.

الفكر الحسن هو بمثابة التَّأمُّل والتَّفكُّر في خَلق السموات والأرض

قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾[1]. والقول الحسن هو القيام بواجبات الدعوة والتبليغ الرسالة بالقول الحسن والكلمة الطيبة متشرّبا بالحكمة واللين، قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[4]. أمّا الفعل الحسن؛ فيقابله وهو البُعْد عن الرذائل والتحلِّي والتمسُّك بالفضائل، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا السياق جاء قوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[5].
هذه الأركان الثلاثة هي دعوة كل الأنبياء والرُّسُل .

وكان هذا الدين الجديد بسيطاً واضحاً، لذا استطاع زرادشت أن يجمع حوله الكثير من المؤيِّدين، وخاصة أنه هدف إلى إصلاح اجتماعي من خلال رسالته هذه، ولَمّا أشتد أمر زرادشت، وأصبح له أتباع كثيرون، اعتنق الملك الآري المتحدِّر من الأسرة الكيانية كشتاسب هذه الديانة، فغدت الديانة الرسمية لدولة ترك زرادشت{الآفستا} أو الأبستاق؛ أي كتاب العلم والحكمة على شكل أشعار وأناشيد دينية تمجِّد الإله" أهورامزدا"[6]..

---

(1) سورة الذاريات، الآيات 21، 22، 23.

(2) سورة النحل، الآية 125 .

(3) سورة فصلت، الآية 33.

(4) سورة النساء، الآية 125 .

(5) سورة آل عمران، 110.

(6) المِلَل والنِّحَل للإمام الشهرستاني.

ظهر زرادشت في أيام كيستاسب بن كهيراسف، زعم المجوس بنبوته، وقال علماء الفُرْس أن زرادشت جاء بكتاب، وادَّعاه وحياً، كُتب نقشاً بالذهب، فوضعه كيستاسف في هيكل باصطخر، ووكَّل به الهرابذة[1]، ومنع من تعليمه العامة.

كان زرادشت دائماً يدعو إلى الحق والخير والاستقامة وإلى الجهاد في سبيل الخير وإلى التفكير الحسن والقول الطيب والعمل الصالح، وإلى غير هذا وذاك من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، التي تسكن إليها العقول الذكية، وتطمئنُّ إليها الفطرة البشرية، وفطرة الله التي فطر الناس عليها، ولم يُؤثَر عنه - قطُّ - أنه دعا إلى وثنية أو أي نوع من أنواع الشر[2].

نشأ زرادشت إلى أن بلغ ثلاثين من عمره، فبعثه الله نبياً ورسولاً إلى قومه، فدعا كشتاسب الملك، فأجابه إلى دينه، وكان دينه عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث، وقال النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك يزدان وأهريمان وهما مبدأ الموجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت النور من التراكيب المختلفة، والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، هو واحد لا شريك له، ولا ضد، ولا ند .

وقيل: صنَّف كتاباً[3] (أي زرادشت)، وطاف به الأرض، فما عرف أحد معناه، وزعم أنه لغة سماوية، خوطب بها، وسمَّاه [أثنا]، فسار من أذربيجان إلى فارس، فلم يعرفوا ما فيه، ولم يقبلوه، فسار إلى الهند، وعرضه على ملوكها، ثم أتى الصين والترك، فلم يقبله أحد، وأخرجوه من بلادهم، وهذا شأن كل نبي ورسولٍ بُعث، ما من رسول إلا واضطُهد وعُذِّب وهُجِّر، لكنهم كانوا مثلاً ونموذجاً في الصبر والتحمُّل، ثم قصد فرغانة، فأراد ملكها أن يقتله، فهرب منها، وقصد بشتاسب بن لهراسب، فأمر بحبسه، فحُبس مدَّة .

وشرح زرادشت كتابه، وسمَّاه{زند} ومعناه التفسير، ثم شرح الزند بكتاب، وسمَّاه{بازند} يعني تفسير التفسير، وفيه علوم مختلفة كالرياضيات وأحكام النجوم والطب

---

(1) الهرابذة : هم موظَّفون دينيون يشغلون مناصب قضائية، ويديرون المراسم الدينية في بيوت النار.
(2) حامد عبد القادر / زرداشت الحكيم نبي القدامى الإيرانيين/ .
(3) المِلَل والنِّحَل، نقلاً عن ابن الأثير.

وغير ذلك من أخبار القرون الماضية، وكتب الأنبياء. ومما في كتابه: تمسَّكوا بما جئتكم به، إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر " يعني محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم"، وذلك على رأس ألف وستمائة سنة، وكذلك عيسى بن مريم عليه السلام بشَّر أنصاره وحوارييه ببعثة رسول الله من بعده، وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]، ولكنهم كفروا به لمَّا جاءهم الرسول، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2].

بسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب، ولمَّا أتى بشتاسب بهذا الكتاب، زعم أنه وحي من الله تعالى، وكُتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفراً ونقشاً بالذهب، فجعله كشتاسب في موضع باصطخر، ومنع العامة من تعلُّمه.

جاء في أحد الكُتُب[3] تحت عنوان زرادشت مصلحاً [إن زرادشت مصلح عظيم كما يزعم الدكتور جيجر، وكما يقول الدكتور : أ. و. وست: ولعلنا نستطيع أن نستنتج من هذه الروايات أن الكتاب القدماء الذين أوصلوا إلينا هذه الأساطير من العهود الغابرة يرون أن زرادشت لم يكن مؤسِّساً لديانة جديدة بكل معنى هذه الكلمة، بقدر ما كان مصلحاً مُرمِّماً لديانة سابقة، لم تكن مرفوضة إلا بمقدار. ففي الوقت الذي كان يصرُّ بقوة على تبجيل جميع الأرواح النبيلة ألحَّ على تحريم تقديم القرابين والنذور بغية التكفير عن الذنوب والتزلُّف إلى الأرواح الشرّيرة. وتلخَّصت شرعته في التصدّي لكل ما هو سيِّئ وشرير ومكافحته وإخماد ناره .

ولو أخذنا آراء هذين الدكتورين في الاعتبار، فإننا نستنتج ونستشفُّ من رأيهما أن زرادشت لم يكن نبياً مُرسَلاً من قِبل الله، لكنه كان مجدِّداً ومُصلحاً لديانة الفُرْس القديمة،

---

(1) سورة الصف، الآية 6.

(2) سورة البقرة، الآية 89 .

(3) الكتاب الديانة الزرادشتية أو اليزيدية لبهمن سوراجي باناجي، ترجمه إلى العربية توفيق الحسيني.

وكانت موجودة قبل زرادشت، والتي سلف ومضى عليها حين من الدهر، حتى حُرِّفت، وبُدِّلت، وما كان شأن زرادشت إلا أن قام بإصلاح وترميم ما فسد، ثم يردف صاحب الكتاب مستشهداً بقول العلامة البارز الدكتور ج ج مودي: بدأ الشقاق في زمن قبل زمن زرادشت، لأن الكتب الزرادشتية تتحدَّث عن شخصيات كان لها القسط الأوفر في الحركة، وهؤلاء الأشخاص وهذه الشخصيات التاريخية بدأت عملها على نطاق واسع نوعاً، وبدأت تُحطِّم كل ما يلحق الأذية بالإنسان ويضرّه، وتدعو لاحترام كل ما هو خير للإنسان، ونافع له وتقديسه.

وهكذا؛ فإن زرادشت مصلح عظيم، وكما كان شأن جميع المصلحين الدينيين المجاهدين الروحانيين اعتُبر زرادشت أعظم مصلح في عصره .

هكذا يذهب هؤلاء المؤرّخين إلى القول في شأن زرادشت بأنه كان مصلحاً لديانة الفُرس القديمة، وأنه وحَّدهم، وجمع شملهم على دين آبائهم .

لكن ما يلفت الانتباه في هذه الآراء أنه لو كان زرادشت مصلحاً؛ أيْ لم يكن نبياً مُرسلاً، عساه أَيكون مصلحاً لأي دين هذا ؟ وما هو ذاك الدين القديم الذي كان عند الفُرْس، وماذا كانوا يعبدون؟ وما كان اسم ذاك الدين؟ ومَن كان نبيُّهم، إن كان زرادشت مجرد مصلح عظيم كما زعموا. كل هذا لم يرد في أقوالهم، شأن أي دين عندما يقوم مصلح ما بتجديده وترميمه، فإن المصلح لإخلاصه لمعلِّمه ونبيّه لا ينسب هذا الدين إلى نفسه، وإلا فإنه يخون نبيه والأمانة معاً، فلا بد عليه أن يقوم بذكر نبيّه إخلاصاً ووفاء لمعلّمه .

أمَّا أن يكون حجَّتهم أن الكتب الزرادشتية تحدَّثت عن أشخاص كان لهم القسط الأوفر في انتشار الديانة الزرادشتية وفي اتساع بقعتها، فلا ينهض هذا ليكون دليلاً على عدم نبوة زرادشت، وما الضير في هذا؟ فأي دين سماوي إلا كان لأتباعه الأوائل فضل السبق في انتشار هذا الدين، وأي نبي ورسول بُعث كان لهم أصحاب وأتباع وحواريون، ودائماً لهم القسط الأوفر والجهد المبذول في سبيل انتشار وعُلُوِّ هذه العقيدة، لا بد أن يكون لزرادشت أتباع وأصحاب مخلصون قاموا بمهمَّة نشر دينه بعد وفاته، وحتى قبل وفاته، ولهم بصمات وأعمال لا يُستهان بها في سبيل اعتناق الناس لهذا الدين، ففي الدين الإسلامي لا ينكر

القاصي ولا الداني ما قام به خلفاء الرسول وأصحابه من أعمال جليلة كجمع القرآن ونشر الدين والذود والدفاع عنه بعد انتقال الرسول إلى رفيقه الأعلى، فمن جمع الأحاديث وكتبها إلا أصحاب الرسول، الذين قاموا بهذه المهمَّة الشاقَّة من دون ملل وكلل، وقدَّموها للإنسانية جمعاء في سبيل بُعدهم عن الشقاء والحيرة، وفي الديانة المسيحية نجد أن للسيد المسيح {عيسى عليه السلام} أتباع وحواريون كان لهم الفضل في انتشار المسيحية، وما الأناجيل [متَّى ولُوقا ويوحنا وبر نابا] إلا من جمع ووضع هؤلاء الرجال، فكل قسم من الإنجيل منسوب إلى أحد من تلامذته، لهذا نرى ضعف الرأي القائل بأن زرادشت كان مصلحاً؛ لأن ما استدلوا به مردود عليهم، ولا يصلح دليلاً وأساساً على عدم نبوة زرادشت.

وبدخول زرادشت في الثلاثين من عمره جاءه وحي النبوة من السماء، يأمره بالتبشير والدعوة إلى الله الحق، فبينما كان يشارك في إحدى المناسبات الطقسية دعت الحاجة إلى بعض الماء، فتطوَّع زرادشت لجلبه، ومضى حيث نهر قريب منهم، خوّض في الماء حتى ركبتيه، وملأ وعائه، وبينما هو خارج من الماء تجلَّى له على الضفة كائن نوراني، فخاف لدى رؤيته لهذا الكائن، وهمّ بالرجوع، ولكن الكائن كلَّمه وطمأنه قائلاً : بأنه " فوهوماناه" إحدى الكائنات الروحانية الستة التي تحيط بالإله الواحد"أهورامزدا " وتعكس مجده، ثم أخذ الملاك بيد زرادشت، وعرج به إلى السماء، حيث مثّل في حضرة" أهورامزدا " والكائنات الروحانية المدعوَّة [بالآميشا سبنتا]، وهناك تلقَّى من الله الرسالة التي وجب عليه إبلاغها لقومه ولجميع بني البشر.

ورواية أخرى من روايات التاريخ تذكر أن زرادشت جلس ذات يوم أمام كهفه في جبل " سابلان "؛ حيث كان يتعبَّد ويبحث عن الحقيقة هناك، وهو يتأمَّل في غروب الشمس وراء الأفق، ولَّما حل الظلام بدل النور وقت الغروب، قفز زرادشت واقفاً على قدميه فرحاً لأنه أمسك بيده سر الحكمة التي يبحث عنها، فقد أدرك أن اليوم فيه ليل ونهار، أي أنه فيه ظلام وفيه نور، فالعالم - إذن - يتشكَّل من الخير والشر، كما أن الليل والنهار لا تتغيَّر طبيعتهما، وكذلك فالخير لا بد أن يكون خيراً دائماً، والشر لابد أن يكون شراً دائماً، وأن آلهة الخير لا

يمكن أن تصنع الشر، وأن آلهة الشر لا يمكن أن تفعل الخير. هذا هو سر الحكمة، وهذه هي الحقيقة التي طالما بحث عنها زرادشت، حتى توصَّل إليها، وهي أن العالم تحكمه قوَّتان خير واحد وشر واحد، وأن الإله " أهورامزدا " هو قوة الخير، وأن" أهر يمان " هو قوة الشر.

ويقول زرادشت: إن لهذه الآلهة مساعدين سماويين ويُسمون الملائكة، وقال إن أهم هذه الملائكة سبعة هم : العقل الخيِّر، والنور، والحكمة، والخير، والتقوى، والخلود، والأمر الصالح.

بدء الدعوة ونشرها:

بينما كان زرادشت فوق الجبل مستغرقاً في تفكيره، وإذ به يحس - فجأة - بنشوة روحانية تغمره وتنتشر في جميع أنحاء جسمه، وتملؤها نوراً وهّاجاً، ثم كائناً نارياً يدنو منه وكأنه عمود من نور، حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان، يحمل في يده عصا من اللهب، ولم يلبث ذلك الكائن أن حلَّق فوق رأس زرادشت في صورة عمود آخر من النور، وأمره بخلع ملابسه، ثم أخبره أنه "فاهومانا " كبير الملائكة، وأنه جاءه ليقوده إلى السماء، ليحظى بشرف المثول بين يدي رب السماء نفسه، وصدع زرادشت بالأمر، ولم يلبث أن وجد نفسه بين يدي إله النور، الذي يحيط به ضياء عظيم، وهناك تلقَّى كلمات الحق والحقيقة، وتعلَّم أسرار الوحي المقدَّسة. واستمع إلى أمر النبوة، ثم أفاق من نشوته، وعاد إلى إنسانيته، وتكرَّرت معه التجربة الروحانية ثلاث مرات، وعندها انتبه إلى نفسه وقال: " الآن ... سأنزل إلى الناس، وأقود شعبي باسم [أهورامزدا] من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الشر إلى الخير[1].

زرادشت كان يذهب إلى جبل سابلان، ويقيم في كهف من كهوفه يتفكَّر ويتأمَّل في مخلوقات الله، كما ورد في تلك الروايات الآنفة، وأنه اعتزل قومه ليخلو بنفسه في الكهف، وهذه الحوادث مشابهة تماماً مع حادثة رسول الله قبل بعثته، حين ظهر الوحي له في أول الأمر، إذ كان رسول الله يذهب إلى غار حراء، ويمكث فيها ليالي ليتعبَّد ويتحنَّث في الغار، ويتأمل في خَلق السموات والأرض، وكل هذه الأخبار وردت عن طريق التواتر؛ أي الخبر

---

(1) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، العلامة فوزي محمد حميد.

المقطوع في صحته، إلى أن جاءه جبريل وهو في الغار، وأخذه جبريل، وشدَّه شدّاً عنيفاً قائلاً له : اقرأ. والرسول الكريم يقول ويردِّد ما أنا بقارئ، وترتعد فرائسه من الفزع، ويتفصد جسده الشريف عرقاً وفرقاً، حتى أعاد جبريل تكرار ما يقوله، وفي كل مرة يردُّ الرسول ويقول ما أنا بقارئ، ثم قال جبريل في مرة الأخيرة: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [1]. ثم انقطع الوحي فترة من الزمن. ويقول العلماء انقطع حوالي أربعين يوماً، والرسول يترقَّب مجيئه ثانية على شغف، إلى أن جاءه مرة ثانية، وجبريل جالس على كرسي بين السماء والأرض يتلألأ نوراً وبهاءً وإجلالاً.

فالتشابه دقيق بين حادثتي نزول الوحي على زرادشت في بدء الدعوة وبين نزول الوحي على رسول الله في بدء دعوته، حيث كلاهما كانا يذهبان إلى ذروة الجبل، ويبقيان أياماً في كهف من كهوفه للعبادة والتأمل، وكذلك حادثة صعود وعروج زرادشت إلى السماء، ومثوله بين يدي رب العزة لا تختلف عن حادثة الإسراء والمعراج التي حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك فلسفة زرادشت عن الخير والشر، وأن الخير يبقى خيراً إلى الأبد، والشر لا يتبدَّل إلى الخير بتاتاً، وأن الحسنة تكون من الله " أهورامزدا "، وما يتعلق بهذا الموضع ورد في القرآن الكريم؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2].

نزل زرادشت من فوق الجبل مُتحمِّساً لإعلان الحقيقة لكل الناس من أمَّته، فلم يستمع إليه أهل إيران في بداية دعوته؛ لأنهم كانوا غارقين في عبادة الآلهة الآرية المتعدِّدة وأصنامها، والتي يعدُّونها آلهة حقيقية لكونها ملموسة بين أيديهم، بينما الخير والشر وآلهتهما لا يمكن رؤيتهما أو سماعهما وحتى لمسهما، حتى إن أسرة زرادشت نفسها لم تؤمن به، ولا بالتعاليم التي جاء بها في بداية دعوته.

---

(1) سورة العلق، الآية من 1 إلى 5 .

(2) سورة النساء، الآية 79.

عندما نزل زرادشت من فوق جبل سابلان وبدأ بنشر دعوته ورسالته إلى النـاس لم يقبـل أهل إيران رسالته التوحيدية؛ لأنهم كانوا قد انغمسوا واعتـادوا عـلى عبـادة إلهـتهم العديـدة وأصنامهم الملموسة، أمَّا الإله الذي يتحدَّث عنه زرادشت فإنهم لا يرونـه، وعـاجزون عـن رؤيته بعيونهم، لذا؛ رفضوا دعوته، وأنكروا عليه أمره، وبدأ زرادشـت يـصول ويجـول بـين المدن والقرى عسى أن يجد مَن يفتح قلبه لدعوته ودينه، فطردوه من مـسقط رأسـه، وأعلنـوا الحرب على شخصه ودعوته، وحتى أسرة زرادشت نفسها لم تؤمن بالتعاليم التي جاء بها .

يُحكى أنه حتى بعد أن مرّت الأعوام العشرة الأولى لم يجد زرادشت مَن يـؤمن بـه، وكـان الذي آمن به وصدَّقه هو ابن عمه " ميتوماه ".

وقال له ميتوماه: [إن تعاليمك شاقَّة جداً على فهم الناس ..].

وتأمَّل زرادشت في كلام ميتوماه، وقال في أسف: نعم.

قال ابن العم : ولكنكَ إذا استطعتَ أن تسترعي نظر المتعلِّمين الـذين تـدرَّبوا عـلى فهـم الأفكار الصعبة والآراء المستعصية، فربما وجدتَ مَن يسمع لكَ.

وهتف زرادشت: أجل ... أنتَ على حقٍّ ..

وقرر زرادشت أن يبدأ بالمتعلِّمين من بني وطنه .. ومَن كـان أكثـر تعلـيماً في الـبلاد إن لم يكن الملك والملكة وبقية أعضاء الأسرة المالكة..؟!

وهكذا انطلق زرادشت إلى " بلخ " ليشرح عقيدته للملك " كشتاسب "، وعنـد أبـواب القصر ظهر زرادشت وتراب السفر لا يزال يغطي قدميه، وقال لحـارس البـاب : اذهـبْ إلى الملك، وأخبره أني زرادشت سبنتاما نبي الإله الواحد الحكيم قد جئتُ لأراه وأعلّمه طريقـي الخير والشر.وانفجر حارس الباب ضاحكاً... فما كانت هيئة الرجل الذي يقف أمامه لتوحي بأكثر من أنه متسوِّل حقير..غير أن الضحكة العاليـة انقطعـت فجـأة .. مـع اللهجـة الآمـرة القوية التي انطلقت من بين شفتي زرادشت:

- اذهب أيها الحارس، وافعل ما أمرتُكَ به.

وارتعد الحارس، فقد لمس في صوت زرادشت ونظرات الغضب في عينيه ما يخفيه، ولكنه مع ذلك ظل واقفاً في مكانه لا حراك، به وأمسك زرادشت بيده كرة من النار، ورفعها في وجه حارس الباب، وهو يقول : لتكن هذه آيتي ودليلكَ على أني جئت باسم الإله الواحد الحكيم ..!

وانطلق حارس القصر في قوة واندفاع مذعوراً إلى قاعة العرش؛ حيث كان الملك جالساً يحيط به حكماؤه وكهنته، وهتف الحارس وهو يلهث :

- بالباب رجل عجيب حقاً يريد أن يراكَ أيها الملك، وهو يدعي أنه نبي من عند إله واحد، ويمسك في يده كرة من النار تلتهب، ولكنها لا تحرقه ..!

وسكت الملك برهة، ولكنه انتفض بعد لحظات ليأمر الحارس بدعوة الرجل الواقف بباب القصر.

ولم يكد زرادشت يظهر لدى باب القاعة حتى ارتفع صوته في حزم رهيب :

- أنا زرادشت سبتاما نبي الإله الواحد الحكيم .. جئتُ إليكَ أيها الملك لأحوِّل قلبكَ من الأصنام الشرِّيرة التافهة .. إلى مجد إله حق خالد حكيم..!

وحدَّق الملك طويلاً في الرجل الواقف أمامه رافع الرأس شامخاً ..ثم قال في صوت جهد أن يكون قوياً حازماً: أرِنَا برهاناً لديكَ تُثبت به صدق دعواكَ.

- أجاب زرادشت : إني أعلم كلمة الحق ضد كلمة الباطل، فإذا شئتَ أنتَ وحكماؤكَ أن تسألوني فسأردُّ عليكم بما يثبت لكم أن طريق العبادة التي تسيرون فيه وتمسُّككم بتلك الأصنام خطأ يشوبه ظلام حالك، وأن طريق الإله الحكيم الواحد خير مشرق كضوء النهار.

وتوجَّه الملك إلى حكمائه وكهنته، وقال :

- أيها الحكماء وكبار الكُهَّان .. اسألوا هذا الغريب عن تعاليمه، وسأجلس بينكم في مكان الحَكَم، لأقرِّر آخر الأمر أيّكم على حق، وأيّكم على باطل .

ونظر زرادشت ملياً إلى الملك، ثم قال يخاطبه:

- هل تعدني إذا تحقَّقت كلماتي أيها الملك بأن تتخلى عن عبادة الأصنام وطريقها الضال، وأن تتبع طريق الإله الحكيم الواحد المتألِّق بالنور؟!

ووعده الملك. وبدأت المناقشة الطويلة بين زرادشت وكهنة الملك كشتاسب..

ارتفع صوت كبير الكهنة في غضب: ما هي هـذه العقيـدة الجديـدة التـي تبشِّر بهـا أيهـا الرجل؟ وما هو موطن الاختلاف بينها وبين عقيدة آبائك الأولين؟

- أجاب زرادشت : لم أجئ لأبشر بعقيدة جديـدة، ولكـنْ؛ لتحسين عقيـدة قديمـة، والذي أعلمه هو حقيقة الخالق، وهو لهذا خير .. أمَّا عبادتكم للأصنام، فليست حقاً .. وهي من أجل ذلك شر.

وسأله كبير الكهنة : أَ تعني أن آلهتنا الشمس والنار والجبال والنجوم آلهة زائفة؟!

- أجاب زرادشت : كلا .. فهي ليست آلهة زائفة .. لأنها ليـست آلهـة عـلى الإطـلاق، ومثل ذلك كالرجل الذي يبني بيتاً .. هل تصفون البيت بأنه هو الرجل؟ إن هذه هي الحقيقـة .. فالشمس والقمر والجبال ليست آلهة، بل هي من صنع الخالق القوي.

- وسأله أحد الكهنة : مَن هو ذلك الخالق؟

- قال زرادشت : إنه هو" أهورامزدا " إله الحكمة والحاكم الأسمى للعالم....[1].

هذه المناقشة التي دارت بين زرادشت والكهنة طالت ثلاثة أيام، ردَّ من خلالها زرادشت على كل أسئلتهم، وذكرنا هذا الجزء الضئيل من الحوار الطويل لندرك ونقف على حقيقة دعوة زرادشت في عهدها الأول، وأنه كان يدعو إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والحساب والجزاء، وفي نهاية الحوار برَّ الملك بوعده، واعتنق تعاليم الإله الواحد الحكيم، وأعلن أن زرادشت هو النبي الحق لهذه العقيدة الجديدة، ثم دخل الناس في دينه أفواجاً، حتى أسرته التي رفضت في مستهلِّ الدعوة أن تُنصت إليه من قبلُ، ثم عادت تكرمه وتحيّيه محبة وإخلاصاً، وتعلن إيمانها به. لذا؛ ذهب الدكتور إبراهيم طاهر معروف[2] قائلاً : من المرجَّح عندي أن يكون زرادشت هو نبي الكورد والفُرْس وغيرهم، إذ نحن نعلم يقيناً بأن الله سبحانه وتعالى ما ترك أمة بلا نذير يرشدهم إلى الحق، ولا يُتصوَّر أن الله قد ترك هاتين الأمتين بلا نذير، ومن جهة أخرى نجد في بطون كثير من المصادر ذكر زرادشت، وكونه كان

---

(1) قصة الديانات، سليمان مظهر.

(2) في كتابه المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي.

نبياً، أضف إلى النصوص الآتية والتي يمكننا أن نقوّي بها رأينا وما رجّحناه من الرأي مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾[2].

وكذلك قبول الجزية منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت أنهم أهل كتاب، وما جاء في أقواله من الإيمان بالله وعبادته وطاعته والكفر بالشيطان ومعاداته والإيمان باليوم الآخر من الجنة والنار والأعراف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذ شرب المسكرات.

وكذلك اعتقاد الباحثين بأن تعاليم " آفستا " في ذلك العصر أفضل وأحسن من جميع الأديان والمعتقدات المعاصرة له، ويقول ابن حزم الظاهري[3] عن الديانة الزرادشتية: أما زرادشت؛ فقد قال كثير من المسلمين بنبوته، وقال ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن صحّت عنه المعجزة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[5]. فهل كان زرادشت من الرُّسُل التي لم يقصصهم الله علينا وعلى نبيه الكريم؟!

وقال ابن عباس رضي الله عنه وهو حبر الأمة وترجمان القرآن [إن أهل فارس لمّا مات نبيّهم كتب لهم إبليس المجوسية] .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان للمهاجرين مجلس في المسجد، فكان عمر يجلس معهم، ويحدِّثهم عمّا ينتهي إليه من أمر الآفاق، فقال يوماً : ما أدري كيف أصنع بالمجوس، فوثب عبد الرحمن بن عوف، فقال : أشهد على رسول الله " صلى الله عليه وسلم " أنه قال سنُّوا بهم سنَّة أهل الكتاب.

---

(1) سورة فاطر، الآية 24.

(2) سورة الشعراء، الآية 208 .

(3) في كتابه الفِصل في المِلَل والنِّحَل.

(4) ورة فاطر، الآية 24.

(5) سورة النساء، الآية 164.

فالأثر الوارد عن ابن عباس يذكر أمر نبي المجوس لكنه لم يذكر مَن كان هذا النبي الذي مات، وثم بدَّل دينه، وكذلك لم يقف على حقيقة ديانة الفُرْس التي تمَّ تحريفها قد نقتبس من قوله إن نبيهم كان زرادشت، لأنه لم يذكر في التاريخ للفُرْس والعجم نبي غيره أعظم وأجلّ شأناً إلا زرادشت ،فكان يدعو الفُرْس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولما مات هذا النبي، وسوس إليهم الشيطان، وقاموا بتبديل وتحريف دينهم إلى عبادة النار والنور، ولأن المجوسية تُطلق على عبادة النار، ومما يؤيّد هذا الكلام الحديث الوارد القائل عن رسول الله " سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب"، وأهل الكتاب هم أصحاب كُتُب وأنبياء مُرسَلون من قِبل الله.

لذا؛ يُقرُّ أكثر علماء المسلمين بنبوة زرادشت، وأنه كان نبياً ينبذ عبادة غير الله.

أمَّا الذين لم يصرِّحوا بنبوته؛ فإنهم يفوِّضون أمره إلى الله قائلين ربما كان من الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في القرآن، فهؤلاء - أيضاً - لا ينكرون نبوته ودعوته مستشهدين بالآية الكريمة لأنه قد يندرج تحت قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾[1].

لهذا يقول علماؤنا الأفاضل: ربما كان زرادشت من الأنبياء التي لم يقصصهم الله علينا في كتابه العزيز، وأننا جميعاً مؤمنون وموقنون بأن الله أرسل رُسُلاً وأنبياء، لم يرد ذكر أسمائهم في القرآن الكريم.

لو سلَّمنا بأن زرادشت هو نبي مبعوث من قِبل الله، فلا بد من أنه قام بدعوته إلى عبادة الله، والكفر بما سواه، ومن التخبط والخطأ أن نعتقد بمجيء نبي، ومن ثم؛ يقر بوجود إلهين اثنين في الكون إله للخير وإله للشر، فهذا شرك في حد ذاته، ويتنافى مع دعوة المرسلين كافة، ودعوة الأنبياء بريئة من هذا الادِّعاء، وكذلك زرادشت بريء من هذه الدعوى. أمَّا قوله بوجود صراع بين الخير والشر أو الظلمة والنور، فهذا وارد وجائز، وكذلك لم يُذكَر في

(1) سورة غافر، الآية 78.

الآفستا – قطُّ – ذكر الشيطان " أهريهان "مقابل أهورامزدا، بل إنه يذكر دائـماً مقابـل الفكـر الحسن؛ أي مقابل الخير، أي أن الخير عكسه الشر بهذا النمط والنموذج جـاء في "الآفـستا "، وهذا لا إشكال عليه، لأنه لا يعتبر الشيطان إلهاً عند كل الأديان والكتب السماوية، بل يعتـبر ويسمَّيالروح الشريرة أو قوة الشر أو الدافع على الشر.

وما الدنيا إلا صراع بين الخير والشر، هكذا نـادى زرادشـت، ثـم قـال : الإنـسان رغـم ضعفه يستطيع بأفعاله وأعماله الحسنة أن يهزم ويقهر الشيطان.

أمَّا الإقرار بوجود إلهين اثنين في الزرادشتية " إله للخير وإله للـشر " كـما يكتـب معظـم الكتاب والباحثين فهذا جور وإنكار لعنصر الوحدانية عند زرادشت، ومن الظلم والضيم أن ننسب هذا القول إلى زرادشت. نعم الحيـاة والكـون صراع بـين الخـير والـشر، ولكـن الإلـه الأوحد كما أقرَّ زرادشت هو " أهورامزدا ".

وما يتعلق بذهاب زرادشت إلى جبل سابلان كما تذكر روايات التاريخ ويتأمَّـل هنـاك في كهف من كهوف ذلك الجبل إلى أن جاءه وحي النبوة أو كائن نوراني أي بـدء نـزول الـوحي عليه، فنحن لا نملك دليلاً قطعياً على صحة هذه الروايـات إمَّـا أن نقبلـه إجمـالاً، أو نرفـضه إجمالاً، ولكنْ؛ أن نُجزئ هذه الروايات فنأخذ ما يوافق أهواءنا ونترك ما لا يوافقفهذا يتنـافى مع الحقيقة والموضوعية، ولكنْ؛ إذا قبلنا وحكمنا بصحة هذه الروايات، فـإن زرادشـت قـد بشَّر أتباعه بصاحب الجمل الأحمر، وهو نبينا محمد " صلى الله عليه وسلم "، وأيضاً في مكـان آخر بشَّر بثلاثة من الأنبياء يأتون من بعده، وحدَّد بين كل نبي والنبي فترة معينة مـن الـزمن، إذاً؛ فلا يصحُّ أن نجزأ هذه الروايات بعضها عن بعض، إمَّا قبولها جملة وتفصيلاً، أو رفـضها جملة، ولا سيما إذ لا تقوم كل الروايات المذكورة على أسسٍ سليمة، إلا أنهـا مجـرد محـض آراء وأقوال مبنيّة على الاجتهادات.

نعم؛ بشَّر النبيُّ زرادشت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا كان صلب دعوة زرادشت، وإلا سينطبق علينا قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ

تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وكذلك شتَّان بين أن تحبَّ نوراً وتقدِّسه وبين أن تعبد نـاراً وتؤلهـا، فالـشق الأول كـان يجانس تفكير زرادشت.

دامت نبوة زرادشت في قومه خمسة وثلاثين عاما. وخلفه من بعده العالم (خاناس)، وكـان مـن أهل أذربيجان، وهو أول موبذ[2] قام بالفُرس بعد زرادشت، وقد نصبه عليهم كشتاسب الملك[3].

واضحٌ أن تشويشاً ولبساً كبيرين يلفَّان عقيدة الزرادشتية، وإن كان يظهر فيها بعض ما يقرِّبها من التوحيد، ويبدو أن زرادشت قد وقف على عقائد المناطق المجاورة، وكان منهـا الحنفيـة التـي جاء بها إبراهيم عليه السلام في الصحف، وبسبب ذلك ظهرت هذه الملامح من التوحيد[4] .

دعا زرادشت قومه إلى عبادة الله، ولكنهم كانوا يرفضون دعوته. فقرر زرادشت أن يدعو قومه إلى تعاليمه والإيمان بها، واستمر في دعوتهم عشر سنوات، لقي فيها عنتاً واضطهاداً، ولم يؤمن به أحد، وتخلت عنه عشيرته وأسرته، بل طُرد من بلده، فتنقَّل بين البلاد والأقـاليم، إلا أن الناس تجنَّبوه، وأغلقوا دونه الأبواب؛ لأنه رجل يسبُّ الدين والكهنة، فتطـرق اليـأس إلى قلبه، وتزعم الأساطير أن " أهورامزدا" ظهر له، وأن الملائكة لقَّنته أصـول الحكمـة، وكثـيراً من الأسرار؛ فبدأت سحابة اليأس المظلمة تنقشع عن قلبه بعدما آمن به ابن عمه " ميتوماه"، الذي نصحه أن يدعو المتعلِّمين من قومه إلى تعاليمه؛ لأن تعاليمه الجديـدة صـعبة عـلى فهـم الناس غير المتعلِّمين.

(1) سورة البقرة، الآية 85.

(2) بمثابة قاضي القضاة عند المسلمين.

(3) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة.

(4) من قاموس الأديان، أسعد السحمراني.

أهم المعجزات التي نُسبت لزرادشت:

أيَّد الله – سبحانه وتعالى – كل نبي من أنبيائه بمعجزات تأييداً لهم على صدق رسالته، وعلى صدق دعوتهم من الله سبحانه وتعالى، والمعجزة عادة تكون من جنس ما نبغ به ذلك القوم، ليكون برهاناً على صدق رسالتهم.

والمعجزة سُمِّيت بهذا الاسم لأن العقل البشر تعجز على الإتيان مثلها أو تفسيرها؛ أي إنها تحدّ وتعجيز للإرادة البشرية المحدودة. وهي أمر خارق للعادة؛ أي أنها لا تحدث عادة، وتخالف نواميس وقوانين مألوفة يُعزى حدوثها إلى الله.

وقد أجمعت الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام على أن الله خالق الكون القادر على كل شيء يستطيع – إذا أراد – أن يوقف مجرى الطبيعة، أو أن يعطي بعض أصفيائه قدرة صنع المعجزات[1].

لا يخفى على أحد أن الله – سبحانه وتعالى – أعطى لرسوله الكريم معجزات عدة، أعظمها وأدومها القرآن العظيم، وكذلك انشقاق القمر، وتكثير الطعام القليل، وكذلك أعطى سبحانه لسيدنا عيسى معجزات كإحياء الموتى وشفاء الأبرص والأعمى، وأعطى لسيدنا موسى معجزة تحويل عصاه إلى ثعبان عظيم...

لذا؛ نسب بعض المؤرخين والباحثين معجزات عديدة لزرادشت، ولسنا متأكِّدين عن مدى صحَّة هذه المعجزات من عدمها لأسباب منها :

أولاً : خُلُو هذه المعجزات من سند يصل إلى زرادشت ليؤكِّد صحة هذه النسبة.

ثانياً: عدم توافر مصادر موثَّقة بعيدة عن التحريف والتشويش.

مهما يكن من أمر، لا بد أن نذكر تلك المعجزات، وأهمها التي وجدناها في متون بعض الكتب. تذكر رواية التاريخ أنه منذ أن وُلد الصبي {زرادشت} بدأ " دوران سرون" كبير السحرة ونائب الملك في المقاطعة يرتعد فرقاً، لأنه علم بولادته، وأنه سيكون له شأن كبير في محاربة الأصنام، وطرد السحرة والكهنة من جميع البلدان. تمكن " دوران سرون " من إحضار

---

(1) الموسوعة العربية الميسَّرة.

الصبي بواسطة ثلاثة من سحرته، ووضعه وسط النار على المذبح، وتركه، وانطلق من المعبد مع سحرته، معتقداً أن هذه هي نهاية زرادشت الصبي. ولما عادت إليه أمه من بيتها، ولم تجده، ذهبت إلى معبد النار لتصلي، وتدعو الآلهة أن تردَّه إليها، وإذا بطفلها على المذبح يلعب وسط النار. ولما فشل " دوران سرون " دبّر خطة جديدة لقتل الطفل، فوضعه وسط الطريق العام؛ حيث يمرُّ قطيع من الماشية، ولكن الذي حصل أن أول بقرة من القطيع أسرعت نحو الطفل، ووقفت تغطيه بجسدها لتحميه من بقية القطيع.

حاول مرة أخرى التخلُّص من الصبي، فوضعه في وكر للذئاب، ظاناً أنه إذا لم تقتله الذئاب، فسيموت جوعاً. ولكن ما حصل عكس ما توقَّع كبير السحرة هذا، فلم تجرؤ الذئاب على دخول الوكر، وإنما دخلته عنزتان حلوبتان بغير خوف، وبدأتا ترضعانه [1]. ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل تآمر الكهنة عليه، ودبَّروا مكيدة له، انتهت بأن أصدر الملك كشتاسب أمراً بالقبض عليه، وإلقائه في السجن، وأمر الناس أن يعودوا إلى عبادة الآباء والأجداد، ونفض عنه الإيمان بأهورامزدا. وتصادف في ذلك الوقت إصابة جواد الملك بمرض عضال، عجز الأطباء عن علاجه، ولم تنفع دعوات الكهنة للآلهة في شفائه، وعلم زرادشت بالأمر، فأرسل إلى الملك أنه يستطيع شفاء الجواد، شرط أن يعود الملك إلى تعاليمه التي هجرها، ووافق الملك على ذلك، وشُفي الجواد، وصدر الأمر بالإفراج عن زرادشت، وعاد الملك إلى تعاليمه، وآمنت المملكة به، وازداد إيمان الملك عندما رأى كثيراً من المعجزات تتحقَّق على يد زرادشت، الذي أصبح كبير كهنة الملك في بلاد بلخ بإيران.

يُذكر بأن أم زرادشت (دغدوية) رأت في نومها - وهي حامل - أن عدداً عظيماً من الحيوانات الضارية المفترسة قد انقضَّت عليها، وحاولت أن تفترسها، وتخرج الجنين من بطنها، وإذا بملك ينزل من السماء، ويصارع هذه الوحوش الكاسرة، فيصرعها، ثم تولي هذه الوحوش أدبارها فرقاً منه، ويبقى الجنين في بطن أمه سالماً، لم يمسسه سوء.

---

(1) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة.

فبعد أكثر من أربعين سنة تتحقَّق الرؤيا، وتؤوَّل بأن تلك الوحوش الضارية رمز "لأهريهان" وأعوانه من الشياطين وقوى الشر الذين يتربَّصون لزرادشت، ويحاولون الإيقاع به، وبأن الملك الذي نزل من السماء، وأنقذ الجنين وأمه وهزم الحيوانات الكاسرة رمز لميتيوماه ابن عم زرادشت، الذي كان أول مَن آمن به، كما كان صديقه الحميم المؤيّد له في نشر دعوته.[1]

عندما وُلد زرادشت بناء على ما تقصُّه الأدبيات الزرادشتية اللاحقة احتفلت كل مظاهر الطبيعة، وحدثت سلسلة من المعجزات التي رافقت ذلك الحدث المهم في تاريخ الكون وتاريخ الإنسانية، أمَّا الشيطان؛ فقد هرب واختفى من على وجه الأرض، ثم ما لبث أن أرسل زبانيته[2] لإهلاك الرضيع، فلما اقتربوا منه تكلم في المهد، وتلا صلاة للرب، طردت الشياطين، وعندما شبَّ عن الطوق جاء الشيطان لكي يجرِّبه، ووضع في يده سلطان البلاد كلها، مقابل تخليه عن مهمته القادمة، ولكن زرادشت نهره، وأبعده عنه[3].

وتدَّعي الزرادشتية له معجزات كثيرة منها دخول قوائم فَرَس كشتاسب في بطنه، ومنها أنه مر على أعمى بالدينور[4] فقال: خذوا حشيشة، وصفها لهم، واعصروا ماءها في عينيه، فإنه يبصر، ففعلوا، فأبصر الأعمى، وهذا من جملة معرفته بخاصية الحشيشة، وليس من المعجزات في شيء[5].

ويقال: بينما كان زرادشت فوق الجبل مستغرقاً في تفكيره إذ به يحس - فجأة - بنشوة روحانية تغمره وتنتشر في جميع أنحاء جسمه، وتملؤها نوراً وهّاجاً، ثم رأى كائناً نارياً يدنو منه وكأنه عمود من نور حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان، يحمل في يده عصاً من اللهب، ولم يلبث ذلك الكائن أن حلَّق فوق رأس زرادشت في صورة عمود آخر من النور، وأمره بخلع ملابسه، ثم أخذه أنه " فاهومانا " كبير الملائكة، وأنه جاء ليقوده إلى السماء ليحظى بشرف

(1) حامد عبد القادر / زرداشت الحكيم نبي القدامى الإيرانيين/ .
(2) الزبنيّةالشرطي، والغليظ الشديد جمع زبانية. وسمِّي بعض الملائكة زبانية لدفعهم أهل النار إليها.
(3) الزرادشتية نشأتها وفلسفتها، بحث أعدَّه الأستاذ مهدي مجيد عبد الله.
(4) دينور مدينة من مدن الجبال (ميديا) في العصور الوسطى، وهي الآن أطلال. فتحها العرب بعد معركة نهاوند، عمرت أيام الأمويين. خربت في معركة مرداويج الجيلاني. وقضى عليها تيمور " 1400".
(5) المِلَل والنِّحَل للإمام الشهرستاني، طبعة دار الكتب العلمية.

المثول بين يديّ رب السماء نفسه. وصدع زرادشت بالأمر، ولم يلبث أن وجد نفسه لدى إله النور الأكبر الذي يحيط به ضياء عظيم، وهناك تلقَّى كلمات الحق والحقيقة، وتعلم أسرار الوحي المقدسة[1].

ورواية أخرى عن التاريخ تذكر أن والد زرادشت كان يرعى ماشيته في الحقل فتراءى له شبحان، وأعطياه غصناً من نبات ليمزجه باللبن، ويشربه هو وزوجته دغدوية، ففعل وشرب ما طلبه منه الشبحان، فحملت زوجته. وبعد خمسة شهور من حملها، رأت منامها إن كائنات مخيفة هبطت من سحابة سوداء، فانتزعت الطفل من رحمها، وأرادت القضاء عليه، إلا أن شعاعاً من نور هبط من سماء مزَّقت هذه السحابة المظلمة، وأنقذ الجنين، وسمعت صوتاً من هذا النور يقول لها : هذا الطفل عندما يكبر سيصبح نبياً " أهورامزدا ".

وتعدَّدت الأساطير حول ميلاد زرادشت، ومنها أنه لما وُلد قهقه بصوت عال، اهتزَّ له أركان البيت، وتزعم الأساطير أنه وهو واقف على الجبل رأى نوراً يسطع فوقه، وإذا به "فاهومانا" كبير الملائكة قد جاء ليقود زرادشت إلى السماء، ليحظى بشرف لقاء الرب، ويستمع إلى تكليفه بأمر النبوة، فصدع بالأمر، ثم قال بعدها:سأنزل إلى الناس، وأقود شعبي باسم [أهورامزدا] من الظلام إلى النور ومن الشقاء إلى السعادة ومن الشر إلى الخير.

أمَّا المجوس؛ فيزعمون أن أصله من أذربيجان، وأنه نزل على الملك من سقف إيوانه وبيده كبّة من نار يلعب بها، ولا تحرقه، وكل مَن أخذها من يده لم تحرقه[2].

ومن عجيب ما يُروى أن زرادشت عرج في طريقه إلى كشتاسب على ملكين آخرين، وعرض عليهما تعاليمه، ودعاهما إلى الدخول في دينه، فرفضا، فعاقبهما الرب على ذلك بأن أرسل على بلادهما ريحاً صرصراً عاتية، وطوفاناً عظيماً طغى على أرضهما، فأغرقهما.

وقد حملت الريح الملكين اللذين تملَّكهما الغرور، ورفعتهما إلى جوِّ السماء، فبقيا معلَّقين بين السماء والأرض حيَّيْن، فاضطربت أمور رعاياهما، وساءت أحوالهما، فهُرعوا إلى

---

(1) عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة.

(2) من قاموس الأديان، أسعد السحمراني.

زرادشت يطلبون منه الصفح عن الملكين. ولكن الرجاء جاء بعد فوات أوانه، وبقيت جثتا الملكين معلَّقتين في الهواء تأكل من لحومهما طيور السماء، وتطعم منها أفراخها. وبعد أن أكلت الطيور اللحوم سقطت على الأرض[1].

مَن هم المجوس؟:

كلمة المجوس من الكلمات المعرَّبة، عُرِّبت عن لفظة {مغوس maghas } الفارسية التي تعني " عابد النار "، وهي من الألفاظ التي دخلت إلى اليونانية كذلك حيث وردت لفظة "magi"، وهي جمع المجوس (magus).

وعُرّف عالم المجوس ورئيسهم عند العرب بـ{الموبذان موبذ} بمنزلة قاضي القضاة عند المسلمين، ولم تكن فارس الزرادشتية تسمح بإقامة الهياكل والأصنام، بل كانوا يُنشئون المذابح المقدَّسة على قِمم الجبال وفي القصور أو في قلب المدن، وكانوا يوقدون النار تكريماً لـ [أهورامزدا] وقبل النار رمزاً للعدالة والصراع ضد قوى الشر، ولكنْ؛ مع قرون تولَّت من التاريخ الميلادي انتشرت المجوسية، وبدأت تظهر تماثيل في أغلب مدن الفُرْس الكبرى، وملؤوا كتبه بطلاسم الشفاء المرضى والتنبؤ بالغيب والسحر، فإن الكهنة لم يلبثوا أن نسوا ذكر زرادشت، وجعلوه في عداد المجوس، فأصبحوا أنفسهم سادة الإمبراطورية، وأصبح ملوك الفُرْس أنفسهم من تلاميذهم، فلا يُقدمون على أمرٍ ذي بال الأبعد استشارتهم فيه.

وبعد سبعة قرون تغيَّرت الزرادشتية من قمَّتها العقيدية الصحيحة في ذلك الزمان إلى عبادة النار – المجوسية – ومن قمة قيم الآداب والأخلاق إلى الحضيض، خاصة بعد ظهور المانوية والمزدكية في سنوات 205 م و 529 م على التوالي .

وقد ورد ذكر المجوس في القرآن الكريم مرة واحدة؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2]. وورد ذكر المجوس في

(1) حامد عبد القادر / زرداشت الحكيم نبي القدامى الإيرانيين/ .
(2) سورة الحج، الآية 17 .

الحديث الشريف؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجسِّانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟][1].

ويفرِّق الأستاذ حامد عبد القادر[2] بين الزرادشتية والمجوسية، فيقول: إن المجوسية شيء والزرادشتية شيء آخر، فالزرادشتية دين زرادشت (الذي جاء بالتوحيد ونبذ الوثنية والشرك والدعوة إلى الله)، أمَّا المجوسية؛ فدين فريق من الناس كانوا يمارسون السحر، ويعبدون النار.



إحدى مراكز المجوسية، يتوسَّطها شعلة نار للعبادة

أمَّا " المجوس " في المفهوم المسيحي؛ فقد جاء في قاموس الكتاب المقدَّس ما يلي: المجوس كلمة فارسية تعني " كهنة "، رتبتهم بين الحاكم والشعب في بلاد مادي وفارس، وكانوا خدمة دين زرادشت، وكانوا معروفين بلباسهم الخاص، وسكناهم المنفردة عن بقية الناس[3].

وقد صنَّفهم الإمام الشهرستاني – المجوس – من ضمن الذين لهم شبه كتاب. وقد تكون صحف إبراهيم وموسى شبه كتاب، والمجوس هم عبدة النيران القائلون إن للعالم أصلين نور وظلمة ... وقيل المجوس في الأصل النجوس لتديّنهم باستعمال النجاسات، والميم والنون يتعاقبان.

---

(1) رواه البخاري.

(2) في كتابه زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين.

(3) من قاموس الأديان.

والمجوس أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، وقد نبغوا في علم النجوم، فإنه لَّما وُلد عيسى جاء جماعة منهم بعثهم ملك الفُرْس يسألون أين وُلد الملك العظيم، وجاءوا إلى هيرودس يسألونه، وقالوا جئنا لنسجد له، حدثوا بما أخبر الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره، وأنه وُلد ببيت لحم، وأنكر ذلك هيرودس، ونقّب عنه – عن عيسى – وأمر بقتل الصبيان ببيت لحم من سنتين فما دونها، فعصمه الله، وخرج يوسف به وبأمه إلى مصر، وأُمر بذلك في نومه.

المجوسية يقال لها الدين الأكبر والملَّة العظمى، إذ كانت دعوة الأنبياء بعد الخليل عليه السلام، ولم تكن في العموم كدعوة الخليلية، ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثل ملَّة الحنفية[1] – أي الإسلام – إذ كانت ملوك العجم كلها على ملَّة إبراهيم وجميع مَن كان في زمان كل واحد منهم من رعاياها في البلاد على أديان ملوكهم، وكان للملوكهم مرجع يسمَّى {موبد، موبذان} – أي فقيه الفُرْس وحاكم المجوس – أعلم العلماء وأقدم الحكماء يصدرون عن أمره، ولا يرجعون إلا إلى رأيه، ويعظِّمونه تعظيم السلاطين.

والكاهن المجوس له مكانته؛ إذ يتمتَّع بامتيازات سياسية رفيعة ودينّية بشكل خاص، وهم، أي المجوس، يدينون بمبدأي الخير والشر " أهورامزدا و أور مزدا أهريما "؛ إذ يقومون بعرض أجسادهم عارية أمام تلك الآلهة، ويحضرون شراباً مسكراً يدعى هوما Haoma، الذي كان يستعمله الفُرْس باحتفالاتهم الدينية، فيحتفلون بطقوسهم في العراء مع وجود بعض المعابد لديهم، وهي على شكل حصون مربَّعة، يتألَّف المعبد منها من طابق واحد بغرفة واحدة يستعملها الكاهن للعناية بالنار المقدَّسة [2].

(1) كان عَبَدَة الأصنام في الجاهلية يقولون : نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام، سمُّوا المسلم حنفياً، فمَن مال إلى دين الحق واعتزل الأصنام وعبد الله عز وجل، فهو الحنيف .

(2) توماس بوا [تاريخ الأكراد].

طقوس لعبادة النار لدى بعض المجوس



أصل اليزيدية ومنشؤها

اختلفت كلمة الباحثين والمهتمين بشأن الطائفة اليزيدية، حول منشئها ومنبعها، مستفسرين وباحثين يا ترى من أين جاءت؟ ومن أين أصلها وتسميتها؟ جُلُّهم لا يألون جهداً، ويبحثون عن أصلها بعيداً عن منبعها الأصلي، ومن أي كلمة اشتقَّت اسم "اليزيدية". فمن أشهر هؤلاء المؤرخين الإمام أبو الفتح الشهرستاني[1]؛ حيث يقهقر أصل اليزيدية ومنشأها قائلاً : إنهم أصحاب يزيد ابن أنيسة الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة، وتبرَّأ ممَّن بعدهم إلا الأباضية، فإنه يتولاهم، وزعم – يزيد ابن أنيسة – أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كُتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى، محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون على ملَّة الصائبة المذكورة في القرآن.

(1) في كتابه المِلَل والنِّحَل، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

أمَّا السمعاني[1]؛ فقد قال في أصول هذه الطائفة بأن نسبتهم يعود إلى " يزيد بن معاوية الأموي " نسبة واضحة، لا لبس ولا غموض فيه.

وقال : أي – السمعاني –وجماعة كثيرة لقيتهم في العراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية، وهم يتزهَّدون في القرى التي في تلك الجبال، ويأكلون الحال، وقلما يخالطون الناس، ويعتقدون الأمانة – يريد الإمامة – في يزيد بن معاوية، وكونه على الحق، ورأيت جماعة منهم في جامع المرح – أي المرجليستقيم المعنى – عند منصرفي من العراق يوم الجمعة، وكان قد حضروا الجامع للصلاة، وسمعت أن الأديب الحسن بن بندار البروجردي، وكان فاضلاً سفاراً، نزل عليهم بسنجار، ودخل مسجداً لهم، فسأله واحد من اليزيدية: ما قولكَ في يزيد؟

فقال: أيش أقول فيمن ذكره الله في كتابه في عدة مواضع؛ حيث قال: ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾[3]، قال: فأكرموني، وقدَّموا لي الطعام الكثير...

يردف السيد عبد الرازق في حديثه عن أصل اليزيدية ومنشئها، نقلاً عن الأستاذ أحمد تيمور في رسالته " اليزيدية ": لقد تولى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهية من كثير المسلمين، ثم وقعت في زمانه كوارث ونوائب، كقتل الإمام الحسين رضي الله عنه، والعدوان على أهل المدينة، ونقلت عنه أمور من الاستهانة بالدين، والاستهتار بالشرب أكثرت فيه القال والقيل، وتسبَّب عن ذلك تشعُّب الآراء فيه: فذهبت الشيعة فيه مذهباً معروفاً، وافترق أهل السُّنَّة، فمنهم مَن غالى في بغضه، وأجاز لعنه، ومنهم مَن اقتصد، ومنهم مَن خالف وحسَّن الظن، وكان من هؤلاء الشيخ " عدي بن مسافر "، فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها رأيناه يقول فيها : وإن يزيد بن معاوية رضي الله عنه إمام وابن إمام، ولي الخلافة، وجاهد في سبيل الله، ونقل عنه العلم والحديث، وأنه بريء مما طعن فيه الشيعة من أجل قتل الحسن رضي الله عنه، وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيه.اهـ.

(1) في كتاب الأنساب.
(2) سورة فاطر، الآية 1.
(3) سورة مريم، الآية 76.

فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد بن معاوية، فإنهم تولوه أولاً تبعاً لرأي شيخهم، ثم جروا فيه على ما جروا عليه من الغُلُوِّ في غيره، فجعلوه ولياً، ثم نبياً، وما زالوا به حتى اتخذوه إلهاً من الآلهة السبعة، حين تمادوا في الضلال، واستغرقوا في السخافات والأوهام .

وقالت طائفة أخرى من المؤرِّخين عن الديانة اليزيدية بأنها واحدة من تلك الديانات القديمة المستقلَّة عن بقية الديانات، وربما المتحدِّرة منها، والمتداخلة فيها بعض الطقوس والعادات أو حتى الأساطير والحكايات القديمة .

أطلق أصحاب هذا الرأي عنان قولهم؛ حيث لو أننا نسبنا اليزيدية إلى أي دين قديم لربما قالوا لك نعم إنه مأخوذ وفرعٌ منه، والسبب لأنهم يريدون انحداراً وأصولاً قديمة لها، ومن غير دليل ينهض عليه، المهم أنه قديم، منبعه يأتي من كل حدب وصوب، من أي دين يستمد أصوله،وأي نبي وضع أسسه، فهذا غموض يستعصي تفسيره. وينسب البعض الآخر أصول الطائفة اليزيدية بأنها مشتقَّة من مدينة [يزد] الإيرانية، ويُعلِّلون بأن اليزيديين الحاليين في الأصل كانوا زرادشتين يعتقدون بالثنوية، وقد هاجر بعض هؤلاء من يزد إلى نواحي الموصل هرباً من الضرائب الكثيرة، واتخذوا من مناطق حلبوسنجار وبحيرة وان والقفقاس مواطن جديدة، فأُطلق عليهم اسم منطقتهم التي رحلوا منها، فسُمُّوا يزيديين.

وفقاً لرؤية هذا الفريق من الباحثين فهم (اليزيديون) تركوا موطنهم الأصلي هروباً من ثقل وفظاعة الضرائب المفروضة عليهم، ومن ثم؛ بدَّلوا وغيَّروا دينهم من الزرادشتية إلى اليزيدية، ولكنهم لم يبيّنوا كيف تمكَّنوا من تغيّير دينهم، ولماذا غيروه؟ ومَن الذي دعاهم إلى هذه التسمية الجديدة؟ ولمَ كانوا غير راضين عن تسميتهم القديمة حتى يغيِّروها، ومَن كان حامل راية هذا الدين الجديد حتى يترك الجميع معتقدهم الزرادشتي، ويدينوا باليزيدية؟ بالمقابل؛ نرى أن قسماً من الزرادشتين هاجروا إلى بلاد الهند ومدينة بومباي بالتحديد منذ آلاف السنين، ومازالوا محافظين على دينهم ومعتقداتهم، رغم تعرُّضهم للكثير من الضغوطات والصعوبات، ويطلق عليهم الآن بـ (البارسيين)، فلمَ هؤلاء اليزيديون لم يصمدوا كإخوانهم في بومباي؟ لمَ تحوَّلوا من الزرادشتية إلى اليزيدية مع تغيُّر وتبديل عدد الآلهة والمعتقدات التي سنراها ونبحثها لاحقاً؟

نعم، من الصعب تسمية ديانة باسم المدينة التي انطلق منها هذا الدين – كما قال الباحثون[1]، فهل سُمِّيَت اليهودية باسم أورشليم، والمسيحية باسم الناصرة أو بيت لحم، والإسلام باسم مكة المكرمة؟ وبالتالي؛ فلا وجود لإله هو إله الخير، وآخر هو إله الشر في اليزيدية.

أمَّا البروفسور جاكسون من جامعة كولومبيا المؤلف الشهير عن الأديان؛ فيقول : بأن الكثير من عَبَدَة النار والزرادشتية ومعتنقي المعتقدات الخرافية المنتشرة في المنطقة قد دانوا بالديانة اليزيدية. فنفهم من قوله بأن اليزيدية لا تمتُّ بأي صلة إلى الزرادشتية، وهي ديانة قائمة ومستقلَّة بحالها.

كما أن مؤلّف كتاب " طاووس ملك " [2] يذكر بأن بعض الكتَّاب أكَّدوا بأن اليزيدية يعتقدون أنهم من أصل صابئ أو كلداني وأنهم من الجاهليين.

وقد علَّل القس سليمان الصائغ في كتابه [3] بأن تسميتهم تعود إلى كونهم كانوا يعبدون إلهاً اسمه " يزد " أو " يزدان "، وكلمة يزدان تعني الإله بالفارسية، وتعني الكلمة عبدة الله، ويسمَّى اليزيديون أنفسهم بالداسانيين وهذه الكلمة مأخوذة من (دئيف سنة ؛) أيْ عابد الإله[4].

أمَّا الدكتور عبد العزيز سليمان؛ فيذكر قائلاً : تاريخ اليزيدية يعني بالضبط ما أعرف تاريخ اليزيدية عندهم، بس أنا أقول اليزيدية هي منحدرة من الأقوام القديمة اللي سكنت بلاد الرافدين، خاصة في الشمال، يعني منطقة كردستان الحالية، وتمتد جذورهم إلى الميديين، والميديون هم أجداد الكورد، ويقال طبعاً في ذاك الوقت كان النبي إبراهيم الخليل هو اللي ظهر في منطقة حران، وهي منطقة في كردستان، وتنبَّأ هناك، وأصبح نبياً، والكثير من اليزيديين يقولون بأن إبراهيم الخليل هو " يزيدي "[5].

(1) الباحث نشأت سندي، البحث بعنوان بقعة الضوء على ظلمة الديانة اليزيدية.
(2) ر. هـ. وأمبسن.
(3) تاريخ الموصل.
(4) زهير كاظم عبود « اليزيدية حقائق وخفايا وأساطير».
(5) التلفزيون، القناة العربية، برامج " مهمة خاصة "، معد البرامج باسم الجمل.

أمَّا الباحث الدملوجي؛ فيعتقد أن هذه التسمية لا ذكر لها في التاريخ قبل القرن السادس الهجري[الثاني عشر الميلادي]. وأمَّا ما أتت عليه بعض المصادر من ذكر لأناس أُطلق عليهم هذا الاسم قبل ذلك؛ فإن هؤلاء غير " اليزيديين أو اليزيدية " التي نحن بصددها، والتي تنتمي إلى الشيخ " عدي بن مسافر "، بل من الخطأ الاعتقاد أن الشيخ عدي هو الذي أطلق اسم اليزيدية على أصحابه، أو أنهم كانوا يحملون هذا الاسم قبل ظهوره – أي ظهور الشيخ عدي – والمرجّح أو حتى المؤكّد أن هذا الاسم أُعطي لهم من قِبل كتبة الإسلام في بداية القرن الثامن الهجري{الرابع عشر الميلادي} أو قبل ذلك بقليل[1].

والبعض الآخر يعتبر اليزيدية هي فرقة منحرفة نشأت سنة 132 هجري إثر انهيار الدولة الأموية، كانت في بدايتها حركة سياسية لإعادة مجد بني أمية، ولكن الظروف البيئية وعوامل الجهل انحرفت بها، فأوصلتها إلى تقديس {يزيد بن معاوية وإبليس} الذي يُطلقون عليه اسم " ملك طاووس "، وبداية تأسيسها تعود عندما انهارت الدولة الأموية في معركة الزاب الكبرى شمال العراق سنة 132 هجري، وهرب الأمير إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد إلى شمال العراق " كردستان "، وجمع فلول الأمويين داعياً إلى أحقِّيَّة يزيد في الخلافة والولاية، وأنه " السفياني " المُنتظَر الذي سيعود إلى الأرض ليملأها عدلاً كما مُلئت جوراً، ويرجع سبب اختيارهم لمنطقة الأكراد ملجأً لهم إلى أن أم مروان الثاني[2] الذي سقطت في عهده الدولة الأموية كانت من الأكراد.[3]

ويقول عامر سلو رشيد الذي تخلى عن يزيديته واعتنق الإسلام " التشيّع " وهو من مواليد الموصل – وسنورد كل أقواله التي أدلى بها ونُشرت على عدة مواقع إلكترونية في حينه إن شاء الله – قائلاً عن منشأ ديانته السابقة: لقد ذكر بعض مَن كتب عن ملّتنا أن سبب

---

(1) انظر اليزيدية واليزيديون للدكتور خلف الجراد.

(2) مروان بن محمد بن الحكم آخر الأمويين من " الأعياص "؛ أي نسبة إلى أبي العاص بن أمية، بويع بالجزيرة في صفر سنة 127هـ فلم يستقر له حال، ولا ثبت في مكان، واضطربت الأمور بكثرة بعد خروج بني عمه عليه وغيرهم، واختُلف في أمه: فقيل أم ولد { اسمها ريّا} . وقيل بنت جَعدَة بن كلب من بني عامر بن صعصعة. وقال القلقشندي: أمُّه لبابة جارية إبراهيم بن الأشتر الكردية./ موجز تاريخ الإسلام ابن حزم الأندلسي/ .

(3) الندوة العالمي للشباب الإسلامي " اليزيدية ".

التسمية هي نسبة إلى " يزد " المدينة الإيرانية، وبعضهم احتمل نسبتهم إلى "يزيد بن معاوية" ولكن الحقيقة ليست كذلك، فاليزيديون يعتقدون أن الشيطان كان نبياً بعثه الله إلى العالم كله، ولكن المسلمين لعنوه، ولم يتبعوه، هكذا انحرف المسلمون، وظل اليزيديون وحدهم يتبعون هذا النبي الخرافي، الذي له عدة أسماء في عقائدهم منها " طاووس ملك "، ومنها "يزيد"،ومن هنا جاءت تسميتهم باليزيدين، ولكنْ؛ لا تنسى أن تأسيس هذه الفرقة جاءت كما أسلفت من شخص يتحدَّر من نسب يزيد بن معاوية[1].

إنه يعتقد بأن أصل تسمية ديانته السابقة تعود إلى اسم من أسماء الشيطان الذين هم يطلقون عليه بـ [يزيد]، أمَّا مؤسِّس هذه الديانة؛ فيتحدر من نسب يزيد بن معاوية.

أمَّا الكاتب درويش حسو؛ يرجع أصل اليزيدية إلى ديانة الزرادشتية، ولكن هذا الرأي قُوبل بالنقض، حتى من جهة اليزيديين أنفسهم، ويقول زهير عبود[2] بأن تزامن وجود الديانتين يؤكّد انفصالهما، وأن كل دين مستقل عن الآخر، مع عدم إنكار التأثير المتبادل بينهما، علماً أن اليزيديين يعتقدون أن مؤسّس دينهم هو إبراهيم الخليل عليه السلام.

ويُقر السيد/ زهير كاظم/ أن كلاً من اليزيدية والزرادشتية تأثرا ببعضهما.

فأمَّا تأثير اليزيدية بالزرادشتية؛ فهذا ممكن ووارد في عدة مواطن، أمَّا تأثيرالزرادشتية باليزيدية؛ فبماذا تأثَّرت؟ هل الزرادشتيون يقدِّسون الشيطان؟ هل الآلهة السبعة الموجودة في اليزيدية هي موجودة في الزرادشتية؟ ينكر كل الباحثين والمؤرخين أن تكون الزرادشتية تأثرت باليزيدية، كل النباتات وجميع أصنافها حلال في الزرادشتية، أمَّا في اليزيدية؛ فهناك عدة أنواع من النباتات والخضروات محرَّم أكلها، ولم يقل أحد بأن اليزيدية أقدم من الزرادشتية، إذاً؛ أين مواطن تأثُّر الزرادشتية باليزيدية؟!

---

(1) عامر سلو الذي تخلَّى عن اليزيدية كتبناه كما ورد إلا أننا قمنا بحذف بعض الكلمات لما فيها من إهانة وشتم للآخرين؛ ليقيننا أن اللعن لا يجوز في حق أحد، فالذي يلعن شخصاً فإن "اللعنة" تصعد إلى السماوات، فلا يفتح لها، ثم تُردُّ تلك اللعنة إلى صاحبها؛ إذ لا يجوز في الدين الإسلامي أن نلعن حيواناً، فكيف نتجرَّأ على لعن إنسان ؟!

(2) في كتابه اليزيديةحقائق وخفايا وأساطير.

ثم كيف يقول اليزيديين بأن نبيّهم هو "إبراهيم الخليل" عليه السلام، وإبراهيم هو الرافع والباني لـ (مكة المكرمة)؟ فلمَ لا يتَّجهون إلى قبلة نبيهم إبراهيم؛ أي " مكة"، أم أنهم تخلوا عن نبيّهم، وبالتالي؛ لا يقتدون به؟ فلمَ هذا التنكُّر لنبيّهم وقبلتهم؟ ولمصلحة مَنْ؟

وكيف تكون اليزيدية أقدم تاريخاً من إبراهيم عليه السلام وكل المؤرخين حتى المدافعين عن اليزيدية يقولون بأن اليزيدية لا تسبق في العهد والتاريخ على الزرادشتية، ومن المعلوم أن بعثة إبراهيم أقدم من الديانة الزرادشتية، فكيف تكون اليزيدية أقدم وأسبق عهداً من إبراهيم؟!

نعم، ينفي الباحثون أن يكون أصل اليزيدية يعود إلى الزرادشتية[1] قائلين : لو كان زرادشت نبياً لليزيديين لكانوا - على الأقل - ذكروه ولو مرة في صلواتهم وأدعيتهم الدينية ... بينما يجري ذكر الأنبياء الآخرين مثل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ودانيال ....

لكن الأسطورة اليزيدية ليست المصدر الوحيد لمحاولة اكتشاف أصلهم الديني؛ المسيحيون الشرقيون عندهم رواية تقدم تفسيراً مغايراً لروايات اليزيدية، ربما للتأثير على اليزيدية مدَّعين أنهم مسيحيون بالأصل، لكن ذلك الجهل وضعهم في ظرفهم الحالي. الأحاديث المنسوجة حول ضريح " شيخ آدي " أنه كان سابقاً ديراً نسطورياً المشهور بولاء رهبانه، لكنْ؛ تمَّ إغواؤهم من قِبل الشيطان، وهجروا ديرهم.

وكانت كنيسة الدير مكرَّسة لذكرى القدِّيس " ثيديوس " أو آدي نفسه أحد التابعين الاثنين والسبعين الذي أرسل للملك " ابجر" حاكم أوديسا بعد صعود المسح إلى السماء،

ويقال أيضاً إن معبد آدي له شبيه في القدس، أمَّا قصة الدير المهجور؛ فهي كالتالي : في يوم العيد العظيم، وبينما الناسكون يحملون الصليب في موكب مهيب حول الكنيسة، شاهدوا على إحدى الأشجار، قطعة ورق منقوش عليها : " أيها الرهبان المؤمنون ! لتعلموا بأن الله قد غفر لكم كل ذنوبكم، الكبيرة والصغيرة، توقَّفوا عن أداء شعائركم الدينية؛ غادروا صومعة تنسُّككم، انتشروا، تزوَّجوا، وأنجبوا، وربّوا الأطفال، ليباركم الرب ! " في اليوم الثاني لاحظوا نفس الشيء : ممَّا أدى إلى احتدام الجدل والصراع بينهم، هل هذه كانت مرسَلة من

(1) نشأت سندي. المرجع السابق.

الله أم من الشيطان؟ عندما تكرَّرت نفس الحادثة في اليوم الثالث، وافقوا على مغادرة الدير وإطاعة ما بدا إليهم كأنه أمر الهي .

تستمر أسطورة[شيخ آدي] في الحديث، حيث أنه تنبأ إلى اليزيديين بأن منطقة الرهبان وهذا الدير ستؤول لهم والرهبان سيهجرون مأواهم، ويصبحون يزيديين يتزوجون وينجبون الأطفال؛ مات الشيخ خلال تلك الفترة؛ وأوصى أتباعه أن يهدموا مذبح الكنسية ليكون ضريحه الذي سيدفن فيه حال مماته؛ ليصبح منذ ذلك الوقت حسب الرواية، مزاراً مقدَّساً للمؤمنين بالشيطان، تأييداً لهذا البيان كان هناك نقش سرياني يعود إلى العصر الذي شُيِّد فيه الدير في المعبد يذكر اسم مؤسِّس الدير والبطريرك؛ يؤكّد البعض من اليزيديين أنفسهم على هذه الحقيقة، قائلين بأنهم أزالوا الكتابة من مكانها السابق، وأخفوها في المدخل المزار، إلا أن مكان الكتابة لا يعرفه إلا القليل. فما السبب لإخفاء هذه الآثار التي تكشف عن حقيقة أصحاب المكان الأصليين؟ ربما الخوف من أن يراه النسطوريون، وتسترده الكنيسة.

ويرد الكاتب على هذه الرواية المسيحية قائلاً : بالطبع؛ هذه الرواية عن التنسيب إلى المسيحية الشرقية فيما يخصّ أصل اليزيديين ليست إلا مجرد أسطورة؛ لكن طبيعتها وسماتها تستوجب تمعناً وتمحيصاً دقيقاً ... في هذه القصة أمر جدير بالملاحظة، فهي ليست من وحي الخيال، المقصود أن المزار كان ديراً مسيحياً، وليس أن اليزيدية مسيحو الأصل، فالجهل كان العامل الأهم مع مرور الزمن لتضيع العديد من الحقائق أو قد تنسى[1].

والمؤيّدون لهذا الرأي يذكرون - أيضاً - دليلاً آخر على صحة زعمهم قائلين : إن كل الناس القاطنين في جبل سنجار كانوا سابقاً مسيحيين، يعودون إلى الكنيسة السريانية القديمة وأتباع أبرشية بارزوة جدا، تسمَّى أبرشية شاكي أو شينكار؛ هذه الأبرشية استمرت بالوجود حتى منتصف القرن الثامن عشر، مما يؤيّد هذا الادّعاء في الوقت الحاضر وجود مكتبة في جبل "sinjar" بحوزة اليزيديين، تحتوي الكتب السريانية القديمة، تلك الكتب محفوظة في غرفة صغيرة محروسة من قِبل بعض اليزيديين. وفي يومي الأحد والجمعة من كل أسبوع يحرقون

(1) موقع الجزيرة توك، الترجمة والمناقشة لكتاب/ اليزيدية عبدة الشيطان الأساطير والحقائق المزيفة/ .

البخور، ويضيئون المصابيح تكريماً للمخطوطات؛ ومرة كل شهر يخرجونها إلى الشمس لإزالة الغبار والرطوبة المؤذية عنها، بعد إغلاق الباب يبقى المفتاح مع الشيخ بالإضافة إلى ابنه لا أحد غيرهما يسمح له بلمس الكتب، الأمر الأكثر إثارة، القاطنون في جبل شنكال "sinjar" يقولون إنهم ورثوا تلك المكتبة القديمة من أسلافهم المسيحيين، علاوة على ذلك، هناك أسماء البلدات الرئيسية لليزيدية سريانية مدوَّنة في تلك المكتبة داخل المعبد مثل:

"sika،ba" وتعني منزل متَّهمين ظلماً أو المضطهدين.

و "adrie،ba" وتعني مكان تقديم العون أو المأوى.

و" bahazanie" وتعني مثوى الرؤى والإلهام.

و"talhas " وتعني تل المعاناة، وهو المكان الذي استشهد فيه العديد من المسيحيين على يد الفُرْس. وهذا غيض من فيض قرى يزيدية ذات أسماء سريانية، والشعائر الدينية لليزيدية لا تجد لها شبيهاً إلا في الكنيسة المسيحية فقط، وأعني مناسك المعمودية والقربان المقدَّس، فهي حقيقية كاستعمال الماء كطقس بالطواف غير المسيحية الأخرى مثل mandeas المندائية.

هذه المناسك المتشابهة تثير سؤالاً ملحَّاً عن جذور اليزيدية والصلة بالمسيحية أكثر من أي منظومة دينية أخرى، مثل جيرانهم الدوسينيين "dawaseni " فالشيخ اليزيدي مثل الكاهن المسيحي، يضع يده على رأس الطفل للتعميد في سنّ مبكّرة قدر الإمكان، فيما يتعلّق بالطقس الديني المسمَّى عشاء الرب، فهو طقس مسيحي حتى النخاع[1] ...

تلك مجمل الآراء التي ذُكرت في أصل هذه الديانة أو الطائفة. ويُلاحظ ممَّا تقدَّم صعوبة التوصُّل إلى أصل ومنشأ هذه الديانة. ومن العسير الوصول إلى تفسير واحد يتفق عليه المؤرخون والباحثون حول أصولها؛ لأن اليزيديين أنفسهم تفرَّقوا إلى شيع وفرق في أصل تسميتهم من أين جاءت، وفي حياتهم العملية وطقوساتهم الدينية يقدِّسون يزيد بن معاوية، ثم المدافعون عن الطائفة يبرِّؤونها من أيِّ صلة تصلها بـ" يزيد بن معاوية".

---

(1) موقع الجزيرة توك، الترجمة والمناقشة لكتاب / اليزيدية عبدة الشيطان الأساطير والحقائق المزيفة/ .

قسم نسبهم إلى يزيد بن معاوية، ومنهم مَن ينسبهم إلى يزيد بن أبي أنيسة، ومنهم مَن ينسبهم إلى الشيطان، وأن اسم يزيد هو أحد أسمائه، وبعضهم رجعوا أصولهم إلى مدينة "يزد" الإيرانية، والبعض الآخر إلى كلمة[يزدان] أي الله بالفارسية والكردية، والرواية الأخيرة تعود بأصولهم إلى ذات جذور مسيحية .

إذا كانت اليزيدية قد اقتبست من النصارى التعميد، وكذلك في شربهم للخمر وتطلُّعهم بالنظرة المقدَّسة للخمر حين تناولها، بالإضافة إلى العشاء الربَّاني، فإنهم قد اقتبسوا من الإسلام الكثير والكثير، وما طوافهم حول مرقد الشيخ عدي بن مسافر، وكذلك حول مراقد أصحابه الأوائل، وما الزمزم وحجّهم إلى لالش وأدعيتهم ونطقهم للشهادة إلا أمور مقتبسة من الدين الإسلامي بلا منازع؛ لأن هذه الطقوسات كلها حديثة العهد عندهم فمرقد الشيخ عدي تاريخه يعود إلى عام 557 هجري أي بعد الإسلام بخمسة قرون ونصف، ومن المعلوم أن لالش كان ديراً نسطورياً مسيحياً قبل حلول وقدوم الشيخ عدي إليه.

بيد أن " توماس بوا[1]" يقول عن نشأة اليزيدية ... وأمَّا اليزيدية فالحقائق تثبت بأنها انشقَّت مباشرة عن الإسلام، ولإثبات ذلك لا بد لنا من أن نسبر في غورهم لنصل إلى أعماق أفكارهم الدينية؛ إذ لا يبدو للعيان سوى عادتهم وتصرفاتهم الظاهرة، بينما تبدو خصائص المسلم الجوهرية بهذا الصدد واضحة جلية من حيث الوصف والتسمية، التقويم، تحريم إقامة تماثيل للإنسان والختان، إلخ... والحج إلى قبر الشيخ عدي، وهو تقليد واضح للحج إلى مكة المكرمة، وتمارس عند ذلك القبر طقوس الحج الإسلامية، مع استعمال أسماء عربية أكثرها غير معروف لدى الأكراد، ويظل الجو بمجمله صوفياً... والزعيم الديني جاء من الصوفية.

يبدو أن الباحثين لا يملكون دليلاً قوياً، لذا كلما وجدوا مادتي " الياء والزاي " ملتصقتين، هبوا ونسبوا أصولهم إلى ذينك الحَرْفين.

هذه الطائفة مجهولة المعالم والتاريخ، وخاصة قبل القرن السادس الهجري، وهذا ما ذهب إليه الباحث صديق الدملوجي.

---

(1) في كتابه تاريخ الأكراد.

والذي جعلنا نسير مع هذا الرأي لأن اليزيديين أنفسهم يرفضون الرأي القائل بأن أصل ديانتهم من " يزد "، أو أنهم طائفة انشقت وانبثقت من الزرادشتية، فلا سبيل أمامهم إلا شيء واحد، وهو أن يخرج علماء ومشايخ اليزيدية من حجرات مغلقة، ويعلنوا عن صمتهم، ويبينوا للملأ عن أصل طائفتهم ومنشئها، ويكشفوا عن هذا الغموض الذي يعتري أصولهم، ويزيلوا الشك باليقين، وإلا سيكون رأي العلامة توماس بوا أقرب إلى القبول والصواب من حيث أدلتهم المقنعة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۭ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۭ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّۭا وَلَا نَصْرَانِيًّۭا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًۭا مُّسْلِمًۭا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

الموازنة بين أصول الزرادشتية ومنشأ اليزيدية

الموازنة بين هاتين الملَّتين لا تلتقيان لبُعد الشقَّة والهوَّة بينهما، ولأن إحداهما واضحة المعالم والمنشأ لاسيما المؤسِّس، بينما الأخرى غامضة المعالم مكتومة المنشأ ومجهولة المؤسِّس والنسبة.

فالديانة الزرادشتية تُنسب إلى زرادشت نسبة لا مرية فيها، الذي كان نبياً من أنبياء الله، بشَّره بالوحي وهو على ظهر جبل سابلان، يتأمَّل في خلق السموات والأرض، وحين ذاك كان في الثلاثين من عمره، ثم نزل زرادشت من على الجبل متحمِّساً، وبدأ يدعو قومه وعشيرته إلى عبادة الإله الواحد الحكيم، ويذكر بعض المؤرخين بأن دعوة زرادشت كانت لقاطني تلك المنطقة كافةً ولجميع أجناسها وأشكالها، وأرجع المؤرخون بداية دعوته إلى قرونٍ وأعوام شتّى، ولم يتَّحد قولهم في زمن بعثته، وبعضهم أرجعها إلى الربع الأخير من القرن

---

(1) سورة آل عمران، الآيات 64، 65، 66، 67 .

السابع؛ أي حوالي 630 قبل الميلاد. وبعضهم قالوا بأنه بُعث ما بين العام 1500 و1600 قبل الميلاد، ومنهم مَن ذهب إلى أبعد من هذا وذاك، وقال بأنه بُعث قبل الميلاد بستين قرناً.

مهما باعدت الفجوة بين الروايات التاريخية في سياق تاريخ بعثته إلا أنه يدل على شيء واحد، وهو أن الديانة الزرادشتية مؤسِّسها زرادشت بن يورشسب، وأنه من أهل أذربيجان، وأمه دغدوية من بلاد الري، وأن هذه الديانة كانت لجميع شعوب المنطقة من الكورد والفُرس وغيرهم، وأن ركنها الأساسي الدعوة إلى عبادة الله، ونبذ الآلهة المتعددة، وقد أقام مؤسسها أسس السعادة في هذه الدنيا على ثلاثة قواعد : الفكر الحسن والقول الحسن والفعل الحسن، وجاء بكتاب أسماه " الآفستا " أي كتاب المعرفة والحكمة، ومعقل ظهور وانتشار هذه الديانة كانت في بلاد الفُرس. أما الملَّة اليزيدية؛ فقد دارا رحى الاختلاف حول أصولها ومعرفة منشئها إلى حد يستعصي التوافق والتجانس بين آراء الفرقاء في هذا الخصوص، لأن الآراء المذكورة لا تمتُّ للآخر، ولا يدنو منه بصلة؛ حيث ينسب البعض أصول هذه الطائفة إلى يزيد ابن أنيسةأو (عنيزة)، وهو من مواليد مدينة الرها، ورؤية الإمام الشهرستاني حول الزرادشتية واليزيدية مختلفة كلياً؛ حيث يقر الإمام بأن المؤسس لديانة الزرادشتية هو زرادشت، ولكنه في اليزيدية يقول بأن أصولهم تعود إلى زيد بن أنيسة، والمعروف عن الشهرستاني جلالة قدره وسعة علمه؛ حيث لا يُشَكُّ في تبحُّره للعلم وعالم الأديان والمذاهب القاصي والداني.

أمَّا السمعاني صاحب كتاب الأنساب؛ فقد نسبهم إلى يزيد بن معاوية نسبة لا لبس فيها ولا غموض. ويقول العلامة السيد عبد الرازق الحسني : وليس في المصادر التاريخية التي بين أيدينا ذكر لهذه الطائفة قبل القرن السادس للهجرة. ويؤيد هذا الرأي الباحث صديق الدملوجي، غير أنه لما اشتهر الشيخ عدي بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة، وتسامع به الناس، فقصدوه من الأطراف للاسترشاد، وتبعه خلق كثير.

والبعض الآخر يقول عن بدايتهم إنها عندما انهارت الدولة الأموية في معركة الزاب الكبرى 132هجري وهرب أمير إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد إلى شمال العراق، ثم جمع فلول الأمويين داعياً إلى أحقِّية يزيد في الخلافة.

وفيما خلاف كل ما ذكرناه آنفاً، فإن البعض ينسب أصول اليزيدية إلى مدينة يزد الإيرانية، وأن أصل اليزيديين كانوا زرادشتين، ثم بدَّلوا دينهم، وهذا ما يرفضه اليزيديون أنفسهم.

أمَّا أمثال البروفسور جاكسون ومَن سار على نهجه؛ فيقولون بأن الكثير من عبدة النار والزرادشتين ومعتنقي المعتقدات الخرافية قد دانوا باليزيدية، ممَّا يُفهم من قولهم أن اليزيديين غير زرادشتين، وبعضهم يقول إن أصولهم من أصل كلداني أو صابئي. أمَّا الرؤى المسيحية في هذا الشأن؛ فتقول بأن أصولهم كانت مسيحيّة، وإن معبد لالش ما هو إلا دير للمسيحيين، ثم حدث ما حدث، إلى أن قامت هذه الطائفة بتغيير مسيحيتها إلى ما يعتقدونه حالياً، وممَّا يؤيد روايتهم وجود مكتبة تحتوي على الكتب السريانية القديمة في جبل سنجار، وهي - الآن - في حوزة اليزيديين، تلك الكتب محفوظة في غرفة صغيرة محروسة من قِبل بعض اليزيديين .

بالإضافة إلى هذا أو ذاك، فإنهم يحترمون الدين النصراني، حتى إنهم يُقبِّلون أيدي القسس، ويتناولون معهم العشاء الربَّاني، يعتقدون بأن الخمرة هي دم المسيح الحقيقي، وعند شربها لا يسمحون بسقوط قطرة واحدة منها على الأرض، أو أن تمس لحية شاربها.

وقد أخذوا عن النصارى ((التعميد))؛ حيث يؤخذ الطفل إلى عين ماء تُسمَّى (عين البيضاء) ليُعمَّد فيها، وبعد أن يبلغ أسبوعاً من عمره، يُؤتى به إلى مرقد الشيخ عدي بن مسافر؛ حيث زمزم، فيوضع في الماء، وينطقون اسمه عالياً، طالبين منه أن يكون يزيدياًومؤمناً ((بطاووس ملك))؛ أيْ إبليس.

علاوة على أنهم يكنُّون احتراما بالغاً للمسيحية والقدِّيسين المسيحيين، ويحترمون الكنائس وأضرحة المسيحيين، ويُقبِّلون الأبواب والجدران عندما يدخلونها، لكنهم لا يذهبون - أبداً - إلى أيِّ مسجد إسلامي.

ويُذكَر في الكتاب الأسود: إن العروس في طريقها إلى بيت عريسها يجب أن تزور كل معبد مقدَّس تمرُّ به، حتى لو كانت كنيسة مسيحية، مع بالغ التبجيل أيضاً لـ{عيسى عليه السلام} فهم يؤثرون الارتباط أكثر مع النصارى {المسيحيين} على المسلمين[1].

---

(1) موقع إلكتروني - الجزيرة توك -.

ممَّا سبق ينكشف النقاب عن الملَّتين - الزرادشتية واليزيدية -بأنْ لا صلة بينهما، وأن الزرادشتية دعوة إلى عبادة الله وحده، ومؤسّسها زرادشت، وكان مرسلاً من قِبل الله، عز وجل، بل لا فكرة للنبي عند اليزيديين، وأن اليزيدية مجهولة المنشأ، ومختلف في أصولها، ولا أظن أن للعلماء مصلحة عندما ينسبون اليزيدية إلى يزيد بن معاوية أو أنيسة، فلمَ لم يقولوا ويختلفوا في أصل البوذية أو المانوية أو عن أية طائفة وملَّة أخرى مثلاً.

وقد ترك زرادشت كتاباً أسماه" آفستا "، أمَّا اليزيديون؛ فعندهم كتابان [الجلوة ومصحف رش؛ أي الأسود] . وسنتحدَّث عن هذه الكتب بقليل من التفصيل لاحقاً .

وإذا كان العلماء قد نسبوا اليزيدية إلى يزيد بن معاوية أو يزيد ابن أنيسة، فلا ضير أن نتكلَّم - ولو بشيء يسير - عن الشيخ " عدي بن مسافر" الذي يتمتَّع بمكانة سامية لدى هذه الطائفة، إلى درجة أن وصل بهم الحال إلى تأليهه وعبادته والقرب منه وطلب رضائه في تراتيلهم وطقوسهم اليومية، وهذا الرجل - الذي هو بمثابة نبي لهذه الطائفة - سيكون حديثنا عنه في المبحث التالي. وفيما بعد سنذكر تلك الأساطير اليزيدية الواردة حول معاوية ابن أبي سفيان ومكانته عندهم إن شاء الله.

عدي بن مسافر:

اليزيدية تلك الملَّة أو الطائفة الوحيدة التي لم يحالفها الحظ في الاتفاق على منشئها ومنبعها، ولم يحالفها وللمرة الثانية أنها لم تحظ بنبي أو رسول مرسَل من الله إليهم، هذا هو شأنها بخلاف كل الأديان والشرائع، فكان حظها أوفر في تناكر الآراء والريب سواء ما يتعلق بنشأتها أو مؤسسها أو حتى في طقوساتها من أين اقتُبست، فكل جزء وكل طقس لهذه الملَّة إلا وفيها رأيان يتناطحان ولا يتقابلان، مختلفان كاختلاف الليل والنهار، نعم، حتى المؤسِّس لهذه الطائفة لم يكن بمنأى عن الاختلاف في أصله ونسبه، وحتى في اعتقاده، هذا الرجل أو الشيخ هو " عدي بن مسافر " لم تتفق كلمة الباحثين في نسبه وأصله وحتى مسقط رأسه. كل كلمة تفنِّد الأخرى، وتنكرها، لكون شخصية (عدي بن مسافر) محورية لدى هذه الطائفة ومن مرتكزاتها الأساسية، ويعتبر شخصية كاريزمية، فهم يلوذون به ويتضرعون إليه وقت

الشدة والضيق، طالبين منه الفرج والنصرة في حياتهم اليومية، أمَّا قبره أو مزاره؛ فهو بمثابة قبلة لدى اليزيدية، يتجهون نحوه في عبادتهم، بل يعتبر حجهم المقدَّس، والداخل أو الزائر لقبره عليه أن يخلع نعليه، وأن يحرص كي لا يطأ برجله على عتبة الباب، فيقومون بزيارة قبره بكل وقار وإجلال وخشوع، يقدِّمون له أنواعاً من القرابين والطقوس الدينية، ويعتبر مخلِّصهم ومنقذهم يوم القيامة، وأنه سوف يأخذ بيد الطائفة اليزيدية إلى بر الأمان بعيداً عن العذاب والجحيم، في يوم لا ينفع فيه لا مال ولا بنون، فمَن هو هذا الرجل العظيم الذي سيطر على قلوب اليزيدية، وبدا أنه المختار من قبل الله والمرسل إليهم لينقذهم من الكُربات.

ورد عن بعض المصادر[1] ترجمة " عدي بن مسافر " :

هو الشيخ الإمام القدوة شيخ الإسلام عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الزاهد الشامي الهكاري.

لقبه شرف الدين، وكذا أُطلق عليه شيخ الإسلام، وكذا أُطلق عليه حجَّة الإسلام، كنيته : أبو الفضائل، وكُني - أيضاً - بأبي محمد.

وُلد الإمام عدي بن مسافر عام 467 هجري في " بيت فار " من أعمال بعلبك، ثم صحب المشايخ، وجاهد أنواعاً من المجاهدات، وسكن بعض جبال الموصل، وليس به أنس، ثم آنس الله به تلك المواضع، وعمَّرها ببركاته، حتى صارت بها أحد بعد قطع السبل، وارتدع بسببه جماعة من الأكراد. وعمّر حتى انتفع به خلق كثير.

وتحدَّث عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان ما نصه :

الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان كذا أملى نسبه بعض ذوي قرابته الهكاري العبد الصالح المشهور، الذي تنتسب إليه الطائفة العدوية، سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد، حتى جعلوه قبلتهم التي يُصلُّون إليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها، وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء ...، ثم انقطع إلى جبال الهكارية من أعمال الموصل، وبنى له هناك زاوية، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله .

---

(1) موقع إلكتروني (البصيرة) ترجمة عدي بن مسافر.

نبي الديانة اليزيدية ومؤسِّسها (عدي بن مسافر) وُلد عام 1075 الميلادية في قرية «فار» التابعة لبعلبك في البقاع اللبناني، أبوه مسافر بن إسماعيل، يمتد نسبه إلى الخليفة الأموي [مروان بن الحكم]. تلقى الشيخ عدي العلوم على يد الغزالي وغيره من المتصوِّفة، وكان زميله في الدروس شيخ الطريقة القادرية «عبد القادر الجيلاني»؛ حيث ذهب الاثنان إلى مكة المكرمة عام 1116 م لأداء فريضة الحج. استقر به المقام في وادي لالش على أطراف الموصل، حتى وفاته عام 1162 م، ودُفن هناك.

تُعدُّ مقبرته – حتى الآن – بمثابة مزار، يحجُّ إليه اليزيديون، ولُفَّ قبره بقماش حريري أخضر، نُقش عليه " آية الكرسي " في لالش.

كان الشيخ عدي يعطي المواعظ والدروس للأهالي المحيطين به، وسرعان ما تشكَّلت بين الأكراد هناك جماعة دينية سُمِّيت باسم «الشيخ عدي[1]» الذي استبدل لقبه الشامي القديم بلقب جديد هو الهكاري، وأقواله في كرَّاسات دينية، وهي الإيمان الصحيح 15 صفحة، حين يصف الروح 3 صفحات ورسالة قصيرة إلى الخليفة ومجموعة من الرسائل الأخرى، ومعروف أن هذه الكتابات كُتبت باللغة العربية[2].

وكان عدي بن مسافر في مقدمة الهاربين من السلطة العباسية. وقد رحل من لبنان إلى الهكارية من أعمال كردستان، وينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم، ولقبه شرف الدين أبو الفضائل، لقي شيخ عبد القادر الجيلاني، وأخذ عنه التصوُّف. وُلد سنة 1073 م أو 1078 م، وتوفي بعد حياة مدَّتها تسعون سنة، ودُفن في لالش في منطقة الشيخان في العراق[3]. ومما يؤيد هذا الرأي النص الوارد حرفياً في (مصحف رش)؛ حيث يقول: " ثم أرسل عدي بن مسافر من أرض الشام، وأتى إلى لالش "، فكتابهم المقدس يَنسب الشيخ عدي إلى بلاد الشام، وأنه قدم منها إلى لالش، وهذه ليست رواية إسلامية كي نشكَّ في صحتها، بل هي رواية يزيدية تتمتَّع بدرجة من القدسية والاحترام.

---

(1) وأيضاً أُطلق عليم جماعة «العدوية».

(2) نزار أغري (الشيخ عدي والملك طاووس).

(3) الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الطائفة اليزيدية).

وهناك رواية تُضاد وتُناقض هذه الآراء السابقة تقول بأنه كردي الأصل من عشيرة هكاري، انتقل والده من منطقة هكاري إلى (بيت فار)، والتي تُسمَّى الآن "شوف الأكراد"، وأن والد الشيخ آدي سمِّي مسافر، وليس اسم آدي المهاجر، وأن موطنه الأصلي – أي مسقط رأسه – ليس بيت فار.

أمَّا الرأي الآخر وهو شبه مناصر للرواية الأخيرة؛ يقول : بأن الشيخ عدي بن مسافر الذي جاء وانقاد للديانة اليزيدية، واعتنقها، وأن هذه الديانة كانت موجودة قبله، أي قبل حلول الشيخ إلى المنطقة، وأن اليزيدية قابلوا اعتناقه بالفرحة والابتهاج .

ونُقل من مصدر آخر[1] قائلاً : ويُجمع المؤرِّخون أن الشيخ عدي كان متصوِّفاً مسلماً، قدم من مدينة بعلبك اللبنانية في القرن الخامس الهجري، ولجأ إلى ذلك المكان، وسرعان ما تبعه الناس هناك؛ لأنه عرف الله كما يقولون، وينظرون إليه على أنه مجدِّد الديانة اليزيدية، كما أن الباحث اليزيدي " بير خدر " يقسِّم مراحل التي مرَّ بها اليزيدية إلى ثلاثة مراحل...

أمَّا المرحلة الثالثة؛ فهي مرحلة الانعطاف في تاريخ العقيدة اليزيدية، وهي مجيء الشيخ عدي ين مسافر الشامي من بعلبك إلى لالش، وتجمَّع المريدون حوله، وكُتُبُ التاريخ تذكر أنه قصده الكثير من أقطاب التصوُّف، وكان عارفاً ربَّانياً وصل إلى مرحلة الحلول في ذات الله.

فالشيخ عدي كان متصوِّفاً مسلماً من بعلبك، ثم قدم إلى تلك المنطقة. تجمَّع حوله عصابة من الناس، واتبعوا طريقته في التصوف، والاقتداء به. إلى أن وصل الشيخ إلى درجة الحلول في ذات الله، بعد زمن طويل من العبادة والطاعة، هذا ما يقرُّه الباحث اليزيدي بتصوُّفه وإسلامه، ولكنْ؛ كيف ومتى أصبح الشيخ يزيدياً، وتخلى عن تصوُّفه؟ ربما كل هذا حدث بعد وفاة الشيخ، وبهذا؛ فإن الشيخ نفسه لم يسمع بوجود اليزيدية؛ وتمَّ تقديسه وسرد الأساطير والحكاية الغريبة عنه بعد أن رحل من دنيانا.

ومن العجب والغرابة محاولات بعض الباحثين في سعي منهم إلى تغيير وتبديل اسم الشيخ عدي إلى (آدي) أو (الشيخادي)، ظناً منهم أنهم عندما يقولون (آدي)، فإنهم

(1) التلفزيون قناة العربية الفضائية برامج (مهمة خاصة)، أعدَّه الأستاذ باسم الجمل.

يستخلصون الشيخ من الشوائب والنواقص، ويجعلونه كردياً خالصاً. لماذا لم يفكر هؤلاء الأجلاء في تبرير وإيجاد مكيدة لاسم (مسافر)، فالمسافر - أيضاً - كلمة عربية بحتة؟ لماذا لم يقل عنه [Réwî]: المشكلة لا تكمن في اسمه، لكنهم يريدون انسلاخ الشيخ من تصوُّفه وزهده ووقاره، المهم أنه متصوِّف مسلم، فالذين يسعون لتبرير تغيير اسمه محاولين في مسعاهم جرد الشيخ من هذه الصفة، مثلهم كمن يحفر الأرض ثم يترك تربتها خلفه؛ أَليست أسماء علماء وعظماء الكرد جلّهم محمد وسعيد وصلاح الدين؟ وما الضير في هذا؟ فلنفترض جدلاً أن اسمه " آدي " وليس عدي.

دعك من هذا وذاك، لو سلَّمنا بأن اسم الشيخ هو " آدي " إذاً؛ فما بال أسماء تلامذته ومريديه الذين خلفوا "الشيخ" في الولاية والقيام بواجبات الطريقة " العدوية " كأمثال [أبي بركات واسمه صخر بن صخر، وكذلك عدي بن أبي بركات المشهور بأبي المفاخر، وكذلك الشيخ فخر الدين ....) أَليست هذه أسماء عربية من النخاع حتى أخمص القدمين؟!

ليس هذا فحسب، وحتى الكتاب الذي ألفه الشيخ عدي أو المنسوب للشيخ يحمل اسم{الجلوة} فالجلوة كلمة عربية مأخوذة من" الخلوة "، وهي مصطلح صوفي بلا منازع، أظن أن السادة الباحثين الذين قالوا عن اسمه بأنه{آدي} نسوا أو تناسوا في إيجاد مبررات لأسماء خلفاء الشيخ عدي بن مسافر. والشيخ عدي يحظى بمكانة سامية لا يستهان بها لدى اليزيدية، فهو ملاذهم ومنقذ آمالهم ورجائهم في الضيق والشدة، أحاطوه بقدسية لا تقل عن قدسية الله، لهذا أطلق بعض الباحثين على الشيخ عدي ليس المجدد لليزيدية فحسب، بل إنه نبيهم، وهو محاط بقدسية ربانية واضحة، إلا أن هذه العبادة تستند - على الأغلب - إلى الصورة التي رسمها الشيخ عدي لنفسه؛ إذ وضع نفسه في مكانة الله الذي يكافئ البشر على أفعالهم [1]. لكن أكثر المتكلمين عن الشيخ عدي برَّؤه من هذه الصورة المشوَّهة؛ لأنه لم يطلب من أتباعه هذا التقديس وهذه الهالة منقطعة النظير، كبعض أبيات من الشعر يصف فيها الشيخ عدي نفسه بأنه المانع والمعطي، فالذين كتبوا عن الشيخ عدي قالوا بأن هذه الأبيات منسوبة إلى الشيخ بعد وفاته، وإنه لم يدوِّن مثل هذه الأبيات .

---

(1) نزار آغري، المرجع السابق.

لذا؛ نرى أن هذه القدسية بُرِّئ منها الشيخ، ولكن تلامذته - وربما أتباعه من بعده - قدَّسوه بقدسية ربانية، وخاصة إذا أخذنا كلام العلماء على محمل الجد، وحديثهم عن الشيخ عدي كابن خلكان والسمعاني وغيرهم، فإنهم برَّؤوه من هذه الطقوسات التي يمارسها أتباعه.

لنخض الآن في غمار تاريخ الشيخ أكثر فأكثر، ولنتعرف إلى شيوخه وتلامذته، وأيضاً أخلاقه ومكارمه. فمن خلالها سندرك بأن الشيخ كانت حياته ومماته لله رب العالمين، وأنه بريء من كل ما نُسب إليه، وبالأخص بعد وفاته.

لقد كان الشيخ الإمام عدي بن مسافر حريصاً على العلم ومقابلة العلماء والمشايخ، من أجل ذلك يذكر مَن ترجم له أنه صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والمشاهير مثل (عقيل المنبجي، وحماد الدباس، وأبي النجيب، وعبد القادر السهروردي، عبد القادر الجيلاني، وأبي الوفاء الحلواني).

ولقد ذكر العلماء للشيخ عدي رحلتان علميتان، الأولى كانت لبغداد، وسمع فيها من كبار العلماء والصالحين، وثانية كانت إلى المدينة النبوية، أمَّا تلامذة الشيخ عدي؛ فهم خلق عظيم .

ثناء العلماء على الشيخ "عدي بن مسافر":

كان للشيخ عدي منزلة عالية ومكانة سامية عند العلماء. ومَن طالع كتب المترجمين للشيخ عدي يعرف قدره عندهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والشيخ عدي - قدَّس الله روحه - كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين، وله من الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك، وله في الأمة حديث مشهور ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة مَن تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم . فقد قال الذهبي رحمه الله : هو الشيخ الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته . وفي موضع آخر قال: كان معلماً للخير، ناصحاً شديداً في أمر الله، لا تأخذه في الله لومة لائم. وقال ابن تغري بردى : كان فقيهاً عالماً عابداً مضحّياً متواضعاً حسن الخلق، مع كثرة الهيبة. وقال ابن خلكان : الشيخ عدي العبد الصالح المشهور.

فثناء هؤلاء العلماء أصدق تعبير وأثبت صحة من غيره من أقوال الباحثين عن الشيخ عدي؛ لأنهم كانوا أقرب عهداً إلى الشيخ، وبعضهم عاصر الشيخ كابن الوردي وابن خلكان وابن الأثير.

مصنفات الشيخ عدي بن مسافر:

المُتتبِّع للكتب التي ترجمت للشيخ عدي يجد أنه لم يذكر إلا مصنَّفاً أو مصنَّفين فقط للشيخ. ولعل هذا يرجع إلى أن الشيخ عدي لم يكن مهتماً لمسألة التصنيف لتفرُّغه للعبادة في الزاوية التي ابتناها لنفسه في جبل الهكارية، وانقطاعه فيها إلى أن توفي، كما أن تفرُّغ الشيخ إلى تربية مَن يقصده، كان من الأمور المانعة له عن الاشتغال بالتصنيف، ولم أقف إلا على مصنفين فقط للإمام عدي.

أ – عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

ب –الوصايا.

ويذكر له بعض العلماء مصنفات أخرى:

- الإيمان الصحيح 15 صفحة.
- حين يصفي الروح 3 صفحات.
- ورسالة قصيرة إلى الخليفة، ومجموعة من الرسائل الأخرى، ومعروف أن هذه الكتابات كُتبت باللغة العربية [1].

ومجمل هذه الآراء السالفة أن الشيخ عدي كان متصوفاً ربانياً، اختلى بنفسه في تلك الزاوية للنسك والعبادة. وكل ما منح له من قدسية ربانية عند اليزيدية فإن الشيخ بريء منها، ولا ذكر في بطون أمهات الكتب عن نفي أو إنكار على الشيخ زهده وورعه وخشيته من الله، وهذا أكبر دليل أن قبره في لالش لُفَّ بقماش حريري أخضر، نُقش عليه آية الكرسي، فإذا لم يكن مسلماً متصوفاً عابداً لله، فلِمَ يُلفّ قبره بآية قرآنية كريمة.

والمتتبّع للتاريخ والأحداث سوف لن يجد إشارة مكتوبة أو غير مكتوبة تدل – من قريب أو بعيد – على وجود الطائفة اليزيدية قبل الإسلام، بل قبل العصر الأموي، والنصوص والكتابات اليزيدية تعود كلها إلى فترة ما بعد الشيخ عدي بن مسافر، الذي يُعدُّ مُؤسِّس هذه الطائفة من دون منازع[2].

---

(1) نزار آغري، المرجع السابق.

(2) نزار آغري، المرجع السابق.

ومما يعضد هذا ويقوّيه ما ورد في مقابلة[1] لأحد مشايخ اليزيدية قائلاً : وكان اليزيديون قبل ظهور الإسلام يحجُّون إلى مكة المكرمة، لكنْ؛ عندما ظهر الإسلام وأضحت الكعبة وزمزم كلها جزءاً من مقدسات الإسلام، وخاصة بهم، حُرم الآخرون منها، لكنْ؛ الآن نحن ننظر إليها بقدسية مثل نظرتنا إلى الحجر الأسود وإلى عين زمزم لخاطر إسماعيل.

فهذا يدحض كل الآراء والأقوال التي قالت بأنه دين قديم، أو إنه ذو أصول زرادشتية، أو أن الإسلام أخذ عن اليزيدية - كما يزعم بعض السفهاء - الحج وشعائر الحج، بما فيها ماء زمزم، فهذا كله هراء وافتراء، وأقوى دليل أنهم كانوا يحجون إلى الكعبة في وقت سابق مما يبرهن أنه لم يكن أصل لوجود لالش وزمزمهم المزعوم، وهذا قول ألسنتهم، وليس افتراء عليهم، أو زعماً من عند أنفسنا، وإلا لما كانوا يحجون إلى الكعبة.

ويصف الباحث العراقي[2] مرقد الشيخ عدي الذي تمكن من زيارته في 17 نيسان من عام 1947، بعد أن رافقه معاون مدير شرطة قضاء الشيخان ومجموعة من أفراد الشرطة وبعد أن تلقى سادن المقام أمراً من أمير الشيخان اليزيدي ((تحسين بك)) ومن جدته الوصية عليه ((ميان خاتون)) وقبل أن يدخل مرافقوه إلى فناء المرقد طلب إليهم خلع أحذيتهم، وتخطي عتبات المرقد، مع الامتناع عن وطئها بأقدامهم، وقد وجدوا في أعلى تاج باب المرقد زخرفة على المرمر، تعلوها صورتان لطاووس ملك متقابلتان، يتوسَّطهما أسدان متقابلان مرسومان على رخامة ثلاثية الشكل، يدل مظهرها على أنها حديثة الصنع بالقياس إلى التاريخ الذي دوِّن عليها، ووجدوا على المدخل " فوق الباب " عبارات عربية واضحة، هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

خالق السماء والأرض

أخفض هذا المنزل

محل شيخ عدي الهكاري

شيخ اليزيدية695[3]

---

(1) التلفزيون – القناة العربية – برامج مهمة خاصة باسم الجمل.

(2) السيد عبد الرازق الحسني.

(3) نقلاً من كتاب اليزيدية واليزيديون، د. خلف الجراد.

توفي الشيخ عدي رحمه الله في شهر المحرم يوم عاشوراء من سنة 557 هجري وقيل 555 هجري، والأول هو الراجح عن عمر قارب التسعين، ودُفن رحمه الله في الزاوية التي كان قد انقطع فيها للعبادة في جبل الهكارية من أعمال الموصل.

وقال ابن الوردي : توفي سنة 557 هـ في شهر المحرم الشيخ الزاهد المقيم ببلدة الهكارية من أعمال الموصل، أصله من بعلبك، وانتقل إلى الموصل، وتبعه أهل السواد والجبال، وأحسنوا الظن به . والراجح أن المؤرخين اتفقوا على تاريخ وفاته في سنة 557هجري لوروده من سند آخر قائلاً : كان الشيخ عدي عالماً، له مؤلفات وأشعار، ولم يكن متعصّباً للمذاهب أو الأشخاص، وكان يدافع عن أبناء علي، ويمنع الناس من شتمهم، وينتهج مبدأ " اللالعن"، وحين دعاه بعضهم أن يلعن جماعة قال: ومتى كنا نلعن ؟! وقد سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير ... ولم يغادر لالش إلا حين حج ماشياً إلى مكة بصحبة شيخه وصديقه " عبد القادر الجيلاني "، ومات عزباً في لالش سنة 557هجري/ 1160م .

ومنطقة الشيخان التي تعتبر مركز تواجد اليزيديين سُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخين { الشيخ عدي بن مسافر والشيخ أحمد الرفاعي } المتصوّف البغدادي الشهير، ويقال إن الشيخين التقيا في تلك المنطقة، وكان الشيخ عدي أرسل تابعه محمد رشان ممتطياً حجراً بدلاً من الحصان، ومحوِّلاً عصاه إلى حية [1]. رحم الله الشيخ عدي، وأدخله فسيح جنانه.

الشيخ عدي بن مسافر في متون كتب التاريخ:

- الشيخ عدي بن مسافر[بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، كذا أملى نسبه بعض قرابته] الهكاري مسكناً، العبد الصالح المشهور، الذي تُنسب إليه الطائفة العدوية، سار ذكره في الأفاق، وتبعه خلق كثير، وجاوز حسن الاعتقاده فيه الحدَّ، حتى جعلوه قبلتهم التي يُصلُّون إليها، وذخيرتهم في الآخرة، التي يُعوِّلون عليها، وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء المشاهير[مثل عقيل المنبجي وحماد الدباس وأبي النجيب عبد القاهر السهروردي وعبد القادر الجيلاني وأبي الوفاء الحلواني]. ثم انقطع إلى

(1) نزار آغري، المرجع السابق.

جبل الهكارية من أعمال الموصل، وبنى له هناك زاوية، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها. لم يسمع لأرباب الزاوايا مثله. وكان مولده في قرية يقال لها { بيت فار} من أعمال بعلبك، والبيت الذي وُلد فيه يُزار الآن، وتوفي الشيخ سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة، في بلده بالهكارية، ودُفن بزاويته، رحمه الله تعالى، وقبره عندهم من المزارات المعدودة، والمشاهد المقصودة، وحَفَدته إلى الآن بموضعه يقيمون شعاره، ويقتفون آثاره، والناس معهم على ما كانوا عليه زَمَنَ الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة.

- وذكره أبو البركات ابن المستوفي " تاريخ أربيل"، وعَدَّه من جملة الواردين على أربيل. وكان مظفَّر الدين صاحب أربيل رحمه الله تعالى يقول: رأيتُ الشيخ عدي بن مسافر وأنا صغير بالموصل، وهو شيخ رَبْعَةٌ أسمر اللون، يحكون عنه صلاحاً كثيراً، وعاش الشيخ عدي تسعين سنة رحمه الله[1].

- الشيخ عدي بن مسافر بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري شيخ الطائفة العدوية أصله من البقاع غربي دمشق من قرية " بيت فار"، ثم دخل إلى بغداد، فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس والشيخ عقيل المنبجي وأبي الوفاء الحلواني وأبي النجيب السهروردي وغيرهم. ثم انفرد عن الناس، وتخلى بجبل هكار، وبنى له هناك زاوية، واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً فاحشاً، يؤدي إلى الخروج من الدين جملة. مات في هذه السنة / 555/ هجري بزاويته، وله سبعون سنة، رحمه الله[2].

- الشيخ عدي بن مسافر 467- 557هـ/ 1047-1162 م / بن إسماعيل الهكاري شرف الدين أبو الفضائل من ذرية مروان بن الحكم الأموي : من شيوخ المتصوفين. تنسب إليه الطائفة العدوية. كان صالحاً ناسكاً مشهوراً. وُلد في" بيت فار" من أعمال بعلبك، وجاور بالمدينة أربع سنوات، وبني زاوية في جبل الهكاري، وغالى أتباعه " العدوية " عليه،

---

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان المتوفى سنة / 608- 681 هـ دار صادر، بيروت.
(2) البداية والنهاية لابن كثير، المتوفى سنة 774هجري.

واتخذوه قبلة لهم، ولأحدهم رسالة سماها [بهجة سلطان الأولياء العارفين – خ] في الخرقة النبوية فضائل الشيخ عدي[1].

- وفي الشرفنامه الكوردية: عدي بن مسافر الحكاري دُفن في جبل لالش من أعمال الموصل، ولأتباعه اعتقاد زائغ يقولون قد تحمَّل عنا صومنا وصلاتنا، و سيذهب بنا يوم القيامة إلى الجنة من دون عتاب ولا عقاب .

- وفيها أي في سنة557 توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من أعمال الموصل، وهو من الشام من بلدة بعلبك، ثم انتقل إلى الموصل، وتبعه أهل السواد والجبال من تلك النواحي، وأطاعوه، وأحسنوا الظن فيه، وهو مشهورٌ جداً[2].

- وفيها أي في سنة557" الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل الشامي، ثم الهكاري الزاهد قطب المشايخ وبركة الوقت وصاحب الأحوال والكرامات صحب الشيخ عقيل المنبجي والشيخ حماد الدباس، وعاش تسعين سنة. ولأصحابه فيه عقيدة تتجاوز الحد، وقال ابن الأهدل:له كرامات عظيمة منها أنه إذا ذُكر على الأسد وقف، وإذا ذُكر على موج البحر سكن، وإلى ذلك أشار العارف الصديق أبو محمد المقرئ المعروف والده بالمدوح في وسيلته الجامعه فقال :

بجاه عدي ذلك ابن مسافربه تسكن الأمواج في لجج البحر

وإن قلته لليث لم يخط خطوة، ولا الشبر من قاع، ولا البعض من شبر

وقال السخاوي: أصله من قرية بشوف الأكراد تسمَّى بيت فار، والبيت الذي وُلد فيه يُزار إلى اليوم، وصحب الشيخ عقيل المنيحي والشيخ حماد الدباس وأبا النجيب السهروردي وعبد القادر الجيلاني وأبا الوفاء الحلواني وأبا محمد الشنبكي. وقال ابن شهبة في تاريخه كان فقيهاً عالماً. وهو أحد أركان الطريقة، سلك في المجاهدة وأحوال البداية طريقاً صعباً، تعذَّر على كثير من المشايخ سلوكه. وكان الشيخ عبد القادر يثني عليه كثيراً، ويشهد بالسلطنة على الأولياء، وكان في أول أمره مجرد سائح، وانتمى إليه عالم عظيم، قال عمر بن محمد خدمت

(1) خير الدين الزركلي، المتوفى سنة 1976م / الأعلام، قاموس تراجم.
(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير، الجزء1، دار صادر، بيروت.

الشيخ عدي سبع سنين، شهدت له فيها خارقات أحدها : أني صببتُ على يديه ماء، فقال لي: ما تريد؟ قلت: أريد تلاوة القرآن، ولا أحفظ منه غير الفاتحة وسورة الإخلاص، فضرب بيده في صدري، فحفظتُ القرآن كله في وقتي، وخرجت من عنده وأنا أتلوه بكماله. وقال لي يوماً: اذهب إلى الجزيرة السادسة بالبحر المحيط تجد بها مسجداً، فادخله ترى فيه شيخاً، فقل له: يقول لك الشيخ عدي بن مسافر احذر الاعتراض، ولا تختر لنفسك أمراً لك فيه إرادة. فقلتُ: يا سيدي، أنّى لي بالبحر المحيط ؟ فدفعني بين كتفي، فإذا أنا بجزيرة والبحر محيط بها،وثم مسجد، فدخلته، فرأيت شيخاً مهيباً يفكر، فسلَّمتُ عليه، وبلَّغته الرسالة، فبكى، وقال: جزاه الله خيراً. فقلتُ: يا سيدي: ما الخبر؟ فقال: اعلم أنه أحد السبعة الخواص في النزع، وطمحت نفسي وإرادتي أن أكون مكانه، ولم تكمل خطرتي حتى أتيتني. فقلتُ له: يا سيدي، وأنى لي بالوصول إلى جبل هكار؟ فدفعني بين كتفي، فإذا أنا بزاوية الشيخ عدي، فقال لي : هو من العشيرة الخواص. ذكر ذلك القطب اليونيني في ذيله[1].

الوثيقة العدوية – اليزيدية التي تثبت إسلامية الشيخ عدي بن مسافر:

هذه الوثيقة أوردها (روجيه ليسكو [2]) في كتابه؛ حيث يؤكد أنه حصل عليها من رئيس اليزيدية في جبل سمعان، وقد أخذها هو – بدوره – من أحد مرؤوسيه، الذي كانت بحوزة عائلته منذ زمن لا تعيه الذاكرة .

تحتوي الوثيقة بعد عدة استشهادات من الآيات القرآنية على نسب خلفاء الشيخ عدي، وكذلك مؤسس الطريقة العدوية الشيخ عدي بن مسافر وأسماء مريديه. فهذه الوثيقة عندما يقرؤها القارئ بالتمعن سوف يجد بأنها تفنِّد كل الآراء التي قيلت عن عدم إسلامية الشيخ عدي، وهذه الوثيقة تؤكد ليس هذا فحسب، بل تثبت بأن اليزيدية ذات أصل ومنبت إسلامي، وكل ما عدا هذا مجرد مزاعم وآراء لا مقوّم ولا مرتكز لها.وتلكم الوثيقة كما وردت من مصدرها:

(1) شذرات الذهب في أخبار من ذهب / للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي. المجلد الثاني، دار الفكر.

(2) في كتابه اليزيدية في سورية وجبل سنجار، ترجمها إلى العربية / الأستاذ/ أحمد حسن.

- مقدمة وسلسلة نسب الشيخ عدي:

الواقدين (1) كعبة الواردين بدر الدنيا والدين حسين ابن الشيخ الامام العالم العامل القدوة أبي المحاسن يوسف ابن الشيخ الامام المحقق المدقق برهان الدنيا والدين ابراهيم ابن الشيخ الامام العابد الزاهد زين الدنيا والدين يوسف ابن الشيخ الامام شرف الدنيا والدين موسى ابن الشيخ الامام والقدوة الهمام الناسك السالك الولى علاء الدنيا والدين على ابن الشيخ الامام قدوة اهل مصر والشام صاحب الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة زين الدنيا والدين (2) نزيل القرافة بالقاهرة وضريحه بالزاوية العدوية ظاهر المدينة (3) ولو لم يكن البحر حقيقة لما علت فوق قبته السفينة الشهير بلقبه زين الدين يوسف ابن الشيخ شرف الدنيا والدين محمد (4) ابن الشيخ الامام بدر الدنيا والدين حسن (5) ابن سلطان العابدين وامام الزاهدين وحيد دهره وفريد [عصره] الشيخ عدى (6) ابن الشيخ الامام علم الاعلام بركة الانام الشيخ ابى البركات (7) ابن الشيخ الامام صاحب الكرامات التى هى كالبحر الشيخ صخر (8) وهو اخو الشيخ الامام شيخ مشايخ الاسلام الغوث الربانى والقطب الصمدانى الشيخ عدى الاعزب الذى قال فى حقه السيد عبد القادر الكيلانى لو ان النبوة بالمجاهدة لنالها عدى بن مسافر (9) وقال رضى الله عنه وقد صحبه الخضر عليه السلام انت الذى موسى لم يستطع معك صبرًا ولكن ها هنا رجل لا انت ولا موسى تستطيعان معه صبرًا الا وهو عدى ابن مسافر وكراماته اكثر من ان تحصى نفعنا الله تعالى ببركاته فى الدارين امين وهو

ابن الشيخ مسافر المدفون ببقاع العزيز من ارض الشام بقرية تسمى ببيت فار والبيت الذى ولد فيه الشيخ يزار الى الان من جميع البلاد قد عمر عليه البدرى الشيخ حسين المبدأ بذكره (1) مسجدا تقصده الجيرة رجاء لاستجاب دعائهم فيه واستخلف عليه النقبا ومد يده فى اخذ العهود بالتوبة فتاب على يده كثير من الناس نفعنا الله ببركاته آمين ولنعد الى نسب الشيخ الامام عدى ابن مسافر ابن الشيخ اسماعيل ابن شرف الدين موسى ابن (2) صحرا عبد العزيز ابن شاذان ابن عمر ابن عبد العزيز ابن دقان ابن الحكم ابن العاص ابن امئه ابن عبد شمس ابن مناف ابن قصى كلاب ابن مرة ابن كعب ابن لوى ابن غالب ابن فهر وهو قريش ابن مالك ابن النظر واسمه قيس ابن كنانه ابن خزعه ابن مدركه ابن الياس ابن مضر ابن يزد ابن معد ابن عدنان ابن آد ابن ادد ابن اليسع ابن الهميسع ابن سلامان ابن نبت ويقال نابت ابن حمل ابن قيدار ابن اسماعيل الذبيح ابن ابراهيم الخليل ابن تارخ وهو ازر ابن ناحوا ابن ساروع ابن ارغوا ابن مالع ابن غابر وهو هود النبى صلى الله عليه وسلم ابن شالخ ابن ارفخشد ابن سام ابن نوح النبى صلى الله عليه وسلم ابن لملك ويمك ابن متشولخ ابن اخنوخ وهو ادريس النبى صلى الله عليه وسلم ابن بادر مهلائيل ابن قينان ابن انوش ابن رهبة الله شيت ابن ابى محمد آدم صلى الله عليه وسلم .

مشقه وعقه

منتشبهبقوفهونهر (?) .

ومن اعطا الزكاة لبيت بير صخر واخرج من طريقة الشيخ عدى والشيخ حسن ابن عدى .

وهـذا النسب الشريف المذكور اعلاه نسب العبد الفقير الى الله تعالى بير يوبو ابن بير جانكير الدنبلي المذكور اعلاه المستحق ما تفضل به جده قطب زمانه قبال تاريخه من زكاة طايفة الدنبليه عليه وعلى اهله وجماعتـه وطايفته وليس لاحد غيره وغير جماعتهم المذكورين اعلاه في ما ذكر اعلاه من زكاة الدنبليه الاكراد المذكورين اعلاه حق ولا ولا (*sic*) مستحق وليس لهم الا الصدقة لا غيره وهذا وجدناه في كتاب الجلوة وكتاب الحبشي وكتاب اعتقاد اهل السنة والجماعة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع وعليم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لبير يوبـه واخوه بير محمد ينتقل لابن بير محمد بير ابراهيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(1) .

وهـذه النسبة المباركة للبير يوسف الـدلقمه اوفو ابن بير عيسى ابن جهانكير واخوه بير شمس واولاد المذكور بير يوسف الكبير عمرو الذغير(2) شقيقه بير احمـد والذغير بير بوبكر والدريه الصالحه من التابعين من درية سيد بشر (؟) ابن غنيمه وهاكذا وجدناه في كتب الماضين فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع وعليم وصلى الله على محمد .

وهـذا النسب الشريف المذكو نسب العبد الفقير الى الله تعالى بير حمو ابن بير غسان الذرية الصالحين من التابعين وهكذا وجدناه في كتب الماضين فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع وعليم وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

بير حبيب ابن بير موسى   بير بولاد ابن بير موسى   بير سفر ابن بير موسى   بير ابن بير موسى (*sic*)   بير حسين ابن بير موسى .

- إسناد تلقين الشيخ عدي:

. . . . الشيخ عدى ابن مسافر

(قدس) الله سـ[ره] . . . . لبس من الشيخ عقيل . . .

المنبجى والشيخ عقيـل لبس من السيخ [مسلمة والشيخ] مسلمة لبس من الشيخ ابى سعيد الحرار (1) والشيخ ابى سعيد لبس من الشيخ محمد القدسى والشيخ محمد لبس من الشيخ على ابن عُليم والشيخ على من والـده عليم والشيخ عُليم الرملى لبس من الشيخ عمار السعدى وعمار لبس من الشيخ يوسف الغسانى والشيخ يوسف لبس من والده الشيخ يعقوب الغسانى والشيخ يعقوب الغسانى لبس من الشيخ ابى بكر الغسانى والشيخ ابو بكر لبس من الشيخ ابى سعيد الخدرى والشيخ ابى سعيد لبس من امير المؤمنين عمر ابن الخطاب وعمر رضى الله عنـه لبس من النبى محمد صلى الله عليه وسلم والنبى لبس من ربّ العالمين تبارك وتعالى وجبرائيل هو البّروانه اى السفير (2) .

- **نسبة فتوة الشيخ عدي:**

نسبة فتوة الشيخ عدى ابن مسافر نفعنا الله تعالى ببركاته الشيخ عدى
شرب الفتوة لحميد الاندلسى حميد الاندلسى شرب لجعفر البالسى جعفر
البالسى شرب لمحمد الفاروقى محمد الفاروقى شرب لعلى العزازى على العزازى
شرب لموسى الدُنيسرى موسى الدنيسرى شرب لابى الفتح الحمصى ابو الفتح
الحمصى شرب لاسد العينى اسد العينى شرب لجعفر الكوفى جعفر الكوفى
شر[ب] من الشيخ موسى الشيخ موسى شرب للقاضى شريح بالبصرة القاضى
شريح شرب لامير المومنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه
الامام على شرب للنبى صلى الله عليه وسلم النبى عليه الصلاة والسلام شرب
لله وجبرائيل كان النقيب والبروانا والسلام .

ذكر الاربعين مريد الذي صحب الشيخ عدي بن مسافر في حياته

ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنون .

اولهم الشيخ عدى ابن مسافر ــ ثم مريده محمد ابن رش (1) ــ وحسن ابن مَهمُ (2) ــ وقايد البوزى (3) ــ وابو بكر الحمصى ــ وعمر القبيصى ــ وعيسى ابن ابيه ــ ومحمد السنبكى (4) ــ وعبد العزيز الترتارى (5) ــ وجنيدْ الناخرورى ــ والشيخ جروان (6) ــ ومحمد الترنبوسى ــ وسعد الباهلى (7) ــ وحسن الحصرى ــ وخشف الدنيسرى (8) ــ وداود التخومى ــ وعمار الكلبى ــ ورسلان الهراس ــ وجمال ابن سلام ــ وقضيب البان الموصلى (9) ــ والشيخ نعمان ــ ومظفر السلامى ــ واسحاق الكردى ــ

وسعيد البدوى ــ وعلى التوكل (1) ــ وخضر الهكارى ــ واحمد ابن قايد ــ وابراهيم الرومى ــ ومحمود القلانسى ــ وريحان عبد الشيخ ــ وداوود الخزنيدا (؟) ــ وحماد البوازنجى (2) ــ وبشير ابن غنيم ــ وحسن البوزى ــ والحاج رجب البارسنقى (3) ــ والشيخ فتيان ــ وعمار المزرعى ــ ومبارك ابن اخيه (4) ــ وابراهيم القولسى (؟) ــ والشيخ جواب (5) ــ ومحمد الذارانى ــ وابو بكر القرقورى ــ وداوود التغومى ــ وحسن ابو عراجه

في مكارم الاخلاق كنوز الارزاق

- ذكر مريدي الشيخ حسن:

هذه نسبة بشير ابن غنيم وان مريدين للشيخ عدى ابن مسافر

طائفة الدنبليه ذكر اربعين مريديه يعطوا الزكاة لذرية

وان اخويه ابن غنيم الشيخ حسن بشير ابن غُنيم

اولهم الحاج محمد الكفرزمارى ـ واسماعيل ابن القابله ـ وشمس الدين محمد الدمشقى ـ وخضر اللوبرانى ـ وحماد البوانجى ـ وبوبو الباهزانى (6) ـ وابو بكر الدندسى (؟) ـ وبير بوبو (7) ـ ويحيى ابن حميد ـ والشيخ مطر (8) ـ والحاج على السترانى (9) ـ والشيخ حميد ـ

والشيخ زريب ــ والشيخ على ابن الكاف ــ وعبــد الحميد ــ والشيخ عرفى انكارى ــ ومحمد النيرابى (1) ــ وبير محمد الدرحنى ــ والشيخ عيسى ابن سعيد البدوى ــ والحاج على الماردانى (2) ــ وعلى بو بكران ــ وبير بيال السنّدارى ــ وبير دل اللبابيدى ــ والحاج على الموسكانى (3) ــ وعمر الخوشفانى ــ والحاج ملى ــ والحاج ابراهيم ــ وعيسى اللبردى ــ وحسن الجنّارى ــ وعمر خــالان (4) ــ وخطيب عيسى ــ وغديب ــ والحــاج جكا الاربلى ــ وبوبو الخوابى ــ وبير خليل المهدى ــ ومحمد البيونى (?) ــ وبوبو الناسانى (?) ــ وموسى سبودى ــ ومحمدالنا . . . (?) ــ وسلهان البكرى.

وصار ذالك النسب المبــارك انشا الله تعالى فى سنة واحد وعشر . . . وتسعماية .

وموضع مولدهما (عدى وصخر) زاوية يقام بها الصلوات وذكر الله سبحانه وتعالى فى غالب الاوقات وهو مكان مبارك يستجاب به الدعوات وذكر لى بعض من كان يتردد اليها من اهل تلك المحلة وكان من الصالحين انه ما بات بها جنباً الا وجد ملقاً خارجها ولا يقدر احد ينام بها بانفراده من شدة الهيبة وكان رحمه الله يفتخر ببياته بهـا فى بعض الاحيان وحده يعنى وان غيره لا يقدر على ذلك من الخوف وجدت بها سماطاً للفقراء الواردين وغيرهم ممن يحضر من المسافرين وقبر والده الشيخ مسافر وولده صخر بالقرب من الزاوية على تل وعليه قبة مشرفة على البقاع بقرية بيت فار وله كرامات ظاهرة...

خلفاء الشيخ عدي بن مسافر:

- بعد وفاة الشيخ عدي وخليفته حسن بقي اليزيديون من دون مرشد يقودهم، وبقوا جماعة منغلقة على نفسها، فأخذ موقع الإرشاد فيهم الشيوخ الطاعنون في السن ممن يفتقرون إلى المعرفة والفكر، وتوارث من بعدهم أبناؤهم من غير استناد إلى كفاءة أو مقدرة. وهكذا تحوَّلت اليزيدية إلى فرقة جاهلة في أيدي شيوخ أميين، لا يعرفون القراءة والكتابة، ولا يفقهون شيئاً من أمور "اللاهوت " أو الفلسفة أو النفس الإنسانية، ناهيك عن المعارف والفنون. ولبثت اليزيدية ديانة عشيرة أو بضعة عشائر كردية رعوية. فبقيت بدائية. وامتلأت بالخرافات، وتسرَّبت إليها طقوس وقناعات غريبة وطريفة[1].

- إن أول مَن أقيم خليفة على هذه الطائفة بعد الشيخ عدي هو ابن أخيه ((أبو بركات صخر بن مسافر)). ومما يؤثر عن الشيخ عدي بن مسافر أنه قال : " أبو بركات يخلفني ". رافق عمه عدياً، وكان خليفة، ولما مات دُفن بجانب قبر عمه في لالش.

- ثم بعد وفاة صخر، انتقلت الولاية إلى ولده أبو المفاخر، وهو عدي ابن أبي بركات المشهور بالكردي، وكان صالحاً مثل والده. انتهت إليه الرياسة في وقته في تربية المريدين بجبل الهكار وما يليه. وتخرَّج بصحبته غير واحد. وكان كريماً ظريفاً، ذا سمت وحياء، محباً لأهل الدين، مكرماً لأهل العلم، وافر العقل، شديد التواضع. أجمع العلماء والمشايخ على تبجيله واحترامه. توفي سنة 615 هجري / 1217م.

ثم انتقلت الرياسة من بعده إلى الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر، الملقَّب بتاج العارفين، واسمه شمس الدين أبو محمد المعروف بالشيخ حسن، المولود سنة 519 هجري 1154م. وكان له أتباع ومريدون يبالغون فيه، وفي زمن الشيخ حسن هذا بدأ الزيغ في الطائفة العدوية، وظهر الضلال بين أتباعها، فقد جاء في وصية ابن تيمية الكبرى: وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً وغلواً في الشيخ عدي، وفي " يزيد " أشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير، وابتلوا بالشيعة، عادوهم، وقتلوا الشيخ حسناً،

---

(1) نزار آغري، المرجع السابق.

وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله، وعلى يديه انحرفت الطائفة اليزيدية من حب عدي ويزيد بن مسافر إلى تقديسهما والشيطان إبليس، وتوفي سنة 644 هجري/ 1246 ميلادي، بعد أن ألف كتاب " الجلوة لأصحاب الخلوة " وكتاب " محك الإيمان " وكتاب " هداية الأصحاب "، وقد أدخل اسمه في الشهادة كما نجد اليوم عند الطائفة.

- الشيخ فخر الدين أخو الشيخ حسن انحصرت في ذريته الرئاسة الدينية والفتوى

شرف الدين محمد الشيخ فخر الدين : قُتل عام 655هجري / 1257 م وهو في طريقه إلى السلطان عز الدين السلجوقي.

زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد، الذي سافر إلى مصر، وانقطع إلى طلب العلم والتعبد، فمات في التكية العدوية بالقاهرة 725هجري.

- بعد ذلك أصبح تاريخهم غامضاً بسبب المعارك بينهم وبين المغول والسلاجقة والفاطميين، ظهر خلال ذلك الشيخ زين الدين أبو المحاسن الذي يرتقي بنسبه إلى شقيق أبي البركات. عُيِّن أميراً لليزيدية على الشام، ثم اعتقله الملك "سيف الدولة قلاوون" بعد أن أصبح خطراً لكثرة مؤيديه، ومات في سجنه.

- جاء بعده ابنه الشيخ عز الدين، وكان مقره في الشام، ولُقِّب بلقب أمير الأمراء، وأراد أن يقوم بثورة أموية، فقُبض عليه عام 731هجري ومات في سجنه أيضاً.

- استطاع آخر أمير للطائفة، الأمير بايزيد الأموي أن يحصل على ترخيص بافتتاح مكتب للدعوة اليزيدية في بغداد سنة 1969م بشارع الرشيد بهدف إحياء عروبة الطائفة الأموية اليزيدية، ووسيلتهم إلى ذلك نشر الدعوة القومية مدعمة بالحقائق الروحية والزمنية وشعارهم " عرب أموي القومية يزيدي العقيدة ". [1]

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع يُرجى مراجعة " اليزيدية للعلامة عبد الرازق الحسني وأيضاً الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وكذلك من (قاموس الأديان) للدكتور أسعد سحمراني ".

فالطائفة اليزيدية حديثة العهد، منشقة الأصل، لا تملك أرضية ذاتية، لنعول عليها بأنها ذات أصول قديمة كما يدَّعي البعض من الباحثين، وأول ظهور لهذا الطائفة يعود إلى القرن الخامس الهجري.

وكل الذين انتقلت إليهم الرياسة من بعد وفاة الشيخ عدي كانوا رجالاً على قدر كبير من العلم والمعرفة والخوف من الله، ولا أظن أن أحدا يشك في قدر وعظمة هؤلاء الرجال وصلاحهم، لا من اليزيديين، ولا من غيرهم، ولا نجد من علماء المسلمين أحداً طعن في خلفاء الشيخ عدي الأوائل، وكان لعلماء المسلمين الفضل بأن حفظوا تاريخهم ومناقبهم من الضياع والاندثار، فلو أن العلماء المسلمين يتعمدون تشويه صورة الطائفة اليزيدية - كما يدَّعي البعض - لشوَّهوا وطعنوا في الشيخ عدي وخلفائه، لكن هذه الخصال ما كانت من شيمهم، ولم ولن تكون. ولكن نقل الواقع والحقائق سمتهم الرئيسية، حتى لو كانوا على أنفسهم يشهدون.

ومعظم الباحثين في الطائفة اليزيدية يحاولون - على مضض - أن يرقوا من شأن طائفتهم، ويسعون في نأيها عن الخرافات والأوهام، وأن يبدِّلوا واقعها وحقيقتها الملموسة عبر أقلامهم، لكن ما تكتب أيديهم وتزينها للعالم شيء وواقع حالهم شيء آخر.

معاوية بن أبي سفيان [1]

اختلفت روايات التاريخ حول أصول ونشأة الطائفة اليزيديةكما ذكرنـا سـابقاً، والغريـب في الأمر أن كل رواية تدحض وتفنِّد أختها. والصعوبة تكمن في استحالة ائتلاف بين آرائهم في شأن نشأتهم، واشتقاق ومنبع تسميتهم، في هذا الخصوص هناك رأيـان بـارزان، الأول مـنهما : ذهـب بالقول إن أصولها تعود إلى الديانة الزرادشتية، وإن اليزيدية مـن الازداهيـين، ومـن ضـمن هـذا الفريق مَنْ نسبَ تسميتهم بأنها مشتقة من مدينة (يزد) الإيرانية وهي معقل الزرادشتية .

أما الرأي الثاني والمشهور؛ فيقول: إن أصولهم تعود إلى يزيد بن معاوية ثاني الخلفاء للدولـة الأموية، ومن صلب هذا الرأي مَن نسبهم إلى يزيد بن أبي أنيسة، وسـيكون موضـوعنا عنـه في المبحث التالي، وممن ناصر هذا الرأي الإمام أبو الفتح الشهرستاني في كتابه المِلَل والنِّحَل .

وهذا ليس افتراء على اليزيدية في سبيل طمس وتشويش نشأتهم ومنبتهم الحقيقي، بل إن جل اليزيديين يعترفون بأن أصولهم تعود إلى يزيد بن معاوية، وخاصـة العـوام مـنهم، لكـنْ؛ هناك بعض المثقفين من اليزيديين ينكرون هذا الشيء، ومبتغاهم من وراء هذا هو إنكار ومحو كل صلة يزيدية بنشأتها الإسلامية، في زعمهم أنهم يقدمون خدمة جليلة لليزيديـة، وينـسون أنهم في مسعاهم هذا ولّدوا البلل والتشويش في تاريخ العدوية – اليزيدية – وخاصة لـو أننـا تتبَّعنا العبادات لدى الطائفة اليزيديـة كـصيغة الـشهادة لـديهم، وقمنـا بتحليلهـا وتـدقيقها

(1) هو مؤسِّس الدولة الأموية. أول خليفة أموي " 161هـ– 680م، وهو أحد دهاة العرب الأربعة: عمر بن العـاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه. كان يُضرب بحلمه المثل .أسلم يوم فتح مكة. وكان من كتّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. أظهر كفاءة إدارية ممتازة. واستمال إليه أهل ولايته، وظفر بطاعة الجند وولاتهم، وخرج على علي بـن أبي طالب، وحاربه في موقعة { صفين} 657 التي انتهت باتفاق الطرفين على التحكيم. مما أضـعف مركـز عـلي، وأوقع الانقسام في صفوف أتباعه. فلما فشل التحكم استُؤنف القتال. استولى معاوية عـلى مـصر، كـما أغـار عـلى العراق 659 واتخذ لقب خليفة في بيت المقدس، وأخذ لنفسه البيعة من أهل الشام. أعد علي حملة كبيرة لمناجزته، و ولكنه اغتيل، نزل الحسن بن علي لمعاوية عن الخلافة، فأصبح معاوية أول خليفة أموي عـام 661م. اتخـذ معاويـة دمشق عاصمة له، ونجح في توحيد الدولة بما أظهره من حنكة سياسية ... عرف معاويـة أقـدار الرجـال وطُـرُق استمالتهم إليه، فاستعان بعدد من أكفأ رجالات العرب مثل عمر بن العاص والي مصر وزياد بن أبيه والي البـصرة والمغيرة بن شعبة والي الكوفة. يُنسَب إليـه إنـشاء ديـوان البريـد وديـوان الخـاتم واتخـاذ مقـصورة في الجـامع... واستخلف معاوية ابنه يزيد، وأخذ له البيعة قبل وفاته. الموسوعة العربية.

وتأصيلها فليس من الصعوبة أن نجد في لبها وصلبها أنها ذات أسس إسلامية، فهي كالتالي : (أشهد واحد الله سلطان يزيد حبيب الله)، ولنتساءل من اليزيدية أنفسهم مَن هو سلطان يزيد الذي أنتم تنطقون باسمه في شهادتكم ؟ والتي تبغون من ورائها وحدانية الله، أَيعقل أن يكون " يزيد " هو "الله"، وهذا على قول مَن يفسر كلمة " يزد " بمعنى [الإله]؟

فهذا التأويل غير صحيح؛ لأن الله ذُكر في الشطر الأول من الشهادة، و" يزيد " في الشهادة هو حبيب الله،فكيف يُتصوَّر أن يكون الله هو حبيب نفسه؟ وهل من الوارد أنهم يقصدون بـ " يزيد " مدينة يزد الإيرانية؟ اليزيديون أنفسهم يستبعدون هذا الافتراض، وهل من المحتمل أن يكون حبيب الله عند اليزيدية هو " يزيد بن أبي أنيسة "؟ أم يكون هو يزيد بن معاوية؟ أم يكون هو الشيطان؛ لأن البعض يقول : " يزيد " هو من أسماء الشيطان؟

ومما هو ناصر ومؤيد لرأي القائل أن تسميتهم مشتقة من اسم " يزيد بن معاوية فيستدلون على نحو التالي : اليزيديون يقدسون معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد والخلفاء الأمويين بشكل عام، حتى إن أحد الأمراء اليزيديين سُمِّيَ باسم[معاوية]!

يقول إسماعيل جول أمير اليزيديين المتوفَّى عام 1933م ما يلي " - النص مدوَّن بالشكل الذي نطق به الأمير، فقال : يعني محمداً لمعاوية إذ كان حلاقاً أن يحلق رأسه، فقام يحلق رأس محمد بصعوبة، حتى جرحه، وجرى دم، وإن معاوية خاف أن يسقط دم محمد على الأرض، فلعطه بلسانه، فرفع محمد رأسه، وقال له: ماذا فعلتَ يا معاوية ؟ فأجاب: فزعتُ أن يسقط دمكَ على الأرض، لعطتُه بلساني لأنه بركة، فأجابه محمد: أخطأتَ بهذا العمل، ستجلب وراءكَ أمة تحارب أمتي، وتغلبها، فأجابه معاوية: إذا كان الأمر كذلك فأنا لا أدخل العالم؛ أيْ لا أتزوج قطعاً، وبعد زمان، سلَّط الله على معاوية عقرباً، حينئذ؛ جمع له محمد وأقاربه الأطباء حتى يعالجوه، فحكم الأطباء إن لم يتزوج يموت، فأحضروا له ابنة عجوزاً عمرها ثمانون سنة اسمها [مهرسة]، وأصبحت ثاني يوم ابنة عمرها خمس وعشرين سنة، وحبلت، وولدت ملكنا يزيد نور الله .

ويقال إن اليزيديين عظّموا شأن معاوية، ونسجوا حوله الملاحم والقصص والروايات، لكونه تعاطف مع اليزيديين، واتحدوا معاً في جبهة واحدة ضد الشيعة[1].

ومما يؤيد هذا الرأي أن تسميتهم مأخوذة من اسم يزيد بن معاوية، فهناك أسطورتان يزيديتان حول معاوية بن أبي سفيان، خاصة ما يتعلّق بأسباب تحريمهم أكل السمك. أولى هاتين الأسطورتين - حسب ما سمعوا من رجال الدين اليزيدي والقوّالين بشكل خاص- بأن كوكب الأرض يقف على ظهر السمك والثور...

وثانيها : والتي تعنينا والتي هي مربض الفرس. يقال عندما أراد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بناء خيمته في عرض البحر لم يجد الأوتاد والركائز اللازمة، فقامت الأسماك بوضع الحبال في رقبتها[2]. فاليزيدية حرَّمت أكل السمك؛ لأن الأسماك - في زعمهم - قامت بمساعدة يزيد بن معاوية في تنصيب خيمته في عرض البحر، بعد أن حار في أمره.

من هذه الرواية يُقتبس مدى تأثُّر اليزيدية بمعاوية وابنه يزيد، حتىمشايخهم يُقرُّون أن حبيبهم يزيد وُلِدَ من معاوية ومن نور الله، فطبقاً لهذه الرواية قد يكون المقصود بـ "يزيد" في شهادتهم هو يزيد بن معاوية.

بغضِّ النظر عن مدى صحة هذه الرواية من عدمها هل هي أسطورة يزيدية بحتة أم هي دخيلة ومدسوسة في نسبتها إلى اليزيدية، المهم أن العلماء عندما ينسبون منشأ الطائفة اليزيدية إلى يزيد بن معاوية ليس جحوداً وإقلالاً من شأنهم أو إهانتهم، لأن العلماءيسردون واقعهم وحقيقتهم، وهم - أي اليزيدية - يفتخرون بمعتقداتهم، ويسعون في الذود والدفاع عن مقدَّساتهم بكل ما أوتوا من قوة، لكن المؤرِّخين المسلمين وغيرهم لا ينقلون سوى صورتهم الواقعية الحية.

ويبرز هنا سؤال لمَ حظيت هذه العشيرة الهكارية الكردية من بين سائر عشائر الأكراد بهذه المزية؟ فلو كانت اليزيدية ديناً قديماً بالصحيح لاعتنقه كافة الأكراد، وليس لفيفاً منهم،

(1) نزار آغري، المرجع السابق، وأيضاً / اليزيدية قديماً وحديثاً/ قسطنطين زريق.

(2) بيرخدر كاتب يزيدي [هل هي محرَّمات فعلاً؟ أم الرفق به؟ وردَّ فيه هاتين الأسطورتين] مقال على الشبكة الدولية الموقع بحزاني نت.

وعلى الأقل؛ لفتحوا الباب على مصراعيه أمام حشود الكورد ليتسنَّى للجميع أن يدخلوا في دينهم زُمَراً، ولم يسعوا للحؤول دون منعهم في اعتناق هذا الدين، ولم يكتمون تعاليمهم، ولا يؤدُّون عباداتهم أمام الغرباء – أيْ مَن لم يكن يزيدياً – ولا يكون يزيدياً إلا المولود من أبٍ وأمٍ يزيدِيَّيْن، فأين يذهب هذا السيل الباقي من الكرد؟ هل سيدخلُ جميعهم النار حسب نظرية اليزيدية، ولا سيما أن هذا الدين خاص لأفراد هذه الطائفة؟ علماً أن الله عندما كان يرسل رسولاً إلى قومٍ بعينهم أو عشيرة بذاتها كان يرسل رسلاً إلى قبائل وجماعات آخرين، أيْ لم يكن يميز أمة برسول، ويترك الأخرى من غير نبي ورسول، وكثيراً ما كان يتعاصر عددٌ من الأنبياء في آن واحد – أيْ يتمّ بعثتهم في زمن واحد –كما هو شأن موسى وهارون، فعندما بُعثا في بني إسرائيل، لم تُترك بقية الأمم من غير نبي، فكان في زمانهم سيدنا شعيب، وكما هو شأن إبراهيم ولوط وإسماعيل، فكل نبي بُعث إلى عشيرة أو قومٍ، وفي عهد واحد ...

وإذا كانت اليزيدية دين حق كما يدّعي أصحابها فلمَ يحرمون بقية الشعوب من اعتناق هذا الدين؟ ولم لا يقبلون في صفوفهم إلا مَن وُلد من أبوين يزيديَّيْن؟ وكيف سيكون مصير غيرهم؟

بين الزرادشتية واليزيدية

حاولتُ – وعلى مضض – أن أجد رابطاً وصلة بين هاتين الملَّتَين (الزرادشتية واليزيدية) في متون وأمَّهات الكتب، عسى ولعل أن نسدَّ تلك الفجوة العميقة بينهما بعض الشيء، أو حتى يتسنَّى لنا القول بأن اليزيدية كانت ذات أصول زرادشتية أو منشقَّة منها في أصل نشأتها،لكنْ؛ في آخر المطاف وجدتُ كتاباً يحمل عنواناً، فأسعدني في أول الوهلة، أوهمني بأنّ نصبي لم يذهب سدىً، والكتاب تحت عنوان " الزرادشتية أو اليزيدية[1]". هذا العنوان الرائع يوحي بأنهما ملَّة واحدة من حيث الأصل، والتاريخ، والنبي، والكتاب، لكنْ؛ بعد أن فرغتُ من مطالعة هذا الكتاب، للأسف لم أجد من ألفها إلى يائها " من المقدمة إلى الخاتمة " كلمة اليزيدية بتاتاً، فهي لا تشير إلى المعتقدات اليزيدية لا من قريب ولا من بعيد، ولا يذكر طقساً من طقوساتها، ولا تقليداً من تقاليدها، ممَّا جعلني أدرك أن المؤلِّف كتب كلمة " اليزيدية " على غلاف مؤلّفه إرضاء ومجاملة للذين يقولون : بأن اليزيدية ذات أصول زرادشتية، وإلا ما معنى أن الكتاب يتحدَّث عن الفُرْس قديماً، وحضاراتهم وعاداتهم، ويتحدَّث عن أزياء وقصور الفُرْس... أمَّا عن اليزيدية ومعبدهم وكُتُبهم؛ فكأن هذه الأشياء لا تعني اليزيدية في شيء.

من غير الجائز، بل من الضيم أن نؤلف كتاباً ونضع له عنواناً كالمسيحية مثلاً أو اليهودية، ثم نتناول بين دفتي الكتاب الإسلام أو المانوية... لزاماً أن يكون عنوان المكتوب متجانساً مع مضمونه، فلمَ لم يتوغل المؤلف في جبال سنجار وشيخان، حيث اليزيدية تسكن وتقطن في تلك المناطق؟ ولِمَ لم يتحدث عن عاداتهم وتقاليدهم وأزيائهم؟ ولِمَ لم يشرح ما هي الزرادشتية؟ وما هو اعتقادها؟

وأنا على ثقة تامة ويقين لا تشوبه شائبة بأن لا أحد من الزرادشتيين يعرفون مَن هو " الشيخ عدي بن مسافر؟ ومَن هو صخر بن مسافر؟ ومَن هو أبو المهاجر؟ " وهؤلاء الرجال هم أبرز الشخصيات لدى الطائفة اليزيدية .

---

(1) المؤلف بهمن سوراجي، ترجمه توفيق الحسني.

وكذلك لا أحد من اليزيديين على دراية ومعرفة ببيوت النيران، وكذلك "أبراج الصمت" الهائلة في أذربيجان وهندستان، ولا أحد منهم سمع عن كتاب " الآفستا" وأقسامها المشهورة، بل إن العوام من اليزيديين لا يعرفون شيئاً عن كتبهم " الجلوة ومصحف رش "؛ لأن مشايخهم يتذرَّعون بالقول بأن كتابهم المقدَّس سُرق منهم! فكيف لليزيدي أن يكون على دراية بـ" الآفستا"، ثم نأتي ومن غير تردد ونقول : إن اليزيدية ذات أصول زرادشتية، والسبب في هذا القول لأن الكورد قبل الإسلام كانوا يدينون بالزرادشتية، ولأنهم يرجعون أصول اليزيدية إلى الزرادشتية كي يجدوا لهذا الدين مكانة لدى المثقفين الكورد، وحتى يتذرَّعوا بالقول إن اليزيدية قديماً كانت ديانتنا أو ديانة الأكراد كافة، إعلان وإشهار على حساب الزرادشتية! كما هو شأن البعض من الأكراد في التظاهر بالزرادشتية، وهم لا يعلمون عنها سوى اسمها.

متى قدِم الزرادشتيون إلى لالش ليحجُّوا ويطوفوا بمرقد الشيخ عدي بن مسافر؟! لمَ لمْ نسمع بهذا إطلاقاً؟ كما أنه لا أحد منهم يعلم حقيقة وكُنه معبد لالش، ثم هذا المعبد كان معبداً " مثرائياً " قديماً، هذا على قول البعض، ومنهم مَن يقول كان ديراً مسيحياً، ولم يكن حجَّاً ومعبداً يزيدياً، إلا بعد قدوم الشيخ عدي إلى هذا المكان، ومن ثم قام بترميمه وتصليحه، واتخذه مكاناً للنسك والعبادة، ولم يكن هذا إلا في القرن الخامس الهجري، ومن بعده اتخذه اليزيديون محجَّاً لهم، وقدَّسوه.

وكلمة الشيخ هذه لا يعرفها الزرادشتيون، ولا يستعملونها في مفرداتهم اليومية، بينما في اليزيدية لها مدلول ومعنى، واليزيدية لم تستعملها إلا مع مجيء الشيخ عدي بن مسافر، ولو قلنا إن الشيخ لقبٌ إسلامي، فنحن بهذا لا نظلم اليزيدية.

لنفرض جدلاً أن أصولهم تعود إلى الزرادشتية، وأصحاب هذا القول يعلِّلون بأن هؤلاء اليزيديين قدِموا من منطقة " يزد " الإيرانية، وأنهم هربوا من الضرائب الباهظة التي كانت تُثقل ظهورهم، لكنْ؛ كيف نُوفِّق بين هذا القول وقول اليزيديين بأن الله خلق أول نقطة ومنطقة في الكون هي معبدهم " لالش"، وأنهم أُصلاء في هذه المنطقة، وحسب عقيدتهم أن

الحشر والنشر والحساب والجزاء سيكون عند لالش، كي ينهض الشيخ عـدي وينجِّـيهم مـن العذاب، أَ ليس هذان رأيين متناقضين؟ فاليزيديون يرفضون بـأنهم قـدِموامن "يـزد" قطعـاً. وأهل مكَّة أدرى بشعابها.

وأحسن القول عندما قال أحد كتّاب اليزيديين[1] كيف يكون زرادشت نبي قومٍ لم يسمع سواد الأعظم منه حتى باسم هذا النبي؟. كيـف نفـسِّر هـذا الكـمَّ الهائـل مـن الاختلافـات الجوهرية في أساسيات الأركان من أركان الديانتين...

فهناك مَن يقول : بأن أتباع الديانة الزرادشتية هم أول مَن ألصقوا تهمـة "عبـدة إبلـيس" باليزيدية، وبأن فكرة كون اليزيدية زردشتيين أو على الأقل من أصول زرادشتية ظهرت لأول مرة في منتصف السبعينات في العراق، وكان أقوى وربما الدليل الوحيد لـدى نخبـة المثقفـين اليزيديين آنذاك هو ربط بين كلمة. " ايزيدي " وكلمة " يزدان "، فساقوا وسوَّقوا الفكرة على أساس أن اليزيدية إنما يتحدَّرون أصلاً من منطقة يزدان الإيرانيـة. للأسـف رُوِّجـت الفكـرة دون عناء البحث والتدقيق، بل اختصاراً للطريق، وكأن الأخوة المروِّجون أرادوا أن يروا مـا يريدون أن يروا... وليس ما هو حري بأن يُرى ... وأرادوا بـذلك - وبحـسن نيـة - إعطـاء عمق أو هوية تاريخية معروفة ومعترفة بها عالمياً أو إقليمياً ومحلياً للديانة اليزيدية.

ولو استثنينا الشيخ عدي من محطات اليزيدية، لا يتبقى في الدين اليزيدي أي محطة مهمة، ولا يعرف المرء أي شيء عن شيوخ وآلهة اليزيديين الذين ترد أسماءهم في نصوصهم الدينيـة، فمَن هؤلاء؟ ماذا فعلوا؟ وماذا كتبوا؟ ما هي أفكارهم؟ مَن هو شمس الدين؟ ومَن هو فخر الدين وأبو بكر وشيخ شمس ومحمد رشان وغـيرهم؟ علـماً أنـه لم تقـم عـلى ضـفاف الـدين اليزيدي أيّ إنجازات على الأصـعدة الفكريـة والأدبيـة والفنيـة والفلـسفية، ويفتقـر كتـاب مصحف رش والجلوة إلى العناصر الفنية، وتبدو مقارنة مـع النـصوص الدينيـة في الـديانات الأخرى ساذجة ومليئة بالركاكة والأغلاط.

---

(1) وسام جوهر في مقال له ...تعقيباً على مقال:نحن إيزيديين، ولسنا زرادشتيين.

فلا وجه للمقارنة بين اليزيدية والزرادشتية، فكل المشايخ والآلهة اليزيدية التي يُتوسَّل إليها ويُدعى إلى نَيل مرضاتها هي مجهولة ومعدومة لدى الزرادشتية، لم يسمع زرادشتي واحد لا من أسلافه ولا من أجداده بالشيخ أبي المفاخر وأبي بكر ومحمد رشان، وكذلك لم تكن دعوة هـؤلاء المشايخ تتوافق والزرادشتية، أي أن هؤلاء - أيضاً - لم يدعوا - في يومٍ ما - للإيمان بزرادشت، فكلتا الملتين تجهل الأخرى، فكيف الدعوة بأنهما ذات أصول ومنبع واحد؟!

علاوة على أن كافة الأسماء الواردة لمشايخ اليزيدية هي أسماء إسلامية حتى النخـاع مثـل محمد رشان وفخر الدين و... وحتى العرب قبل بعثة محمد "صـلى الله عليـه وسـلم" لم تكـن هذه الأسماء مشهورة عندهم، بل كانوا يسمّون بصخر وحرب وعبد الـشمس وعبـد العـزَّى .... أما محمد وأحمد وعبد الله فكانت شبه معدومة.

ومحمد رشان يأتي ذكره - ميلاده - بعد بعثة رسول الله بقرابة 700 عام.

والأمر الآخر الجدير بالاهتمام والأهم من كل ما سبق؛ فهو لا سيما عندما يـدخل الزائـر إلى معبد " لالش " وبالأخص عندما يدخل باحة المعبد يواجـه الزائـر بوابـة حجريـة قديمـة تحمل نقوشاً مختلفة ذات دلالات طقسية رمزية منها نقش البسملة {بسم الله الرحمن الرحيم} ويعد ذلك من تأثيرات الشيخ عدي الإسلامية[1].

ربما يتبجح فضولي يجهل حقائق التاريخ، ويقول: بأن المسلمين هم الذين كتبـوا البـسملة على مدخل معبد " لالش " عندما كانت دولة الإسلام قائمة، فبحكم السيطرة والغلبة قـاموا بتدوينها على المدخل، والمقصد هو إزالة الهوية اليزيدية عن المعبد، وإعطائه صـبغة إسـلامية، وهذا ينبع من الجهل والفرار مـن الواقـع التـاريخي الحقيقـي لشخـصية "الـشيخ عـدي بـن مسافر". ولنفرض جدلاً بأن هذا ما حدث، وأن هذه الكتابة مـن صـنع وتـدوين المـسلمين، عجباً لمَ لمْ يمسحها اليزيديون ويزيلوها من واجهة المعبد عند اسـتردادهم للمعبـد، وبعـد أن خلوا لمعبدهم، وبالأخصِّ؛ بعد أن زالت قوة الإسلام ودولته، ولم يبق خوف ورعب مـن أيِّ شيء يُذكَر؟! ألا يدلُّ بقاء هذه الكتابة حتـى الآن إلا عـلى سـبب واحـد وهـو أن اليزيـديين

(1) قناة العربية (مهمة خاصة).

يدركون جيداً أن هذه الكتابة من معالم وآثار شيخهم المقدّس " الشيخ عدي "، ومن بـصماته الباقية على المعبد، بل هم ينهضون للتبرُّك بالبسملة، وليس العكس؟!

أما عن الدين الزرادشتي؛ فهو دين قديم كقدم الزمن، يعود أصوله إلى قبل الميلاد من 6 قرون إلى 10 قرون قبل الميلاد، انتشر هذا الدين قبل بعثة سيدنا عيسى على نطاق واسع من محيطه وعالمه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.[1]

(1) سورة آل، عمران الآية 64.

الكتاب المقدَّس عند الزرادشتية

(الآفستا أو الأبستاق)

بعد تناولنا تاريخ زرادشت وميلاده، والاختلاف اللفظي في اسمه، وكذلك موطن ميلاده، وعصر بعثته، مع اختلاف واسع للمؤرِّخين في عهد بعثته نبياً، وقلنا إن العلماء المسلمين انقسموا إلى طائفتين، طائفة أقرَّت واعترفت بنبوة زرادشت، وعلى رأسهم ابن حزم. وطائفة الثانية : التزمت الصمت، ولم تقل قولاً لا منافياً ولا معارضاً لنبوته ولا مؤيداً له، ووجدنا بوناً وهوة شاسعين بين كل من الزرادشتية واليزيدية .

فكل نبي أو رسول يمده الله بكتب أو صحف أو تشريعات يشتمل على الحلال والحرام ليبيّن للناس ما هم فيه مختلفون. كالزبور أنزله الله على سيدنا داوود، والتوراة على سيدنا موسى، والإنجيل على سيدنا عيسى، والقرآن على خاتم الأنبياء والرسل (محمد بن عبدالله)، ومنهم مَن أيَّدهم الله بالصحف كصحف إبراهيم وموسى. إذاً؛ لا يخلو نبيٌّ إلا وأعلمه الله بأحكام وتشريعات، وحلال وحرام، مع الاختلاف في الكيفية.

أشهر كتابٍ ينسبه المؤرِّخون إلى زرادشت هو {الآفستا} ، لكنْ؛ هناك اختلاف ضئيل، فيرى البعض من غير حجَّة تعضد رأيهم أنّ " الآفستا" تمَّ تدوينه وكتابته بعد زرادشت.

ترك زرادشت " الآفستا " أو {الأبستاق} أي كتاب العلم والحكمة، وقيل معناه الأساس واللبنة أو البناء القوي، وهذا الكتاب المقدس على شكل أشعار وأناشيد دينية تمجد الإله {أهورامزدا} .

وكتابه المقدس – أي لزرادشت – " الآفستا " أو " الزند آفستا " زند معناها التفسير، وآفستا معناها القانون، ويحتوي الآفستا على نصوص محرّفة، وهو محشو بزيادات مدسوسة ومكتوبة بلغة إيرانية قديمة، معاصر في الأغلب لـ" داريوس " ... وعندما جُدِّدت الزرادشتية في عهد الساسانيين كُتبت بعض النصوص الدينية بالفهلوية باللهجة الفارسية،

لغة الكهنة. والزرادشتية في أساسها ضرب من الإصلاح لدين أهل فارس الطبيعي، ترمي إلى تنمية الحصاد والرفق بالحيوان المستأنسة، مما يؤدي إلى توفير الغذاء[1].

وله كتاب – أي لزرادشت – قد صنفه، وقيل أُنزل ذلك عليه، وهو {زندويستا} يقسم العالم إلى قسمين، مينه وكيتي، يعني الروحاني والجسماني، وقد صنّفه وطاف به الأرض، فما عرف أحد معناه، وزعم أنها لغة سماوية خوطب بها، وسمَّاه (أثنا)، فسار من أذربيجان إلى فارس، فلم يعرفوا ما فيه، ولم يقبلوه. فسار إلى الهند، وعرضه على ملوكها، ثم أتى الصين والترك، فلم يقبله أحد، وأخرجوه من بلادهم، وقصد فرغانة[2] فأراد ملكها أن يقتله، فهرب منها، وقصد بشتاسب بن لهراسب، فأمر بحبسه، فحُبس مدة،وشرح زرادشت كتابه وسمَّاه [زند] ومعناه التفسير، ثم شرح الزند، وسمَّاه [بازند] يعني تفسير التفسير، وفيه علوم مختلفة كالرياضيات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من أخبار القرون الماضية وكتب الأنبياء، ومما جاء في كتابه {تمسكوا بما جئتكم به، إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر يعني " محمد صلى الله عليه وسلم " وذلك على رأس ألف وستمائة سنة ...} ولما أتى بشتاسب بهذا الكتاب زعم أنه وحي من الله تعالى، وكُتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفراً بالذهب، فجعله بشتاسب في موضع باصطخر، ومنع من تعليمه العامة[3].

وكان الكتاب المقدَّس للدين الجديد هو مجموعة من الكتب التي جمع فيها أصحابه ومريدوه أقواله وأدعيته، وسمَّى أتباعه المتأخِّرون هذه الكتب بـ " الآفستا – الأبستاق "، ويُعرَف عند العرب بـ " الزند – آبستا ".[4]

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة، " حرف الزاي ".

(2) فرغانة: منطقة بوسط الاتحاد السوفيتي في جمهوريات : أوزبكستان وطاجاكستان وقرقيزيا السوفيتية الاشتراكية، واشتهرت بالزراعة وبإنتاج الحرير، قامت فيها مراكز تجارية قديمة، منها مارجلان، وأوش، حمل العرب إليها الإسلام في القرن الثامن وخضع لهم ملوك خوارزم " القرن 12/ 14 " وجنكيزخان وتيمورلنك، ثم خانات أوزبك كوكند " القرن 16/ 19 "، ثم استولى عليه الروس 1876.

(3) المِلَل والنِّحَل، للشهرستاني .

(4) المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي،"المرجع السابق ".

لكن نصوص الآفستا - مع مرور الزمن - تعددت، فقام أزد شير الأول - بعد توليه الحكم - بمحاولة توحيد المعتقدات الدينية وكتابة نص واحد، وسُمِّي الكتاب المقدس ... وفي عهد شابور الثاني أُضيفت تعديلات كثيرة على الكتاب المقدَّس [الآفستا] بدعوة من كبير الموبذة كبير رجال الدين (آذار مهرسبندان)، وأضحت الآفستا موسوعة كبيرة لعلوم العصر كافة في العصر الساساني، وقسِّمت إلى واحد وعشرين كتاباً، تضمَّنت تأليفات في الطب والفلك والفلسفة... ولم يبقَ منها اليوم إلا القليل الذي يشكِّل مجموعة من النصوص مبعثرة هنا وهناك[1].

الأبستاق قسمان كتاب {الابستاه} ومعناه المعرفة، وكتاب {زنداي} وهو تفسير. وكتاب الابستاه وضعه علماء الدين، وتشتمل هذه الكتب مجموعة من الأناشيد والأقاصيص والأدعية والطقوس الدينية والقواعد الخلقية، وفيها أوامر ونواهٍ، وفيها الوعد والوعيد، والكثير من العبادات والشرائع... واستمر العمل بأحكام " الابستاه " حتى عهد الإسكندر، حيث أحرق الإسكندر بعض هذا الكتاب الذي جُمع في اثني عشر جلد ثور بالذهب[2].

مما تقدم نجد أن كتاب الآفستا يُنسَب إلى زرادشت، وأنه وحي من الله إليه، بيد أن بعض الروايات تقول بأن الآفستا نتيجة جهد من أتباع وأصحاب زرادشت، وفي سعي منهم كي لا يُفقَد هذا الكتاب ويضمحل، فقاموا بجمعه وكتابته من بعد وفاة زرادشت، ثم أطلقوا علية اسم " ألابستاه أو الأبستاق". ويُستنتج من هذا القول بأن الآفستا لا يحتوي إلا على مجرد أقوال وأفعال وأدعية قام بها زرادشت، ثم قام أتباعه، وجمعوا الكتاب، ويكون حال "الآفستا" شبيهاً بالأناجيل، فكل أنجيل يُنسَب إلى واحد من تلامذة سيدنا عيسى : إنجيل برنابا ولوقا ومتى ويوحنا ... وما هذه الأسماء إلا أشخاص من حواريي عيسى، قاموا بجمع وكتابة تعاليم عيسى عليه السلام، و كل أنجيل يحمل وينسب إلى صاحبه فليس غريباً أن يكون " الآفستا " شأنها كشأن الإنجيل من إعداد وترتيب أصحاب زرادشت، ولا سيما ذكرنا أن في عهد شابور الثاني أُضيفت تعديلات كثيرة على الكتاب المقدس بدعوة من كبير الموابذة.

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع راجع الموسوعة الإسلامية الميسرة، مادة " الزرادشتية ".

(2) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، المرجع السابق.

وما يشدُّ من ساعد هذا الرأي ويعضده كون العديد من المؤرخين يقولون : بأن "الآفستا" في بداية الأمر كان محفوظاً في الصدور ثم كُتب بالخط المذكور، وقيل إنه أُنجز بعد ظهور الإسلام، وجُمع هذا الكتاب بعد وفاة زرادشت بعهد طويل، وتعرَّض للضياع عدة مرات.

والرواية الأخرى - والذي عليها سواد الأعظم من المؤرخين - تقول: بأن الكتاب نزل وحياً على زرادشت، وعند وفاته، خلّف هذا الكتاب جاهزاً من غير نقص يُذكَر، وحجَّتهم في ذلك بأن زرادشت هو الذي قام بتفسير " الآفستا "، وسمَّاه " الزند "، ثم فسَّر الزند، وسمَّاه "بازند"؛ أيْ تفسير التفسير، فإذا لم يكن الآفستا مدوَّناً في عهد زرادشت، فكيف سعى إلى تفسيره، وأطلق عليه اسم الزند و بازند، وتأيداً لهذا الرأي قال علماء الفُرْس : إن زرادشت جاء بكتاب ادَّعاه وحياً كُتب نقشاً بالذهب، فوضعه كشتاسب في هيكل باصطخر، ووكَّل به الهرابذة، ومنع من تعليمه العامة، وسُمِّي ذلك الكتاب " نسياه "، وهو كتاب الزمزمة، وفسَّره زرادشت، وسمَّى تفسيره "زندة" .

وورد هذا القول عن طريق آخر، وكان من أهل أذربيجان – أيْ زرادشت – يُقال له "زراثوسترا" وهو مؤسس الديانة الزرادشتية، الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند العوام واسمه عند المجوس [بستاه] أو الآفستا، ولم تُعرف حقيقة تاريخه بالضبط[1].

وقد عجز المجوس عن حفظ كتابهم هذا، فصار كثير من علمائهم وموابذتهم يأخذ بحفظ أسباع وأرباع أو ثلاث من هذا الكتاب، فيبتدئ أحدهم بما حفظه من جزئه، فيتلوه، ثم يبتدئ الثاني منهم، فيتلوه جزءاً آخر، وهكذا إلى أن يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب؛ لعدم استطاعة الواحد منهم بحفظ الكتاب بكامله.

ويذكر العالم الانكليزي (وست) بأن الآفستا كان يتكوَّن من 345700 كلمة، لم يبق منها اليوم غير 83000 كلمة في الآفستا الحالي؛ أيْ أقل من ربع الأصل، وكان يتألف من واحد وعشرين جزءاً وخمسة أقسام، ويذكر المؤرخون بعد موت زرادشت بنحو ثلاثمائة سنة بأن الإسكندر المقدوني اليوناني استعمر بلاد فارس، وألغى {الآفستا} ، وأقام الديانة اليونانية في

(1) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة.

بلاد فارس، ومهما كان الأمر، فإن الفارسيين - بطريقة سرية خفية - ثبتوا على ما هم عليه من العقائد، وعلموها أبناءهم.[1]

وحسب المصادر التاريخية يظهر أن الزرادشتية تعرضت لحادث عنيف في تاريخها على يدي الإسكندر، فالزرادشتيون يعتقدون أن نبيهم زرادشت قد كتب 20 كتاباً، كل منها يتألف 100000 آية أو مقطع، ونُسخت على 12000 جلد من جلود البقر، وعندما انتصر الإسكندر الكبير على الفرس، أحرقها، وكان ذلك عام 330 ق.م. وبعد ذلك قام المزديون [نسبة إلى أهورامزدا] الفُرس بجمع ما وجدوه من روايات تناقلها الناس من كتاب الآفستا المنسوب إلى زرادشت، وعدُّوه كتابهم المقدس ... وقد تمَّت ترجمته إلى اللغة الفارسية (الفهلوية) ما بين القرنين الثالث والعاشر الميلاديين، وأقدم مخطوطة موجودة تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وبالتحديد إلى سنة 1258م. [2] ويقال بأن اللغة الأصلية التي دُوِّنت بها الآفستا هي اللغة الآفستائية، وهي لغة وثيقة الصلة بالفارسية القديمة والسنسكرتية الفيدية[3].

أمَّا اللغة الآفستائية التي كُتب بها كتاب زرادشت؛ فيعتقد العديد من المحقِّقين أن الخط الآفستائي قد ظهر في العهد الساساني (226 – 641م)، وكان الآفستا - في بداية الأمر - محفوظاً في الصدور، ثم كُتب بالخط المذكور، وقيل إنه أُنجز بعد ظهور الإسلام .

---

(1) العقيدة والقانون في فلسفة زرادشت، مقال على الشبكة الدولية (الإنترنت) لـ كارزان خانقيني.

(2) من قاموس الأديان، أسعد السحمراني.

(3) السنسكريتية هي لغة قديمة في الهند، وهي لغة طقوسية للهندوسية والبوذية والجانية، ولها موقع في الهند وجنوب شرق آسيا مشابه باللغة اللاتينية واليونانية في أوربا وفي القرون الوسطى، ولها جزء مركزي في التقليد الهندوسي، والسنسكريتية هي إحدى الاثنتين وعشرين لغة رسمية للهند، تدرس في الهند كلغة ثانية، كما أن بعض البراهميين – وهم الوعاظ من الطبقة العالية – يعتبرونها لغتهم الأم. لقد كانت اللغة السنسكريتية وما زالت في الهند في المعابد، فيُسمَح فقط لكهنة البراهما بقراءة النصوص السنسكريتية. الموسوعة الحرة على شبكة الدولية.

أهم أقسام (الآفستا):

يضم كتاب الآفستا خمسة أقسام، وكل قسم يتناول مجموعة من الأحكام والأدعية والأناشيد والمدائح، وبالإضافة إلى نصوص تنظم حياة الأفراد؛ مثل العبادات والطهارة والمعاملات .

1- {الياسنا} أي " العبادة والمهرجان "، ويُطلق على مقطع منه " الغاثا "، ويعني النشيد، وهذا القسم من أشهر أقسام الآفستا، ويضم أدعية ومعارف دينية، ويُنسب هذا القسم إلى زرادشت نفسه .

2- {الفسبريد} أي " الزعماء والأعيان "، ويشتمل على أدعية، وهو الكتاب المتمم"للياسنا".

3- {الياشت} وهو مجموعة الأناشيد الخاصة بالمدائح أو أدعية الأناشيد والتسابيح.

4- {الفانديداد} أي " القانون المضاد للشيطان "، وهي مجموعة التفصيلات التي تحكم الطهارة، ومعنيٌّ هذا القسم بمسائل الحلال والحرام والطهارة والنجاسة .

5- مجموعة من النصوص القانونية التي تحكم كافة مناحي الحياة العامة، وتتطرَّق إلى الأعياد والمراسيم المذهبية وأناشيدها .

ينسب المؤرخون الجزء الأول من كتاب آفستا إلى زرادشت نفسه، في حين يُنسَب سائر أقسام الآفستا إلى زملاء زرادشت.

وفي المعتقد الزرادشتي سيظهر ثلاثة منقذون " مخلصون "، أحدهم ظهر قبل زرادشت بـ 1000 عام، والثاني بعد زرادشت بـ 2000 عام، والثالث بعد زرادشت بـ 3000 عام، وأسماؤهم على الشكل التالي:

أولاً: " هوشيدر " ظهر قبل زرادشت بألف عام.

ثانياً: " هوشيدر ماه " يظهر بعد زرادشت بألفي عام.

ثالثاً: " سوشيانس " سيظهر بعد زرادشت بثلاثة آلاف عام، وهو الذي سيبثُّ العدل في الدنيا بعد ظلم يطول أمده .

لو صحَّت هذه الروايات، وإن لم تكن مدسوسة في الآفستا، ولو صادف صحة الرواية التي رجعت بعثة زرادشت قبل عام الميلادي بـ 6 قرون، لربما الذي بشَّر به زرادشت أتباعه هو سيدنا"عيسى عليه السلام "، أمَّا المنقذ الثاني؛ فيكون " محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم"، ولا سيما ذلك الأثر التي جاء عن زرادشت في دعوة أصحابه إلى التمسُّك بعقيدتهم، حتى يأتيهم صاحب جمل أحمر، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكرنا أن دين زرادشت ضرب من الإصلاح، ويرمي إلى تنمية الحصاد والرفق بالحيوانات المستأنسة لأجل توفير الغذاء وخصوبة إنتاج الأراضي، وخير دليل على هذا ما ورد في" الفانديداد " إحدى أسفار الآفستا حيث يقول زرادشت :)حينما ينمو الشعير تنزعج الشياطين، وحينما يُحصد القمح يُغشى على الشياطين، فالبيت الذي يدخله القمح تخرج منه الشياطين مذمومة مدحورة).

في هذه الترنيمة دليل واضح أن وجود إلهين في الديانة الزرادشتية أمر مبتدع ودخيل من قِبل الذين ادَّعو بأنهم إتباع زرادشت، لكنهم محرِّفون، وأتوا بأمر زرادشت منه بريء. فزرادشت لم يدع إلا إلى عبادة إله واحد، لكنْ؛ بعد وفاته نسبوا إليه أشياء في وقت فات فيه الأوان في تصحيح هذه المفاهيم المنحرفة، فيذكر زرادشت هنا " الشيطان " تلك القوى التي تدير الشر بلفظ صريح، ويقول أيضاً إعلاناً على وحدانية الرب الحكيم(أنا علم أنك الحق، وأنك مع العقل النيّر، هكذا أراك، وأرى - أيضاً - أن الرب الحكيم بالغ العظمة له العرش والقصاص، بهذا القول من أفواهنا سنحوِّل البشر من فرائس للشرِّ إلى كائنات عظيمة).

وإثباتاً لوحدانية الله - عز وجل - يقول زرادشت:(أين - أيها الحكيم - سوف يكون المخلص مستحوذاً " العقل الخير "؟ هؤلاء الذين أحالوا العقائد والمورثات إلى معاناة وعذاب سوف يكون مصيرهم الجحيم، ولكنني لا أعرف غيرك، فأنقذنا بواسطة الحق).

ومن أقواله - أيضاً - التي تبرهن على الوحدانية المنقطعة النظير، التي لربما لا تجد مثلها في نُسَخٍ من الأناجيل، تلك التي تناولتها يد التحريف والتبديل، ولهذه النصوص التوحيدية أقر العلماء بنبوة زرادشت، التي هي بعيدة عن الشرك والثنائية أو الثُلاثية المقدسة "الثالوث" فمن هذه النصوص لاحظ توجُّه زرادشت إلى الواحد الأحد:

(إني لأدرك أنكَ وحدكَ الإله،.وأنكَ الأوحد الأحد، وإني من صحة إدراكي هـذا أوقـن تمام اليقين من يقيني هذا الموقن أنكَ أنت الإله الأوحد .. اشتد يقينـي غـداة انعطـف الفكـر مني على نفسي يسألها: من أنت؟ ولفكري جاوبت نفسي؛ إني زرادشت، أنا، وأنـا ؟ كـاره أنـا الكراهية القصوى للرذيلة والكذب، وللعدل والعدالة أنا نصير! من هذه أتفكَّر الطيبـة التـي تحوم في خاطري، ومن هذا الانعطاف الطبيعي في نفسي نحو الخير، ومن هذا الميل الفكري في داخلي إلى محق الظلم التي تؤلف كينونتي وتكون كياني ينبجس في قلبي الإيمان بأنـك وحـدك "أهورامزدا" الإله، وأنك الأوحد الأقدس الخيّر الحق).

في هذه الترنيمة، فإن زرادشت يمجِّد ويوحِّد الإله الأوحـد "الله عـز وجـل"ويـدعو إلى تفرُّده في العبادة، والخضوع له، ووجود إلهين هو حشو وتزييف لحقيقة عبـادة زرادشـت مـن قِبل أتباعه المتأخِّرين، أمَّا قوله هناك صراع بين الخير والشر والظلمة والنور كما الليل يـصارع النهار؛ فهذا صحيح، ومن بدهيات الكون والحياة وإلى قيام الساعة، فإنـه لم يـدع إلى تقـديس وتأليه النار كما هو عليه المجوس، ولا إلى عبادته من باب الأولى، كما لم يرد ذِكر للنـار في هـذه الترنيمات، ولا غيرها، وأكبر برهان على هذا أن زرادشت لم ينشأ ولم يعيِّن بيوتاً للنيران، وإنـما أحدث أتباعه من بعده بيوتاً ومعابد للنار، وحدث هذا بعد وفاة زرادشـت بمئـات الـسنين، لذا؛ انـشقَّت طائفـة عـن الزرادشـتية، وأطلقـت عـلى نفـسها الزرفـانيين؛ أيْ [الموحِّـدين]، وسيكون حديثنا عنهم في التشريعات الزرادشتية، إن شاء الله وتعالى.

والآن سنقوم بسرد بعد المقتطفات والترنـيمات مـن " الآفـستا " الكتـاب المقـدَّس لـدى الزرادشتية من قسم " الياسنا"، الذي ترجمه وأعدَّه د./ خليل عبد الرحمن.

رمز الإيمان:

1- ألعن الأبالسة. أعترف بأنني زرادشتي، عابدمازاد، عدو الأبالسة، آهورا، مبجل- آميشا سبينتا ومُصلٍّ لهم.

أعزو كل شيء جيد إلى محقِّق الخير، الطيب آهورامازدا، وكل شيء أفضل: حامل آرتا، المنير، واهب هفارنو[1]: الماشية، النور، وكل شيء رائع ، مليء بالوفرة والغبطة.

2- أختار لنفسي آرمايتي المقدَّس والطيب، وليكن هو لي، امتنع عن سرقة ونهب الماشية، وعن إيذاء وسلب القرى المازدا ياس.

3- أضمن حرية التحرُّك وحرية الحياة لأولئك الناس الذين يربُّون الماشية على هذه الأرض مع عبادة آرتا وتقديم القرابين لها أتعهد بأنني - في سبيل جسدي والحياة - لن ألحق الأذى والإفلاس بالقرى المازدا ياسنية.

4- أمتنع عن التعامل مع الشرِّيرين المقترفين المخرِّبين الفتَّاكين من الأبالسة الأكثر فساداً، الأكثر شؤماً من بين كل الموجودات، أتبرَّأ من الأبالسة و أعمالهم، أتبرَّأ من السَّحَرَة وأعمالهم، ومن الذين يغتصبون الحياة، والأفكار، والأقوال، والأفعال، والأخلاق. أمتنع عن التضامن مع الكذَّابين والمخرِّبين.

5-هذا لأنه هو ما علمه آهورامازدا زرادشت في كل المحادثات واللقاءات، وعندما تكلَّم كل من آهورامازدا وزرادشت مع بعض .

6- ولأن زرادشت امتنع عن التعامل مع الأبالسة في كل المحادثات واللقاءات، وفي أثناء ذلك تكلم آهورامازدا وزرادشت مع بعضهما بعض، كذلك أنا- الزرادشتي وعابد مازدا وزرادشت - أمتنع عن التعامل مع الأبالسة .

(1) هفارنو- هارزماالخيرات الإلهية- وهو في نفسه إله يجسِّد هذه الخيرات والوفرة.

7- بإيمان الماء، إيمان النبات، إيمان الماشية الخيرة، إيمان آهورامازدا - خالق الماشية والإنسان الصادق، إيمان زرادشت، إيمان كافي فيشتاسيا، إيمان فراشاوشترا وجاماسيا[1]، إيمان كل منقذ صادق حقيقي، بهذا الإيمان والمذهب أصلي لمازدا .

8- بصفتي زرادشتياً، عابداً مازدا، أعد نفسي ممجداً وصادقاً، أمجد خير الفكر، خير الكلمة، وخير الفعل.

9- أمجد صلاة الأيمان بمازدا، المسالم، نازع السلاح، ومقوم الزواج الأسري ،[2] والأعظم بين الموجودات الآنية والمستقبلية، والأفضل والأروع من بين الأهوريين والزرادشتيين. أعترف بكل الخير يا آهورامازدا .وهذا هو تمجيد الإيمان بمازدا المبجَّل.

[دعوة زرادشت]

1- وفقاً للقوانين التي تخصُّ الحياة الحاضرة، فإن القاضي بعمله العادل سيقضي بين الإنسان الصالح والإنسان الطالح، وبين الذي تكون أعماله الصالحة والطالحة متساوية.

2- الذي يلحق الأذى بالكذب الشرير بكلمة، أو بفكر، أو بيد، أو يهدي تابعه إلى الخير ... فإن رجالاً كهؤلاء ينفِّذون مشيئة مازدا، ويكسبون رضاه .

3- الذي هو طيب مع الإنسان الصالح، سواء كان نبيلاً، أو فرداً من القبيلة، أو من الجماعة، أو أنه يعتني بالمشية بكد واجتهاد، سيكون في الآخرة في الحق والعقل الخير.

4- بصلاتي وعبادتي يا مازدا أُبعد عنك العصيان والفكر السيئ، والهرطقة، أُبعد الكذب الذي يمكن قريباً من العائلة والقرية، أُبعد الأغراب عن القبيلة، وأُبعد الرُّعاة السيئين عن مراعي الماشية ،...

5- أنا الذي أستحضر قانونك كأعظم الأشياء في الكمال،وعندما أنال الحياة المديدة سيكون الجزاء : سيادة العقل الخير، وطرق آشا المستقيمة؛ حيث يسكن آهورامازدا .

---

(1) جاماسيا مستشار الملك فيشتاسيا، حامي دعوة زرادشت وجاماسيا صهر زرادشت أيضاً.

(2) كان الزواج بين الأقارب مسموحاً، بالأخصِّ في فترة الزرادشتية الأرثوذكسية في عهد الساسانيين .

6- أنا الكاهن، أتعلَّم {الطرق} المستقيمة من خلال آشا، وأتعلَّم كيف أرعى الثور بذلك الفكر، لأجلهما يا آهورا مازدا أُجاهد لأن أراك وآخذ مشورتك بهما .

7- تعالي إلى هنا أيتها الأقانيم الفضلى : آهورا مازدا، آشا، فاهومانو، مجسدة مرئية! لكي يكون صوتي مسموعاً أمام أنصار ديانة [؟] ولتكن الواجبات الجليلة ظاهرة وجلية بيننا ولتشهد بوضوح[؟].

8- التفت إلى أعمالي عن طريق فاهومانو، وعبادتي أوجِّهها لكَ يا مازدا، وكلماتِ تسبيحي أوجِّهها لكِ يا آشا أمنحاني بركاتكما الأبدية يا أميرتات وهورفيتات.

9- إن روحكَ تلك يا مازدا مع فاهومانو والبركة الناتجة عن اتحادهما الذي بدوره يؤدي إلى الرخاء بوساطة آشا. عسى أن نحصل على العون الملائم منهم.

10- يبات الحياة التي تملكها، تلك التي وجدت والتي توجد والتي ستكون يا مازدا ستقسمها حسب مشيئتك الخيرة من خلال فاهومانو، خشاترا و آشا.

11- يا أهورامزدا الأقوى! يا آرمايتي! يا آشا! إنكم تباركون ممتلكاتنا [حياتنا]، فليسمعاني فاهومانو وخشاترا، وليشملاني برحمتهما عندما يجازي كل إنسان.

12- انهض لأجلي يا آهورا، ومن خلال آمايتي امنحني القوة، ومن خلال الروح الأقوى امنحني الشدة يا مازدا، ومن خلال آشا امنحني الشجاعة الجبَّارة، ومن خلال فاهومانو امنحني المكافأة.

13- لتعضدني يا ذا البصيرة هلا ضمنت لي بركات لا تضاهى في ملكوتك يا آهورا كقدر العقل الخير. ويا آرمايتي المقدَّس عَلم الأشرار الحق، وأرشدهم إليه.

14- حينئذ يقدِّم زرادشت حياته كقربان لاهورامزدا، وأفعله إلى آشا، وكلماته إلى آرمايتي وخشاترا.

[صلاة زرادشت بعد منفاه]

1- إلى أين أذهب؟ وإلى أيِّ أرض أتجه؟

بعيداً أنا عن الوطن وزعماء القبيلة

وقبيلتي لا تعترف بي،

ولا يعترف بي أيضاً أنصار الكذب وسلاطين البلاد.

كيف أستطيع أن أرضيك يا مازدا؟

2- أعرف يا مازدا سبب ضعفي.

عندي القليل من الماشية ونفر قليل من الناس.

أناديك يا آهورا أن تلتفت إليَّ، ساعدني كصديق يساند صديقه.

علِّمني امتلاك الفكر الخيّر بمعونة آرتا.

3- متى يا مازدا ستحلُّ أيام الثور؟

سيأتون ليحقِّقوا في العالم النظام الأمثل [آرتا].

متى يأتي المساعدون الحكماء بالخطب العظيمة؟

مَن سيساعد الفكر الخيّر؟

اخترتكَ أنتَ، وأعتمد وصاياكَ أيها السيد الحاكم آهورا!

4- نصير الكذب يعيق عمل نصير النظام، ويحيل بين الولايات والبلد والثور.

مالك الشر يعيق المجد بأفعاله الشنيعة.

مَن سيصادر مملكته أو حياته يا مازدا؟

سيقوم بذلك الذي يمشي في الأمام، ليسهل الدرب أمام المذهب الخيّر.

5- وأي امرئ في يده القوة أو نبالة التكريم،

أو يعيش طبقاً للأحكام التي قدَّرتها العهود.

عليه أن يقبض على الغريب الآتي إليه.

إن كان بالفعل رجل حق، يمكنه التعرُّف على السرير.

إذا ما أعلن ندمه أمام عائلته.

عسى أيها "الرب" أن تحفظه من إهدار الدم.

6- لكنه إن لم يلبِّ نداء [التوبة].

فسوف يعود إلى مخلوقات "الشر" ... هذا

الذي ينظر إليه الرجل الشرير باعتباره الأفضل.

لكنه لمن الحق أن يحبَّ الحق...

منذ أن خلقت أيها " الرب" أولَ الضمائر.

7- أيَّ إنسان ستعطيني يا مازدا!

إنسان يشبهني ويدافع عن الخير عندما يريد نصير الكذب أن يضطهدني

من غير نارِكَ وفكرِكَ وأعمالِكَ، التي بها تنضجُ مملكة القانون؟

أرغب في رفع هذه العقيدة!

8- الذي يريد أن يلحق الأذى ببيتي وطيبتي،

لا تدع أعماله السحرية تؤثِّر فيَّ، فلتوجه الشر، الذي خلقه نحو نفسه،

فليكن هذا الشر ضد جسده، فليبعد هذا الشر الصحة عن جسده

ولكنْ؛ لا تبعد عنه الأمراض، أيها الناظر العظيم.

9- من الذي يعتبر نفسه مؤمناً،

ذلك الذي علمنا أنك المساعد الأفضل،

وأن حكام الحق المقدس فوق كل الأفعال؟

وأن القانون سيعلو من شأن خالق النور.

إنهم يريدون أن يسمعوا من خلال الفكر الخيّر.

10- أيا مَن كان رجلاً أو امرأة، يا أهورامزدا،

الذي حقَّق لي كل ما اعترته الأفضل من أجل العالم،

امنحه الجنة ثواباً على عمله الصادق، وكذلك الناس، الذين سأقنعهم بعبادتكَ.

معهم سوف أعبر جسر [جينفات] الفاضل [1].

11- الذين يقدِّمون التضحيات، والأمراء المشعوذون.

قد أخضعوا البشر لنير سادتهم.

ليدمِّروا الوجود بوساطة أعمال الشر.

سوف يلقون العذاب بأرواحهم وضمائرهم.

عندما يأتون إلى [جسر جينفات]،

وإلى الأبد سينزلون في مقر " الشر ".

12- من بين مَن يستحقُّون المديح أحفاد وسلالة

" فريانا الطوراني".

رجال وُلدوا من خلال " الحق " الذي يؤدي إلى ازدهار...

الأشياء الحية بحماس " التقوى"

سيضمهم " الرب الحكيم " إلى " العقل الخير"...

ويعضدهم وقت المجازاة.

13- أي امرئ من بين البشر ينال رضا " زرادشت سبتاما"

[بمساندته]، فإنه مستحق أن يسمع:

إليه سيعطى الرب الحكيم الوجود...

وسيؤيد " كعقل خير" مملكاته الحية.

ولأنه مع " الحق" سنعتبره صديقك المخلص لك و " للحق".

14- [الرب الحكيم]:

أيا " زرادشت":

(1) يقصد به [الصراط] الذي سيمر على البشر يوم القيامة لتمييز أهل الجنة من أهل النار، فمَن جاوزه يدخل الجنـة، ومن لم يجاوزه يسقط في الهاوية [النار].

من الرجل الحق الذي يكون صديقك الحميم...

لأجل السر العظيم...

الذي يرغب في سماعه؟

إنه الأمير " فيستاسبا"... في لحظة الاختيار الحاسم....

هذا الذي ستجمعه معك في مقر واحد...

أيها " الرب الحكيم".

لسوف أناديه بكلمات " العقل الخير"

15 لأجلك " سبتاما " سليل " هيكاتسها"...

أعلن أنك ستميز طاهراً من بين المدنَّسين...

بهذه الأفعال التي تتفق مع التعاليم الأولى للرب...

لقد أمنتْ نفسَكَ "بالحق".

16- وأنت يا " فراشاوشترا أفوجفا" وهؤلاء ...

الأنصار الذي نود كلانا لهم ما يشتهون

أمض قدماً إلى حيث " التقوى" متحدة " بالحق"

حيث يسكن " الرب الحكيم" وسط النعيم.

17- هناك سأعلن فقط فضائلك لا خطاياك...

يا " جامسبا أفوجفا"...

إن صلواتك وطاعتك المتفانية..

إلى " الرب الحكيم" الذي سيفرز...

بوساطة الحق، مساعده الحصيف

الطاهر من الدنس...

18- الذي يكون معي في السراء والضراء

سيكون الأفضل من بين ما أملكه.

وأتعهَّد له بالفكر الخيّر، ولكنْ؛ بالمقابل

أتعهَّد بالعداوة لمن يعادي

أنا تابعٌ لإرادتكَ يا آهورا وللقانون [آرتا]

19- الذي يحقِّق لي كمنْ يحقِّق لزرادشت،

ذاك سيكون أقرب الناس إلى أمنياتي.

وسيستحق الحياة القادمة والعطايا،

وسيكون له قوة البقرات الحاملات، وأي شيء يشاء.

وهذا ما ستضعه لي يا مازدا، أنت تستطيع أن تكافئ أكثر من الكل.

الكتب المقدَّسة عند اليزيدية

بعد أن تحدَّثنا عن الكتاب المقدَّس لدى الزرادشتيين " الآفستا " وأنه نزل على زرادشت بواسطة وحي من الله على رأي البعض، أو أن زرادشت قام بتأليفه من أفكاره وتجلياته، ثم جال وصال به في بقاع شتّى من الأرض المعمورة،عسى أن يجد مَن يتبع تعاليمه، وهذا على رأي آخر من أقوال العلماء، وسيكون هذا المبحث عن الكتب المقدَّسة لدى الطائفة اليزيدية التي لم يعرف حقيقة وجودها من عدمها لما يكتنف الغموض في ميلاد ومصير كتبهم، بل تاريخهم ككل، وأهم الكتب لديهم كتابان اثنان؛ وهما { كتاب الجلوة ومصحف رش} ؛ أيْ الأسود، فكتاب { الجلوة} ينسبه اليزيديون إلى الشيخ عدي بن مسافر، أمَّا {مصحف رش} ؛ يعتقد اليزيديون أنه كُتب بعد وفاة الشيخ عدي بنحو مئتي سنة، هذا على رأي البعض، أمَّا الرأي الآخر؛ فيرجِّحون عدم معرفة مصدر هذين الكتابين على وجه التحقيق ولا التاريخ الذي دُوِّنا فيه، أمَّا عن اللغة التي كُتبا بها؛ فهي - أيضاً - ليست بمنأى عن الاختلاف؛ فيقول البعض : إنهما كُتبا باللغة العربية، وخاصة اللهجة العامِّيَّة العراقية.

والوجّهة الثانية: يُنكر ويرفض الرأي السابق، وما الجلوة ومصحف رش إلا وُضعا باللغة الكردية، وهي لغة الأم لدى الطائفة اليزيدية، ثم تُرجما إلى اللغة العربية الركيكة، لكنْ؛ قبل هذا وذاك، يُستحسنأن نعرف معنى كلمة [الجلوة]، ثم من الممكن أن نستنبط من خلال معناها هل أن الجلوة كُتبت باللغة العربية، أم تمّ ترجمتها إليها، ومن ثم؛ فقدت النسخة الأصلية لكل من "الجلوة ومصحف رش" من بين أيدي أصحابها. أم أنهم أي – اليزيديون – يتعمَّدون إخفائها وتوريتها عن عين الغرباء، وأنها - بالفعل - مخبوءة في صندوق أسود عند مشايخ ومراجع اليزيدية، فلا يرونها إلا أتباعهم.

قيل في معنى { الجلوة} لغة: مأخوذة من جلا الأمر؛ أيْ كشفه، ووضَّحه، وجلا الهمَّ عنه: أيْ ذهب. والجلوة في الاصطلاح: تعبير صوفي، يُعبَّر به عن المقام الذي يصل إليها العبد بعد الخلوة، التي هي محادثة السر مع الحق تعالى.

فالجلوة : هي خروج العبد من الخلوة بالصفات التي يرتضيها الله عز وجل، بأن يكون متجرِّداً عن الأنانية، وهي النظر إلى ذاته وعن الرياء، وهو النظر إلى الخلق، بل تكون أفعاله كلها متَّجهة نحو الله تعالى، لذا؛ يُعرِّف الجرجاني الجلوة بقوله: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية؛ إذ عين العبد وأعضاؤه ممحوَّة من الأنانية ،...

فالجلوة والخلوة مصطلحان أُريد بهما التعبير عن جانبي العلاقة بين العبد وربه تبارك وتعالى، فالجانب الأول : هو سر العبد أو باطنه، والثاني: ظاهر العبد وأفعاله، فالجلوة والخلوة تُشكِّلان معاً مجموع الإنسان، وتدلان على ضرورة العناية بالسر والجهر والظاهر والباطن[1].

بعد ذكرنا لمفهوم كلمة { الجلوة} مفصلاً، ورغبة منا في الإيضاح أن الجلوة كلمة عربية بحتة، وهي مصطلح يستخدمه أهل التصوّف، شعار ومرام يسعى إليه أهل التصوّف لنيله، وهي درجة لا ينالها إلا مَن سخَّر عقله وجسمه لله تعالى، وتجرَّد من مظاهر الحياة وزينتها، فهكذا كان شأن (الشيخ عدي بن مسافر)؛ إذ اختلى بنفسه للعبادة في زاويته في لالش، وتجرَّد من سائر مظاهر الدنيا، ويشهد له بهذا الشيء سائر العلماء الذين عاصروه أو كانوا قريبين من زمانه وعصره، كابن تيمية وابن خلكان الكرديَّيْن، فلو أن الجلوة كُتبت بالكردية أظن أن لا أحد من اليزيدية يقول بأن اسمها تمَّ تعريبه، لا سيما أن في حوزة هذه الطائفة كتاب آخر منسوب لأحد مشايخهم يحمل اسم (الجلوة في الخلوة). نعم؛ هناك الكثير من الكتّاب اليزيديين يستبقون القول بأن الجلوة كُتبت بالكردية محاولة منهم في طمس واندثار كلّ مَعْلَمٍ إسلامي وعربي، والهدف منه هو الخروج بالقول إن الشيخ عدي لم يكن مسلماً متصوِّفاً.

وأغلب مَن كتب عن اليزيدية اعتبر أن كتاب " الجلوة " من تأليف الشيخ حسن ابن أبي المفاخر الشيخ عدي شمس الدين أبو محمد الملقَّب بتاج العارفين، مثلما يُلقَّب بشيخ الأكراد " 1184/ 1246"م وهو تلميذ الشيخ عدي بن مسافر[2].

(1) الموسوعة الإسلامية الميسَّرة.

(2) الديانة اليزيدية للدكتور عمار قربي.

وسوف نورد رواية قام بـه باحـث، إن لم يكـن يزيـدياً، فهـو مُحِـبٌ لليزيـديين في لالـش وضواحيها، إنها رواية لو صحَّت تُفنِّد كل قول حول أصول الجلوة وكورديتها، وهـو { ب – ش. دلكوفان} يزعم بعد رحلته هناك أنه شاهد ورأى الجلوة الحقيقية بأمِّ عينيه. إذاً؛ لا بد أنه رآها على لغتها الأصلية التي دُوِّنت بهـا سـوف نـذكر الروايـة كـما وردت في كتابـه "الجلـوة الحقيقية" من غير نقص أو زيادة – والله على ما نقول شهيد – يقول دلكوفان:

في سنة 1999 كنتُ في تجوالٍ مستمرٍّ بين القرى اليزيدية أبحث عن شيخ يفصح لي صدره ويعلّمني بعض أمور عقيدته. وكان هذا شأني منذ الـسبعينات، طرقـتُ خـلال تلـك الفـترة أبواباً عديدة، وولجتُ مـزارات شـتى، وشـاهدت رمـوزاً وأشـكال وطـواويس – سـناجق الطاووس – لقد فتح العديد صدورهم لي مشكورين من شيوخ وبيرة وقوّالين، تمكَّنت خلال تلك الفترة وحتى الآن من جمع معلومات قيمة حول هذا المعتقـد القـديم، ولي الفخـر بـدون غرور أن أقول أخيراً شاهدتُ أمنيتي ومفتاح لغز الكثير من التساؤلات والحمد لله.

والشكر لشيخي الذي لم يسمح لي بذكر اسمه. كـان صـديقي الـشيخ شـيخاً ذات ثقافـة جيدة واعظاً متعظاً، كنتُ أزوره كل شهرين أو ثلاثة مرة واحدة يحبني وأحبه، وكنـتُ أفاتحـه بكلمة " أبي "، فكان حقاً أباً بارّاً بولده، وليّ الفخر، وعـدني شـيخي الجليـل بـأي يـسمح لي بمشاهدة كتاب " الجلوة " الحقيقي، وبشرط عدم نقل أي شيء منه، فوافقتُ بدون تردد. وفي اليوم المحدَّد من قبله ذهبتُ إلى منزله، وجلسنا بتبادل الأحاديث حتـى الـساعة الثانيـة عـشر ليلاً، ثم نهض واتجه نحو صندوق خشبي، وفتحه، وأخرج منه كتاباً، وقـال هـذا هـو كتـاب " الجلوة " المقدَّس، كتاب ذو جلـد أسـود سـميك يـشمل عـلى 400 ورقـة بحجـم 22سـم ×30سم مكتوب على الغلاف كلمة " جلوة " فقط، مع الجلوة الحقيقية يحتوي كتـاب الجلـوة الأصلية على عدة فصول كُتبت باللغة العربية، وبخط النسخ الحديث... أ:

الفصل الأول:يشمل الخليقة والتكوين، وهي قريبة إلى حد ما من الفكر التوراتي.

أمَّا الفصل الثاني؛ ففيه النصائح والمواعظ.

والفصل الثالث: فقه البير هسن ممان مع الشيخ آدي.

والفصل الرابع: يحتوي على فصل الوارث والموروث.

والفصل الخامس: يحتوي على إرشادات للشيوخ والبيرة وكيفية الوعظ والإرشاد.

والفصل السادس: يحتوي على الجعل والرسوم.

والفصل السادس: الطلاسم والتعويذات وعلاج بعض الأمراض والآفات.

والفصل السابع: على الخيرة.

هذا ما أذكره، والعهدة على ذاكرتي، ولم يمهلني شيخي أكثر من نصف ساعة، بعدها دفن كتابه في غياهب الظلام، عسى أن يأتي يوم يظهر كالشمس الساطعة ليقول للعالم ها أنا الجلوة الحقيقية، لم أقرأ ضمن الجلوة كلمة واحدة تنمُّ على الكفر والشِّرك، بل تأكّدتُ من وحدانية اليزيدية، وإيمانهم العميق بالله واليوم الآخر خيره وشره، واحترامهم العميق لشيوخهم الذين يصفهم الجلوة ينابيع العلوم. كنتُ قد رجوتُ شيخي أن يسمح لي بنقل محتويات صفحة واحدة، وذلك بسبب ما فيها من نصائح جليلة جميلة، وليعرف القارئ من خلال تلك الصفحة قيمة كتاب الجلوة، وثم ليعلم بقية الشيوخ الأدائية والذين يملكون نسخة من عين الجلوة بأني - فعلاً - شاهدت الجلوة الحقيقية، فوافق الشيخ مشكوراً. وإليكم ما ورد في الفصل الثاني حرفياً دون تلاعب بالألفاظ والتعابير نصائح ومواعظ – ونحن من جانبنا سنقارن هذه المواعظ الواردة بأحاديث رسول الله ليعلم القارئ أن الأرضية التي اعتمدت عليها الجلوة هي أرضية إسلامية، وخير دليل أن الأحاديث أقدم من الجلوة بأكثر من 500 عام، إن لم يكن أكثر، قال لان دلكوفان: الفصل الثالث من الجلوة يتضمَّن فقه البير هسن ممان مع الشيخ آدي، والشيخ آدي توفي سنة 557 هجريعن عمر يناهز التسعين، وكتاب الجلوة يتحدَّث عن الشيخ آدي، إذاً؛ أيهما أقدم الأحاديث أم الجلوة؟ لذا؛ لا يشكُّ ذو لبٍّ أنها تقمَّصت من الأحاديث النبوية، ومن هذه النصائح التي تتضمَّنتها الجلوة:

أولاً: اصدق في قولك؛ لأن الصدق هي مخافة الله، وأن الله ينجِّيكَ من كل سوء.

ثانياً: لا تظلم أسيراً ولا مسكيناً ولا يتيماً، لأنه إذا دعا عليكَ الربَّ يصيبكَ من ذلك أذى.

ثالثاً: لا تحبَّ امرأة جاركَ، ولا تشته أمواله.

رابعاً: لا تؤخِّر عمل الغريب ولا اليتيم.

خامساً: لا تلبس ألبسة امرأة، ولا المرأة تلبس ألبسة رجل.

سادساً: ابتعد عن مجالسة المستهترين، ولا تسلك في طريقهم.

سابعاً: ارحم دخيلكَ، وساعده قدر استطاعتكَ.

ثامناً: إذا كان الطفل غير فاهم تكلَّم بكلمات كفر، وسمع الوالدين منه هذه الكلمات، ولم يمنعوه عن ذلك، كان الله يحاب بها الوالدين.

تاسعاً: إذا مشيتَ بين القرية ورأيتَ مالاً لا ترفعه أبداً، اتركه إلى أن يرجع إليه صاحبه، ويرفعها.

عاشراً: إذا سألكَ سائل عن مال أو طعام، فأعطه ممَّا أعطاكَ الله، يصيبكَ أجر كبير بشرط أنْ لا تسأله عن دينه واعتقاده.

هكذا تدعو الجلوة إلى الخير والبر، وليس فيها ما يدعو للشر والظلم والطغيان، تدعو إلى صدق القول، وعدم ظلم الأسير والمسكين واليتيم، وأن لا تحبَّ امرأة الجار، ولا تؤخِّر عمل الغريب، وعدم التشبُّه بالنساء، والنساء بالرجال، ومساعدة السائلين، وعابري السبيل، بغضِّ النظر عن معتقده.

ما أجمل هذه القيم والأخلاق، إنها فعلاً كتاب الجلوة المقدَّس للشيخ حسن بن آدي، رحمه الله.

تعليق على ما سلف

أظن بعد حكايتنا لهذه الزيارة المباركة ! التي قام بها الكاتب دلكوفان، وشاهد ورأى مزارات وأماكن عدَّة تخص الطائفة اليزيدية، وأنه فعلاً كما يدَّعي شاهد بأمِّ عينيه الجلوة الحقيقة، وأنها ذات جلد أسود مكتوب عليها اسم " جلوة"، ونقل مقتطفات منها ليكون الجميع على دراية بحقيقة الجلوة، ويكون شاهد صدق على رؤيته للجلوة، وبتلك اللغة التي كُتبت بها " جلوة ".

هذه الزيارة برهنت وأوضحت أشياء كثيرة أولاً كل المزاعم بأن الجلوة كُتبت بالكردية، ثم تُرجمت إلى اللغة العربية، فهذا غير صحيح، بشهادة هذا الرجل المحبّ لهذا المعتقد، وأن العربية هي لغة الأم لكتاب " الجلوة " أظن لم يبق للذين يدعون أن الجلوة تُرجمت إلى العامية العراقية وبأسلوب ركيك ذريعة وحجّة فها هو الرجل شاهد ورأى الجلوة الحقيقية، ولا سيما أنه يتحدَّث عن النسخة الأصلية للجلوة، التي كانت مدوَّنة بالعربية.

لماذا يا دلكوفان لم تسأل شيخكَ البار علامَ يدفنون ويخبِّئون كتابهم المقدَّس في ظلمات الليل حتى الآن؟! وإذا كان كتاباً – كما قلتَ – يضم 400 صفحة كبيرةً بهذا الحجم فإن اليزيدية بأمس الحاجة إلى أن يروا ويشاهدوا كتابهم المقدَّس قبل غيرهم، علاوة أنهم بحاجة إلى قوانين وأحكام مدوَّنة، ولمَ تمرُّ كل هذه السنوات العجاف عليهم وهم يتناقلون معتقداتهم مشافهة، و بحوزتهم هذا الكتاب الضخم الثمين؟! و لماذاوممن يخافون؟ولماذا لايخرجون كتابهم للعالم أجمع، وبالأخص أننا أصبحنا في عصر الحريات الدينية والديمقراطية والعولمة؟!

الجلوة كتاب لا يتعدَّى تاريخ وضعه سنة 557 هجري، يتحدَّث عن الكون والخليقة، وعن أرزاق الناس، وأنه متحكّم بمصائر الناس، وأنه الإله الأعلى، ولا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه، وأنه يعطي ويمنع الأرزاق { أُكافئ وأُجازي هذا آدم بأنواع أعرفها بيدي التسلُّط على كل ما في الأرض وفوقها وتحتها ما أقبل مصادمة العوالم}، في أول وهلة يظن القارئ أن المتحدِّث في هذا الكتاب هو " الله "؛ لأن علمه يشمل حيِّز وناموس السموات وكل ما في الأرض، وحتى يعلم ما هو مدَّخر في الأرض، ثم يتصادم بأنه هو الشيخ عدي، والأرجح أنه هو الشيخ حسن ابن أبي المفاخر، وبأن علمه وسع كل شيء، وليس هو " الله".

ومن المعلوم أن كتاب الجلوة ينسبه البعض إلى الشيخ عدي نفسه، ومنهم مَن ينسبه إلى غيره كالشيخ حسن ابن أبي المفاخر، وهو أحد المشايخ اليزيدية المعروفين، لكن أياً كان صاحب الجلوة فإن صاحبه كان ذكياً في الاقتباس، فسرعان ما يلفت الانتباه دقَّة التشابه بين تلك المواعظ والنصائح التي أوردها الباحث " دلكوفان " وبين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والآيات القرآنية، فمن المستحيل أن تكون آيات القرآن والأحاديث قد تأثَّرت بالجلوة،

لكون الجلوة أُلِّفت ووُضعت بعد الحديث والقرآن بأكثر من 500 عام، ومن المستحيل أن يـرى الولد ميلاد أبيه، ينطبق هذا القول على الـذين يقـول إن الـدين الإسـلامي أخـذ عـن اليزيديـة الكثير، فهذا لا يقوله إلا ساذج التفكير؛ لأنه أمر يستحيل عقلاً ونقلاً وعهداً.

حسب رواية دلكوفان أنه خلال 30 دقيقة تمكَّن من الاطلاع على مضمون "الجلوة" كله، على الرغم أنها كتاب ضخم يحتوي على 400 صفحة، وبالإضافة إلى ضآلة الوقت الممنوح له، إلا أنه أستطاع أن يطلع على الجلوة كلها، وأنه لم يجد فيها كلمة تنم على الكفر والشرك،

كيف استطاع وتمكَّن من إنهاء قراءة 400 صفحة في ظرف 30دقيقة، وأدرك من خلالها أن كلمة الكفر والشرك لم ترد في الجلوة، والله إنني لأغبطه على سرعته كَسَنا البرق وذكائه الحـاد. سنحاول أن نقارن ما أورده الباحث دلكوفان من " جلوة " بالقران والسُّنَّة.

قوله: لا تظلم أسيراً ولا مسكيناً ولا يتيماً، لأنه إذا دعا عليك الربّ يصيبكَ من ذلك أذى.

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

قوله : [لا تحبَّ امرأة جاركَ، ولا تشتهه ماله].

والأحاديث النبوية في هذا السياق لا تُعدُّ ولا تُحصى، لكنْ؛ سنكتفي بحديث واحد، قـال رسول الله: {إن من أكبر الكبائر أن يزني الرجل بحليلة جاره} .

وقوله: في الجلوة: [اصدق في قولكَ؛ لأن الصدق مخافة الله سوف ينجِّيك من كل سوء].

وورد في السُّنَّة النبوية الشريفة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { إن الصدق يهـدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق، حتى يُكتَب عنـد الله صدِّيقاً ...} .

قوله: ما ورد في الجلوة [لا تلبس ألبسة امرأة، ولا المرأة تلبس ألبسة الرجل].

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: {لعـن الله المتـشبِّهين مـن الرجـال بالنساء، والمتشبِّهات من النساء بالرجال} .

---

(1) سورة الإنسان، الآية 8.

في الجلوة جاء الحكم قاصراً على اللبس فقط {قوله لا تلبس ...} أمَّا في السُّنَّة النبوية؛ جاء الحُكم عامَّاً وشاملاً؛ حيث قال: لعن الله المتشبِّهين في أيِّ شيء كانوا، ولم يقتصر على الثياب، هذا لأن المتحدِّث في الجلوة سعى إلى تغيير الكلمات ليعطي وجهاً جديداً لكتابه.

وورد في الجلوة [ابتعد عن مجالسة المستهترين، ولا تسلك في طريقهم].

وورد في السُّنَّة النبوية:قال رسول الله في هذا السياق: { ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه}.

لم أقصد وأسعى من المقارنة سوى إلى توضيح وإجلاء أمر واحد وهو أن " الجلوة " إذا كانت من وضع الشيخ عدي، فإنه متصوّف مسلم، فأفكاره نابعة من القرآن والسُّنَّة. فمن الطبيعي أن نجد في الجلوة ما أخذوه من القرآن والسُّنَّة، وعن مدى تأثُّرهم بالثقافة الإسلامية، ومن المستحيل أن يأتي التشابه عن طريق المصادفة، والأمر الآخر أن المقارنة والتشابه يستحيل بين الجلوة والسُّنَّة؛ من حيث جزالة الألفاظ وقوتها، بينما في الجلوة نجد ركاكة الألفاظ وسطحية المعنى وواضح أنه من وضع أناس عاديين.

ومن العجيب والغريب أنْ رأى دلكوفان الجلوة الحقيقية بأمِّ عينيه، ثم يهب الآخرون ومنهم د/ عمار قربي ويقول ... ولكنْ؛ نعتقد أن الكتابين أي – الجلوة ومصحف رش – قد ضاعا في حملة الإبادات ضد اليزيدية، وإن ما نُشر مؤخَّراً عن الكتاب مصحف رش والجلوة من قبل مستشرقين أجانب لا نعتقد أنهما الكتابان الأصليان، بل إنهما من تأليف شخص يزيدي من قرية بوزان، اعتنق المسيحية.

ربما لأن الدكتور قربي وغيره لا يعلمون بأن دلكوفان شاهد الجلوة الحقيقية، أم أن تلك الجلوة التي شاهدها وأقرَّ بحقيقتها يرفضها د. قربي ومَن تبع هذا المسلك، وأنها ليست هي "الجلوة" الحقيقية، أم أن ضياعها تكون حديثة العهد، بعدما شاهدها دلكوفان، ثم ضاعت!

واضح أن اليزيدية أنفسهم غير متَّفقي الكلمة على الجلوة الحقيقية.

دلكوفان يقول بأن الجلوة يحتوي على 400 صفحة من حجم 22/ 30سم.

أمَّا الدكتور قربي وغيره؛ فيقولون : بأن الجلوة مؤلَّف من خمسة فصول، تمثِّل 490 كلمة، وليست صفحة، ويعتبره اليزيديون كتاباً إلهياً يخاطب فيه الإله المعبود الطائفة اليزيدية، يا للغرابة أحدهم يقول 400 صفحة، والآخر يقول 490 كلمة، أَيُعقل أن يكون في كل صفحة كلمة واحدة (أو كلمة وجزء من الكلمة)؟! ما هذا التضارب؟ وأين هي الحقيقة التائهة؟ أَهي عند دلكوفان أم عند غيره؟!

ومن ناحية أخرى يقول الباحث اليزيدي " درويش حسو " إن اليزيديين كانوا يسألون مشايخهم عن الكتب اليزيدية، فلا يحصلون على إجابة عن هذه الأسئلة، وكان الزعماء اليزيديون من أمراء وشيوخ يتهرَّبون من الردّ المباشر، مكتفين بالعبادة المعتادة والروتينية القائلة: إن كُتُب اليزيدية قد سُرقت، دون أن يحاول أحد منهم أن يسأل متى وأين سرقت تلك الكتب، وبقيت هذه المسألة دون حل، إلى أن يضاف إلى ذلك أن القراءة والكتابة كانتا محرومتين على أفراد الطائفة اليزيدية، وكان السائد في الأوساط اليزيدية أن كتابهم المقدَّس محفوظ في متحف " الكوبر " في برلين، ولكن الباحث درويش حسو لم يعثر عليه في أوروبا كلها، فاستنتج أن هذا الكتاب خرافة، وليس حقيقة، وأن كتاب اليزيدية هو " الآفستا " الزرادشتية[1].

وهذا مجرد استنتاج؛ لأن في آفستا زرادشت لم يحرم لا الخس ولا الملفوف ولا القرع، وكذلك الأرنب والغزل والسمك، بينما في اليزيدية هذه الأشياء من المحرَّمات، وكذلك لحم الديك، وفي الآفستا هناك عشرات المواطن تعلن لعن ورجم الشيطان وطرده من البيوت، بينما في اليزيدية يسعون للنيل من مرضاته، والفوز برضائه، هذا جلُّ اهتمامهم، والعوامُّ من اليزيدية لا يعرفون ما هو الآفستا، بل لم يسمعوا بهذا الاسم ربما في حياتهم.

أمَّا مصحف رش أيْ " الأسود "؛ فيقال بأنه مفقود منذ مئات السنين؛ أيْ منذ عهد كتابته في عهد الشيخ هادي أي – عدي – وكان منه نسخة في خزانة الشيخ هادي، وقد سُرقت، ولا يعلم أحد ماذا حلَّ بها. ووُجدت بعض الصفحات من هذا المصحف في أوروبا، ومحرَّفة[2]. عجيب وغريب متى وجدتم الأصلية حتى تحكم بهذه النسخ بأنها محرَّفة، وأنتم

---

(1) نقلاً من كتاب اليزيدية واليزيديون، د. خلف الجراد.

(2) الازدهيون اليزيديون – إسحاق قومي.

القائلون إنها سُرقت من عهد الشيخ عدي؛ أيْ سُرقت منهم منذ كتابتها، فمن أين عرفتم بأن هذه الصفحات محرَّفة؟!

ومما يدل أن مصحف رش كان موجوداً في عهد الشيخ عدي أننا نستشف هذا من قولهم إنه كان يقتني نسخة منه، ولكنْ؛ سُرقت منه نسخته أيضاً، لكنْ؛ هناك رأي آخر بحيث يستحيل الجمع بينهما قائلاً: إن مصحف رش الذي يُعتقد أنه كُتب بعد وفاة الشيخ عدي بمئتي سنة، فكيف يُدوَّن كتاب بعد وفاة الشيخ بمئتي سنة، ثم يتباهون بالقول إن الشيخ عدي كان بحوزته نسخة من {مصحف رش} ؟! لكنْ؛ إذا كانت سُرقت بالفعل وعلى وجه المؤكَّد فما هذا الذي يكتبه الكتّاب والباحثون اليزيديون ومنهم دكتور {خلف الجراد} الذي أورده في كتابه[1] قائلاً بأنه النصَّ الحرفي لمصحف رش، ثم ذكر صفحتين من المصحف من أولها إلى آخرها – وتمَّ مصحف رش –؟!

إذاً؛ من أين جاء به هؤلاء الأفاضل، إذا كان بالفعل سُرق منذ عهد كتابته؟!

ثم يستفسر أحد كتّاب اليزيديين قائلاً: فهل بإمكان هؤلاء السادة أعلاه – يشير إلى أحد رجال الدين اليزيديفي مستهلّ مقاله – وحتى القوَّالون الذين يرافقون السناجق في جولاتها السنوية أو الموسمية بين اليزيديين أن يبرهنوا للجميع بأنه فعلاً لدينا نص ديني رسمي وموحَّد، ويجب على الجميع الالتزام به وعدم تجاوزه، وذلك اعتماداً على كلام وكتاب نبينا أو مؤسِّسنا أو راعي طريقتنا (الأول) فلان ...؟

إن الجواب كان وسيكون من قِبل هؤلاء السادة وللسنوات القادمة بـ " لا "، ليس لدينا مصدر مكتوب وموثوق ومختوم أو متوافق عليه من قِبل جميع اليزيديين الذين يتوزَّعون على أكثر من " 83 " قبيلة أو عائلة، وفي مقدمتهم العائلتين المتنافستين على رئاسة اليزيدية وهما العائلة الشمسانية ...والعائلة العدوية[2] .

---

(1) اليزيدية واليزيديون.
(2) الكاتب اليزيدي بير خدر آري في مقال له عبر الإنترنت " نحن زردشتيين ولسنا يزيديين.

يفتقر كتابا الجلوة ومصحف رش إلى العناصر الفنية، وتبدو المقارنة مع النصوص الدينية في الديانات الأخرى ساذجة ومليئة بالركاكة والأغلاط.

ويتألف فضاء النص اليزيدي من أدعية فجّة، تمتلئ بالخرافات، وتفتقر إلى التماسك والرصانة، فهي مجموعة مقطوفات شفوية رُتقت معاً من منابت عديدة إسلامية، وغير إسلامية، من غير ناظم، ويبدو أنها كانت تقوم بوظيفة " سحرية "تقوم في بثِّ الرهبة والخوف في نفوس اليزيديين الأميين، الذين كانوا يجهلون ما تنطق به تلك الأدعية، والدعاء عادة تقليد شفاهي، يطلقه الناس في المجتمعات البدائية عن خوف وعجز، ويبلغ الخوف والعجز والخرافة حداً يتم فيه نسب وظائف طبية وتخصُّصات علاجية لشيوخ وآلهة اليزيديين، نلاحظها كما يلي :

بير الآفاتإله الفيضان والطوفان

محمد رشان إله المطر

أبو بكرإله أمراض الفم

الشيخ حسن إله الروماتيزم

ناصر الدين إله الأمراض الجلدية

غفور الطرقالإله المسؤول عن سلامة المسافرين وتأمين راحتهم خلال السفر

خاتون فخرانآلهة الولادة عند النساء[1]

سنأخذ مقتطفات من كتاب الجلوة الذي يعتقد اليزيديون أنه من وضع الشيخ عدي بن مسافر؛ ليكون القارئ على بيِّنة من أمر " الجلوة ".

يتكوَّن كتاب " الجلوة " من خمسة فصول، وكل فصل لا يتجاوز صفحة واحدة:

---

(1) انظر نزار آغري، المرجع السابق.

المقدمة:

الموجود قبل كل الخلائق هو ملك طاووس.

وهو الذي أرسل عبطاووس إلى هذا العالم؛ لكي يمييز ويفهم لشعبه الخاص، وينجيه من الضلال والوهم.

وأول ذلك كان بتسليم الكلام شفاهياً، ثم بواسطة هذا الكتاب المسمى " جلوة".

وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأهاالخارجون عن المِلَّة.

{الفصل الثاني}

أكافي وأجازي هذا أدام بأنواع أعرفها.

بيدي التسلُّط على كل ما في الأرض وفوقها وتحتها.

ما أقبل مصادمة العوالم

ولم أمنع خيرهم مخصوصاً للذين خاصتي ولطوعي.

أسلم شغلي بيد الذين حربتهم وهم حسب مرامي.

أترآى بنوع من الأنواع وشكل من الأشكال للذين هم آمنين وتحت شوري.

آخذ وأعطي، أُغني وأُفقر، أُسعد وأُشقي حسب الظروف والأوقات.

وليس مَن يحق له بأن يتداخل أو يمنع بشيء من تصرفي.

أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يضادونني.

ما يموت الذي هو حسبي كسائر بني آدم.

ما أسمح لأحد بأن يسكن بهذا العالم الأدنى أكثر من الزمن الذي هو محدد.

وإذا شئتُ أرسلته تكراراً ثانياً إلى هذا العالم أو غيره بتناسخ الأرواح.

تم الفصل الثاني من كتاب الجلوة.

قبل أن نتحدَّث عن هذه النصوص، ونخوض في غمارها، هناك أمر ما جدير بالملاحظة، وهو أن اليزيديين أنفسهم لا يعرفون مصدر هذين الكتابين، ومَن الذي وضعهما، وهذا حال

السواد الأعظم منهم، فأحياناً ينسبون الجلوة إلى الشيخ عدي، ومصحف رش إلى الشيخ حسن، وأحياناً إلى غيرهما .

وحتى نتناول البحث بموضوعية لسوف نعتمد على المصادر اليزيدية أنفسها.

هناك كتابان يقرُّهما عامة اليزيدية ويعتبرونهما كتابين مقدسين هما الجلوة ومصحف رش، ومؤلفهما مجهول، وهناك جدل حول إمكانية اعتبارهما كتابين مقدسين أو نصوص يتداولها الناس شفاهاً، الشيء الوحيد المعروف عن هذين الكتابين هو أنهما وُجدا بالشكل المكتوب، ويمكن قراءتهما وإلقاؤهما مثل النصوص الأخرى؛ في الجلوة طاووس ملك هو المتكلِّم، بينما في " مصحف رش" رجلٌ ما هو المتكلّم، تتألّف"الجلوة " من خمسة أجزاء، وفيها يحث طاووس أتباعه ويأمرهمبالابتعاد عن ارتكاب الخطايا، وهو يرسل مساعديه إليهم، أمَّا الكتاب الآخر " مصحف رش "؛ فيحتوي على كيفية نشأة الكون وأصل الإنسان والتاريخ القديم لمعتقدهم ومجموعة من المحرَّمات[1].

وقال البعض الآخر من الباحثين في شأن هذين الكتابين، إن الديانة اليزيدية تستند إلى مصحفين هما مصحف رش ومصحف الجلوة، إضافة إلى كتاب روز" ROJ " المقدَّس الذي يقال إنه كُتب من قبل الشيخ حسن نفسه، وبالاعتماد على ما وصله من الأسلاف، وعلى أفكار الشيخ عادي بن مسافر وأفكاره بالذات[2].

بين يدي الآن أربعة نسخ من " الجلوة "؛ أولها التي ذكرها الباحث دلكوفان، وذكر مقتطفات منها، وأجزم بأنه شاهد الجلوة الحقيقية، والنسخة الثانية التي أوردها الدكتور خلف الجراد في كتابه[3] بدءاً من مقدمتها حتى نهايتها وكذلك مصحف رش، والنسخة الثالثة الكتاب الإلكتروني على موقع عفرين نت، فهذه النسخة مشابهة للنسخة التي ذكرها الدكتور خلف الجراد، والنسخة الرابعة والمخالفة تماماً الثلاث السابقة هي تلك التي أوردها الدكتورعمار قربي في بحث له تحت عنوان " الديانة اليزيدية ":

---

(1) الدين والمجتمع اليزيدي، ترجمها من الإنكليزية :سكفان مراد.

(2) د\ كاظم حبيب، " اليزيدية ديانة قديمة تقاوم نوائب الدهر.

(3) اليزيدية واليزيديون.

ابتداء من الفصل الأول حتى الخاتمة، لا تتشابه مع النسخ السابقة، لا في النصوص، ولا في الأحكام، أمَّا الجلوة الحقيقية التي ذكرها دلكوفان حسب زعمه، ونقل مقتطفات منها؛ فهي لا تتشابه مع النسخ الأخرى في شيء. ولا ندري فهل الجلوة التي ذكرها دلكوفان هي الحقيقية والمعتمدة، أم تلك التي أوردها د. قربي هي المعتمدة، أم الذي ذكرها د. خلف الجرادأم لا هذا ولا ذاك؟!

يبدو من مقدمة " الجلوة " أنه يحرِّم على الغير أن يتناول الجلوة ويقرأها، بدليل ما ورد في مقدمتها " ... وهو كتاب أي – جلوة – الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الملة " لكن ما يدعو للدهشة والغرابة أن اليزيديين هم أنفسهم لم يشاهدوا كتابهم المقدس، ما عدا مشايخهم وأمراءهم، فكيف للغير القدرة على رؤيته؟!

لذا نستطيع القول بأن هذه النسخ التي بين أيدينا هي محض افتراء وكذب عندما ينسبوها إلى اليزيدية، أو أن هذه النسخ بالفعل هي محرَّفة، أو أن النسخة الأصلية ما زالت مخفية في غياهب الظلام، وليس بمقدور أحد مشاهدتها إلا البِيَرة والأمراء اليزيدية.

مقطع آخر من مقاطع "جلوة" التي أوردها د./ قربي/ في الفصل الثاني يجدر بنا ذكرها في هذا السياق إن صحت هذه الرواية " أي إن كانت جلوة حقيقية " لسوف يبرهن أن عمر اليزيدية لا يتعدَّى ألف سنة، وهاكم نصها:

"وأرسلنا محمداً من مكة، وجعلناه سيدنا ورسولاً، وعلَّمناه ما لم يعلم، وفجَّرنا له ماء الكوثر وزمزم".

من هذا النص نستنبط أن الذين يُرجعون زمن وضع كتاب " الجلوة " إلى عهد قبل الإسلام هو مجرد زعم يفترونه على تاريخ هذا الكتاب، لأن هذا النص يقطع الشك باليقين، فحينما وُضع وأُلِّف هذا الكتاب فإن محمداً كان قد بُعث في مكة، لأن " الجلوة " تقرُّ ببعثته نبياً ورسولاً من عند الله، فكيف عرفت الجلوة بعثة الرسول "صلى الله عليه وسلم" إلا إذا كان ميلاد وبعثة رسول الله يسبق كتاب الجلوة.

الأمر الثاني أنه على كل يزيدي حسب ما ورد في كتابهم أن يقر ويعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا ندعي هذا الأمر من عند أنفسنا، ولكن كتابهم المقدس يدعوهم إلى الإيمان به، وإلا أنهم يضربون تعاليم كتابهم عرض الحائط .

والغرابة فيما يكتبه الباحثون والمدافعون عن اليزيدية في محاولتهم لتزيين وتجميل صورتها، ولكن يخالف ويناقض الواقع الذي يعاشره ويمارسه اليزيديون ولا سيما عند أدائهم لطقوسهم، فعلى سبيل المثال ورد في كتاب " مصحف رش " ...وما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا، وكل اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط وشر ولا لفظة ملعون، لعنة، نعل وما أشبه ...

جاء هذا حرفياً في كتابهم المقدس، حيث يحرِّم لعن الشيطان – سيكون محل موضوعنا عند حديثنا عن التشريعات اليزيدية – ولا يجيزون تلفُّظه، لأنه اسم إلههم، فعليهم تقديسه وإجلاله، ويحرِّم ذكر كل كلمة تشابه أو تكون قريبة اللفظ من الشيطان أو الملعون، لأنه يسيء إلى إلههم .

فهذان الكتابان يفتقران إلى جزالة الألفاظ وقوتها، وهما بعيدان كل البعد عن المساواة والإيجاز في الكلمات، مما يؤدي إلى ركاكة الألفاظ، مع كثرة الإطناب الذي لا يفيد معناً.

ولا أحسب أن ديناً قديماً كما تحدث بعض الكتّاب عن اليزيدية يعود إلى ما قبل الميلاد، لا يملك سوى هذين الكتابين اللذيَن هما أقل بلاغة وفصاحة ورصانة من أي كتاب عادي، وإذا كان ديناً عريقاً بالفعل كما يتحدثون، فأين الأصالة والذاتية والمرجعية؟! إنهم بحاجة ماسة إلى هذه الأشياء، فهم لا يملكون سوى هذين الكتابين، بالإضافة إلى أنهما مجهولا النسب والتاريخ، فالجلوة لا يتجاوز 53 سطراً، أمَّا مصحف رش؛ لا يتعدى61 سطراً، هذا بالإضافة إلى أنهما مليئان بالخرافات وتعدُّد الآلهة، وربما أنهم يلوذون إلى إخفاء هذين الكتابين عن الأنظار والعيون تهرباً من ركاكتها وهشاشتها وعدم اشتمالها واستيعابها على أفكار سليمة علمية عقائدية، ففي مقدمة " الجلوة " نقرأ {... ثم بواسطة هذا الكتاب المسمى جلوة وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الملة}، فحصروا مطالعة وقراءة هذا الكتاب على أتباع اليزيدية فحسب، وربما لهم الحق في ذلك لأنهم يدركون كنه وحقيقة ما فيه، فهم معذورون.

النص الحرفي لكتاب الجلوة

منقولاً عن النص الأصلي (المترجم عن الكردية[1])

كتاب الجلوة

المقدمة:

1- الموجود قبل كل الخلائق هو ملك طاووس.

2- وهو الذي أرسل عبطاووس إلى هذا العالم لكي يميز ويفهم لشعبه الخاص، وينجيه من الضلال والوهم.

3- وأول ذلك كان بتسليم الكلام شفاهياً، ثم بواسطة هذا الكتاب المسمّى(جلوة)، وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الملة.

الفصل الأول:

1- أنا كنت، وموجود الآن، وأبقى إلى النهاية، بتسلطي على الخلائق، وتدبيري مصالح وأمور لكل الذين تحت حوزتي.

2- حاضر أنا سريعاً للذين يثقون بي، ويدعوني عند الحاجة.

3- ما يخلو عني مكان من الأمكنة. مشترك أنا بجميع وقايع التي يسمونها الخارجين شرور، لأنها ليست مصنوعة حسب مرامهم.

4- كل زمن له مدبر، وذلك بشوري. كل جيل يتغير رئيس العالم حتى الرؤساء، يكون كل واحد بدوره، ونوبته يكمّل وظيفته.

5- أعطي رخصة الحق للطبيعة المخلوقة بأخلاقها.

6- يندم ويحزن الذي يقاومني.

---

(1) كما جاء في كتاب اليزيدية واليزيديون لـ د./ خلف الجراد/ ونقلناها كما وردت من غير تبديل أو تغيير. وكذلك فعل الدكتور/ خلف الجراد نقلها حرفياً غير تغيير وتبديل فيها كما وردت في الأصل، بغض النظر عن الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية وركاكة الأسلوب، وذلك حفاظاً على الدقة والأمانة العلمية.

7- الآلهة الأخرى ليس لهم مداخلة بشغلي ومنعي عن مها قصدته مهما كان.

8- ليس الكتب الموجودة بيد الخارجين هي حقيقية، ولا كتبها المرسلين لنا، لكن زاغوا وبغو ا وبدّلوا. كل واحد يبطل الآخر، وينسخه.

9- الحق والباطل معلوم، وهما مشهوران من وقوعها بالاختبار والتجربة.

10- وعيدي للذين يتكلمون على ميثاقي وأخالفه حسب رأي المدبرين الحذّاق، الذين وكلتهم لأوقات معلومة مني أذكر أموراً وأحرم الأشغال اللازمة بحينها.

11- أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي ويجدون لذة وفرح بموافقتهم معي.

الفصل الثاني:

أكافئ وأجازي هذا آدم بأنواع أعرفها.

بيدي التسلط على كل ما في الأرض وفوقها وتحتها.

ما أقبل مصادمة العوالم.

وما أمنع خيرهم مخصوصاً للذين هم خاصتي ولطوعي.

أسلم شغلي بيد الذين جربتهم، وهم حسب مرامي.

أتراءى بنوع من الأنواع وشكل من الأشكال للذين هم أمينين وتحت شوري.

آخذ وأعطي، أغني وأفقر، أسعد وأشقي، حسب الظروف والأوقات.

وليس مَن يحق لهبأن يتداخل أو يمنع بشيء من تصرفي.

أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يضادوني.

ما يموت الذي هو حسبي كسائر بني آدم.

وما أسمح لأحد بأن يسكن بهذا العالم الأدنى أكثر من الزمن الذي هو محدود مني.

وإذا شئت أرسلته تكراراً ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو غيره بتناسخ الأرواح.

الفصل الثالث:

أرشد بلا كتاب. أهدي غيباً أحبّائي وخواصي، تعليمي هو بلا كلوفة.

موافقة الحال والزمان أقاصيص الذين يخالفون شرائعي بالعوالم الآخر.

بنو هذا آدم لا يعرفون أحوال المزمعة. ولذلك يسقطون أوقات كثيرة بغلط.
حيوانات البر وطيور السماء وسمك البحر جميعاً بيدي، وتحت ضبطي.
الخزائن والدفائن المدفونة تحت قلب الأرض معلومة. وأخلفها من واحد للآخر.
أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبون مني بحينها.
مضادة ومخالفة الأجنبيين لي ولأتباعي هي ضرر عليهم؛ لأنهم لا يدرون العظمة والثروة هم بيدي. وأختار مَن يليق لها من نسل آدم.
تدابير العوالم وانقلاب الأجيال وتغيير كل مدبّريهم منظومة مني منذ القديم.

الفصل الرابع:

حقوقي ما أعطيها لغيري من الآلهة.
أربعة عناصر وأربعة أزمنة وأربعة أركان سمحتُ بها لأجل ضروريات المخلوقين.
كتاب الأجنبيين مقبولة نوعاً بالذي يطابق ويوافق سنني، وما يخالفها هم غيّروه.
ثلاثة أشياء هي ضدّي وثلاثة أسماء أبغضها.
الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي.
جميع الذين يحتملون المصائب بسببي لابدّ أن أكافئهم بأحد العوالم.
أريد أن يتّحدوا أبنائي برباط واحد، وكذلك كل تابعي لأجل مضاددة الأجنبيين لهم.
يا أيها الذين تبعتم وصاياي أنكروا أقوال وكل تعاليم التي ليست من عندي، ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبون لأنكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب.

الفصل الخامس:

كرّموا شخصي وصورتي لأنهم يذكّروكم بي، الأمر الذي أهملتموه من سنين.
وشرائعي أطيعوا وأصغوا لخدّامي بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي.
تم كتاب الجلوة

النص الحرفي لمصحف رش أو المصحف الأسود [1]

منقولاً عن النص الأصلي (المترجم عن الكردية)

في البداءة خلق الله الدرة البيضاء، من سرّه العزيز، وخلق طائراً اسمه " انغر"،وجعل الدرة فوق ظهره، وسكن عليها أربعين ألف سنة.

أول يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد، وخلق ملكاً اسمه عزازيل، وهو طاووس ملك، رئيس الجميع.

ويوم الإثنين خلق ملك دردائيل وهو الشيخ حسن.

ويوم الثلاثاء خلق ملك إسرافيل وهو الشيخ شمس.

ويوم الأربعاء خلق ملك ميكائيل وهو الشيخ أبو بكر.

ويوم الخميس خلق ملك جبرائيل وهو سجاد الدين.

ويوم الجمعة خلق ملك شمنائيل وهو ناصر الدين.

ويوم السبت خلق ملك نورائيل وهو فخر الدين.

وجعل الله مَلَك طاووس رئيسا عليهم.

بعده خلق صورة السبع سموات والأرض والشمس والقمر.

فخر الدين خلقَ الإنسانَ والحيوانَ والطيرَ والوحوش، ووضعهم في جيوب الخرقة، وطلع من الدرّة ومعه ملائكة، فصاح صيحة عظيمة في الدرّة، فانفصلت وصارت أربع قطع، ومن بطنها خرج الماء، وصار بحراً، وكانت الدرّة مدوَّرة بلا تخلُّل.

وخلق الله جبرائيل بصورة طائر، وأرسله وبيده أربع زوايا الأرض، ثم خلق مركباً ونزل بالمركب ألف سنة، بعده جاء وسكن في لالش، ثم صاح في الدنيا، فجمدت،

---

(1) كما جاء في كتاب (اليزيدية واليزيديون) المرجع السابق/ ونقلناها كما وردتمن غير تبديل أو تغيير. وكذلك فعل الدكتور/ خلف الجراد نقلها حرفياً من غير تغيير وتبديل فيها كما وردت في الأصل، بغض النظر عن الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية وركاكة الأسلوب، وذلك حفاظاً على الدقة والأمانة العلمية.

وصارت الدنيا أرضاً، وجعل فيها شمساً وقمراً، وخلق نجوماً من نثريات الدرة البيضاء، وعلّق في السماء زينة.

وخلق أشجاراً مثمرة، ونباتات في الأرض والجبال لأجل زينة الأرض، ثم خلق العرش على الفرش.

الرب العظيم قال: يا ملائكة؛ أنا أخلق آدم وحواء، وأجعلهم بشراً، ومنهم يكون ملة عزازيل وأعني الطاووس مَلَك، وهي ملة اليزيدية.

ثم أرسل الشيخ عَدَي بن مسافر من أرض الشام، وأتى لالش.

ثم نزل الرب إلى الجبل الأسود، وخلق ثلاثين ألف ملك، وفرَّقهم ثلاث فرق، وبدأوا يعبدونه أربعين ألف سنة، ثم أرسلهم إلى طاووس مَلَك، وصعد بهم إلى السموات.

ثم نزل الرب في أرض القدس، وأمر جبرايل بجلب التراب من أربع زوايا الدنيا، فجاء بتراب وهواء ونار وماء، فخلق من كل هذا آدم الأول، وجعل فيه روحاً من قدرته، وأمر جبريل أن يدخل آدم إلى الفردوس ويأكل من ثمر الشجر، أمَّا الحنطة؛ فلا يأكل.

وبعد مائة سنة، قال طاووس ملك لله: كيف يكون يكثر بني آدم وأين نسله؟ قال له الله: الأمر والتدبير سلَّمته بيدك، فجاء وقال لآدم: أأكلت حنطة؟

قال: لا، لأن الله نهاني. قال: كُل يصير لك أحسن. بعدما أكل حالاً نفخ بطنه، فأخرجه طاووس مَلَك من الجنة، وتركه، وصعد إلى السماء.

فتضايق آدم من بطنه، لأنه ما كان له مخرج. فأرسل الله طائراً، فجاء، ونقره، وفتح له مخرجاً، فاستراح.

وجبرائيل غاب عن آدم مائة سنة. فحزن وبكى مائة سنة.

حينئذ أمر الله جبرائيل أن يخلق حواء من تحت إبط آدم الأيسر.

ثم نزل مَلَك طاووس إلى الأرض لأجل طائفتنا المخلوقة، وأقام لنا ملوك، ما عدا ملوك الآثوريين القدماء: نسروخ وهو ناصر الدين. وكاموش وهو الملك فخر الدين. وأرطيموس وهو ملك شمس الدين. وبعد ذلك صار لنا ملكان:

شابور الأول وشابور الثاني، ودام ملكهما مائة وخمسون سنة، ومن نسلهما قام أمراؤنا إلى الآن.

وبغضنا لأربع ملوك.

حرّمنا علينا الخس؛ لأنه على اسم نبيتنا الخاسية، واللوبياء والصبغ الأزرق، وما نأكل السمك لأجل احترامنا ليونان النبي، والغزال لأنه غنم أحد أنبياؤنا، والشيخ وتلامذته ما يأكلون لحم الديك احتراماً لطاووس مَلَك. وطاووس مَلَك هو واحد من الآلهة السبعة المذكورة لأنّ صورته تمثال الديك، والشيخ وتلاميذه ما يأكلون القرع. وحرام علينا البول وقوفاً، ولبس اللباس قعوداً. والاستخلاء في أدبخانة، والغسل في الحمّام، وما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا. ولا كلّ اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط وشر. ولا لفظة ملعون. لعنة. نعل .وما أشبه.

قبل مجيء المسيح عيسى إلى هذا العالم ديانتنا كانت تُسمَّى وثنية.

واليهود والنصارى والإسلام ضادوا ديانتنا والعجم أيضاً.

كان من ملوكنا آحاب. فأمر كل من كان منّا أن يسمّيه باسم خاص به، فسمّوه الإله آحاب أو بعلزبوب، والآن يسمونه عندنا بيربوب.

وكان لنا ملك في بابل اسمه بختنصر. وفي العجم احشوبرش، وفي قسطنطينية أغريقالوس.

إنه قبل كون السماء والأرض كان الله موجوداً على البحار.

وكان قد صنع له مركباً، وكان يسير به في بينونات البحار متنزهاً في ذاته.

إنه خلق منه درّة، وحكم عليها أربعين سنة. ومن بعد ذلك غضب على الدرة، ورفسها.

فيا للعجيب العجيب إذ صارت من ضجيجها الجبال، ومن عجيجها التلال، ومن دخانها السماوات. ثم صعد الله في السماوات، وجمدّها ،وثبتها بغير عواميد، ثم قفل

الأرض، ثم أخذ قلماً بيده، وبدأ في كتابة الخلقة كلها، ثم خلق ستة آلهة من ذاته، ومن نوره. وخلقتهم صارت كما إذا أوقد إنسان سراجاً من سراج آخر.

فقال الإله الأول للثاني: أنا خلقت السماء فقط، اصعد أنت إلى السماء، واخلق شيئاً.

فصعد، وصار شمساً. وقال للآخر فصعد وصار قمراً. والرابع خلق الفلك. والخامس صار نجم الصبح والسادس خلق الفراغ يعني الجو.

تمَّ مصحف رش

الموازنة بين الآفستا

وكتابي" جلوة ومصحف رش"

من الظلم والضيم أن نشبِّه "الآفستا" بـ "جلوة ومصحف رش" فيما يشتمل عليه الأول من الوحدانية والعقيدة السليمة في صدرها الأول، بينما الآخران مليئان بالأساطير والخرافات في صدرها الأول وحتى في عجزها، وبالتالي لا وجه للمقارنة بين هذه الكتب.

الآفستا تعود إلى ما قبل الميلاد بأمد وقرونٍ بعيدين، بينما الثاني لم يمض على وضعه ألف عام، ولكنه أمر لا بد منه حتى يكون المطالع على بيِّنة من أمر هذه الكتب، ولتنجلي المفارقات بينهم، ولنذكر وجه الشبه إن كان موجوداً سواء على الصعيد العقائدي، أم على الصعيد التعبُّدي.

من المعلوم أن كتاب " الآفستا "أو الأبستاق، معناه كتاب العلم والحكمة، وقيل في معناه الأساس والبناء القوي.

أمَّا صاحب هذا الكتاب؛ هو زرادشت، مع وجود خلاف ضئيل بين المؤرِّخين بأن الآفستا من وضع تلامذة زرادشت، ولكن الفكرة والإلهام كانتا لزرادشت، مع التأكيد والجزم في نسبة القسم الأول من الآفستا إلى زرادشت نفسه، هو القسم الذي يشتمل على أدعية ومعارف دينية، وهذا القسم يحمل الاسم " الياسنا"؛ أي العبادة والمهرجان.

وشرح زرادشت كتابه وسمَّاه " زند "، ومعناه التفسير، ثم شرح الزند بكتاب، وسمَّاه " بازند "؛ يعني تفسير التفسير، أمَّا عن اللغة؛ فإنها كُتبت باللغة الفهلوية؛ أي الفارسية القديمة أو السنسكريتية.

أمَّا عن كتاب جلوة ومصحف رش؛ فالجلوة معناها في اللغة مأخوذة من جلا، يقال جلا الأمر جلاءً أي كشفه ووضَّحه.

وفي الاصطلاح: تعبير صوفي يعبَّر به عن المقام الذي يصل إليه العبد بعد الخلوة التي هي محادثة السر مع الحق تعالى، ونأخذ من التعريف أن الجلوة مرحلة معينة من العبادة والنسك

يصل إليها العبد بعد خلوته مع نفسه للعبادة والأذكار، وهذا يصح لا سيما أن الشيخ عدي اختلى بنفسه في تلك الزاوية في لالش للعبادة والطاعة، وحسب ترجيح ظني أن اسم الجلوة لم يطلَق على هذا الكتاب إلا من اختلاء الشيخ عدي بنفسه في زاويته.

واضع ومؤلف كتاب جلوة هو على رأي الأكثرية الشيخ عدي بن مسافر .

أما "مصحفرش " أي الأسود؛ فيعتقد أنه كُتب بعد وفاة الشيخ عدي بن مسافر بنحو مائتي سنة، والبعض الآخر يقول : لا يُعرف على وجه التحقيق مصدر هذين الكتابين، وكذلك التاريخواللغة الذي وضعا فيه ،قيل إنهما وضعا باللغة العربيةعلى وضعية تتميز بالركاكة، وبالأخص العامية العراقية .

ويقول فريق آخر: إنهما في الأصل وُضعا باللغة الكردية، ثم تُرجمتا إلى العربية الركيكة .

أما عن تسمية المصحف الأسود بهذا الاسم؛ فلم أجد كلمة ورأياً للباحثين والمؤرخين في هذا المجال، لكنْ؛ ربما نستنبط سبب تسميتها، وندركها بالسعي والاجتهاد، قد تكون التسمية مأخوذةمن لون جلد غلافه الذي يتميز بالسواد.

وإذا استبعدنا هذا الرأي، فربما لأن اليزيديين سعوا إلى إخفاء هذا الكتاب ومواراته عن الأنظار، ولأن هذا الكتاب لم ير النور، أي كان دائماً في غياهب الظلام، قد يكون هذا الأمر هو سبب تسمية هذا الكتاب بـ" مصحف رش " .

الآفستا كان يتناول علوماً مختلفة قبل تعرضها للإبادة المعروفة من قبل الإسكندر، كالرياضيات وأحكام النجوم والطب والفلك والفلسفة ومن أخبار القرون الماضية وكتب الأنبياء، وقام الملك "كشتاسب " - بعد أن آمن بزرادشت - بتدوين الآفستا في جلد "12000" بقرة حفراً بالذهب، ومنع من تعليمه العامة.

وبينما نطالع الكتب اليزيدية ونقارنها مع الآفستا في حجمها ومواضيعها نجدها لاتتناول شيئاً من علوم العصر كالطب والنجوم والرياضيات وأخبار القرون الماضية، كما هي في الآفستا .

أما من حيث الحجم؛ فالجلوة لا تزيد على ثلاث صفحات، ولا يتجاوز عدد سطورها أكثر من 53 سطراً.

أما مصحف رش؛ فكذلك عدد صفحاته لا يتجاوز ثلاثة، ولا يزيد سطوره على 61 سطراً، علاوة أن كتاب الآفستا لا يمنع ولا يحرم على أحد أياً كان شأنه إذا هَمَّ بالقراءة، فلا حرج ولا غضاضة في الأمر .

أما مصحف رش وجلوة؛ فإن قراءتهما محصورتان على الملة اليزيدية فقط، بينما يحرم ويمنع سائر البشر من الاطلاع عليهما .ولاضنك من هذا وذاك لأنهما كما تدعي اليزيدية مخبوءتان، لم يرهما ولن يراهما أحد سوى المشايخ والأمراء اليزيدية .

من حيث المضمون: مضمون كتاب الآفستا يتناول فكرة الإله الأوحد، وهو "أهورامزدا " ومحاربة الشيطان وأن "أهرمان "المتمثل لقوة الشر إنه شيطان، يجب على الإنسان التغلب عليه بعمله الصالح؛ حيث يقول زرادشت في إحدى أسفار الآفستا { حينما ينمو الشعير تنزعج الشياطين، وحينما يحصد القمح يغشى على الشياطين، فالبيت الذي يدخله القمح تخرج منه الشياطين مذمومة مدحورة} وهذا دليل صريح وإعلان مجاهر لمحاربة الشيطان بشتى الوسائل.

وفي الآفستا لم تذكر "أهريمان "أي قوة الشر مقابل "أهورامزدا" إطلاقاً، وحتى في سبيل ذكر أهريمان، فالمراد من ذكره هو الاحتراس منه، وعدم الوقوع في حبائله، ومكائده، وإعلان الخصومة له إلى يوم الدين.

بينما كل ما ورد في كتابي "الجلوة ومصحف رش" مخالف لمضمون الآفستا تماماً،ففيهما إعلان للولاء المطلق لـ "طاووس ملك "أي الشيطان وعدم الإساءة إليه لا بالتصريح ولا بالتلميح، فهو مقدس لدى اليزيدية .

أما بخصوص وحدة الإله ونبذ الآلهة المتعددة في الآفستا في عهدها الأول، فالجلوة ومصحف رش بعيدان عنها كبعد المشرق عن المغرب، عند اليزيدية العديد من الآلهة، فعلى سبيل المثال:

إله الفيضان والطوفان هو "بير الآفات "

وإله المطر هو " محمد رشان "

وإله أمراض الفم هو "أبو بكر" .....

وحتى لا يشك أحد بهذه المقارنة وينفي عنها صفة الموضوعية، ثم يدعي بأن اليزيدية دين يدعو إلى التوحيد وكل أمر يخالف الوحدانية إنما هو للتشويه صورة اليزيدية، نجد ما ينافي التوحيد ويبعد اليزيدية عن روح الوحدانية بالإضافة إلى تعدد الآلهة التي ذكرناها قد ورد في كتابهم المقدس، وذلك يؤيد التعديدية في " مصحف رش " هذا نصه : {.... ولا يأكلون لحم الديك احتراماً لـ"طاووس ملك " وهو واحد من الآلهة السبعة المذكورة، لأن صورته تمثال الديك} وقد ورد هذا حرفياً في مصحف رش؛ حيث يؤمنون بالآلهة السبعة، وأن ملك طاووس هو واحد منهم، ويقول مصحف رش في خصوص تعدد الآلهة :

{ ثم خلق الله ستة آلهة من ذاته ونوره، وخلقتهم صارت كما إذا أوقد إنسان سراجاً من سراج آخر، فقال الإله الأول للثاني: أنا خلقت السماء فقط، اصعد أنت إلى السماء، واخلق شيئاً. فصعد، فصار شمساً، وقال للآخر، فصعد، فصار قمراً، والرابع خلق الفلك، والخامس نجم الصبح، والسادس خلق الفراغ، يعني الجو} .

إذاً؛ فكل إله من الآلهة الموجودة عند اليزيدية له اختصاص وعمل معين محدد، كل يعمل في مجال دائرته، من غير تطاول إله على الآخر.

والأَمَرُّ من هذا وذاك تدعي اليزيدية في مصحف رش أن الله كان يسكن في منطقة لالش، ثم صاح في الدنيا، فجمدت، وصارت الدنيا أرضاً ...

هكذا الدنيا لم تكن موجودة، ولكن لالش كانت أسبق من الدنيا كما نفهم من هذا النص، بدليل أن الله كان يسكن فيها، ثم صاح في الدنيا، فجمدت، وصارت الدنيا.

غريب هذا الأمر، حتى إنهم يُقلِّلون من شأن الله جل جلاله، وفي زعمهم أنهم يحسنون صنعاً، ولا واحد من الأديان السماوية أقر واعترف بأن لله حيزٌ ومكان، بل كل الأديان والشرائع تنفي عن الله صفة الزمانية والمكانية إلا اليزيدية، فقد شذت عن هذا الأمر والناموس، وجعلوا لله بيتاً ومكاناً وهو " لالش".

وورد أيضاً في مصحف رش: ...ما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان؛ لأنه اسم إلهنا. ولا كل اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط وشر. ولا لفظة ملعون. لعنة. نعل وما أشبه.

لماذا لا يجوز التلفظ بهذا الاسم؟ لأنه اسم لإله اليزيديين، فقد ورد في مصحف رش: لا يجوز لعنه ولا ذكر اسمه أياً كانت الدواعي، فقد يذكر بالقول" طاووس ملك"إنها طائفة تعبد وتقدس الشيطان عملياً، وينفيه مثقفوها شفاهاً.

بينما الآفستا تحارب وتضاد الشيطان، فأين هذا من ذاك؟ فاليزيدية لا تشترك مع الزرادشتية لا في " الكتاب " ولا في " الإله "، فلا تعرف الزرادشتية إله المطر وإله الطوفان وإله السفر ...كما هو شأن اليزيدية.

الشيطان مقدس عند اليزيدية، بل هو إلههم، أما في الزرادشتية؛ فالشيطان ملعون ومدحور ومطرود، بل تتمثل فيه قوة الشر بأجمعها.

ليس هناك أي قاسم مشترك بين الزرادشتية واليزيدية في كتبهم، ولو بادرت بالسؤال يزيدياً: ما هو {الآفستا} ؟ هل هو كتابكم المقدس؟ لأجاب من غير تريث لا أعرف شيئاً عنه.

وأيضا لو سألنا زرادشتياً عن { جلوة ومصحف رش وكذلك عن الآلهة المذكورة في اليزيدية وملك طاووس وسناجق} لربما أجابوا أنهم لم يسمعوا بهذه الأشياء بتاتاً، ولو على سبيل حديث عادي، فأين يكمن الترابط والرباط بين الزرادشتية واليزيدية ؟!

الزرادشتية ديانة قديمة كقدم الزمن، أما اليزيدية؛ فأول نشأة وظهور لها على رأي الأكثرية بعد زوال واندثار الدولة الأموية، بل ليس لها ذكر في عهد الأمويين، وإنما بزغ شمسهم وأطل ذكرهم في عهد العباسيين.

العبادات والتشريعات
عند الزرادشتية

قسَّم الفقهاءُ وعلماءُ القانون القوانينَ إلى نوعين اثنين، القسم الأول القانون السماوي؛ أي الإلهي، والقسم الثاني القانون الوضعي؛ أي البشري، ولو قارنّا بين هذين القانونين فسوف نجد أنه لم تختلف كلمة العلماء في ترجيح القانون الإلهي على الوضعي؛ لأنه يتميز ويتفوَّق على الوضعي بالجانب الروحي والعقائدي، وكذلك يُجمل في طياته صفة الردع من العقاب الأخروي، والتشريعات السماوية تنمي الجانب السيكولوجي في الإنسان؛ حيث ينمِّي ويغذِّي روح الإنسان وعقله، بينما التشريعات الوضعية تخلو من هذه الميزة والخاصية السامية .

فلو تتبعنا التشريعات السماوية فنجدها كلها – ومنذ الأزل – تتطلب من الإنسان المكلَّف شيئين اثنين، الإيمان والعمل، وهما لا ينفكان عن بعضهما، وفي سائر الأديان لا أهمية ولا بقاء للتشريع السماوي من جدوى إذا انفصل الإيمان عن العمل أو العمل عن الإيمان، فالعمل من غير الإيمان لا ينفع صاحبه، وكذلك الإيمان من غير العمل لا يدر خيراً على صاحبه.

وسَنُّ التشريعات السماوية لا يتم إلا على يد رسول أو نبي من الأنبياء بواسطة وحي من الله تعالى، وتكون عبارة عن أحكام وتشريعات يحمل في مضامينها الأوامر والنواهي وكذلك الحلال والحرام. إذاً؛ المصدر للقوانين السماوية هو الله سبحانه وتعالى أو رسول من رسله بأمر من الله وإلهام منه جل وعلا أو مستنبط منه، وعدا هذا لا يعتبر ولا يندرج القانون تحت القانون السماوي مهما كان شأن واضع القانون.

التوحيد في الزرادشتية:

مر معنا في مستهل حديثنا عن نبوة زرادشت أن معظم العلماء والمؤرِّخين يُقرُّون ويعدُّون زرادشت نبياً للعجم، من هذا المنطلق لا بد أنه أتى بقوانين وتشريعات وأحكام يتحدث فيها عن الحلال والحرام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن هذه الأشياء من حيثيات وحتميات النبوة، ما جاء نبي إلا ليهدي قومه إلى شرع ومنهاج الله، وما أرسل الله نبياً إلا ليوجِّه الناس إلى عبادته هو وحده، وليبعدهم عن الضلال والخبائث.

لتكن بداية حديثنا من هذا البحث عن التوحيد والوحدانية التي نادى بها زرادشت، ودعا قومه وأتباعه إليه، وسوف نقطف ترنيمة من كتابه المقدس وهي ترنيمة 32 فقرة "3"؛ حيث يقول فيها :

لكنْ؛ أنتم أيها الآلهة المزيفة، والذين يضعونكم موضع التبجيل
كلكم تربية العقل الفاسد والشر والغرور
هكذا تكون أعمالكم على العكس
وسوف تجعلكم في أقاصي الأرض.

إنها لحرب معلنة وقطيعة سرمدية من زرادشت إلى تلك الآلهة المزيفة، وإلى الذين يعبدون هذه الآلهة المزيفة، من حجر وبقر وقمر وشجر، أياً كانت شأن هذه الآلهة، فإنها باطلة وزائفة وزائلة لا تستحقُّ التبجيل والاحترام والعبادة في ديانة ومنطق زرادشت، إلا الرب الحكيم هو الله سبحانه وتعالى فقط يستحقُّ هذا التبجيل والاحترام والعبادة فما دونه باطل ومحال.

ثم كل تلك الآلهة والذين يعبدون هذه الآلهة هم تربية عقل فاسد وشر وغرور، وأعمالهم تكون على عكس ما خلقوا له المفروض أن يكونوا أخياراً، ولكنهم عكسوا الآية. نعم هذه العبادة الفاسدة ستجعل من الذين يعبون الآلهة المزيفة إلى أقاصي الأرض وإلى أسفل دركات الجحيم.

من هذه الترنيمة نرى دعوة زرادشت واضحة، لا تشوبها شائبة، إلى عبادة الله ووحدانية الله تعالى.

أهم المبادئ الأساسية في الديانة الزرادشتية:

الفكر والنية الحسنة، التَّدبُّر والتَّفكُّر في مخلوقات الله، المجاهدة نحو عمل الخير والإحسان، القول الحسن، التَّحلِّي بالفضائل وطيب الكلام والبعد عن الألفاظ البذيئة والسيئة، العمل الحسن، العمل الصالح والبُعد عن الفواحش والمنكرات.

يقول المرجع الديني الأعلى للزرادشتيين في إيران [1]ما يلي :

نحن نعتقد أن نبينا زرادشت، كما نحن نعتقد بوحدانية الله، فلا نعبد غيره، وعندما جاء زرادشت برسالته إلى البشر حاول نشر المبادئ الأساسية الثلاثة المذكورة في الأعلى.

ونحن نعتقد أن الإنسان ومتى عمل بهذه المبادئ الثلاثة فإنه سيعيش سعيداً في دنياه وآخرته، أما أصول ديننا " أركان الديانة الزرادشتية"؛ فهي:

التوحيد،الإيمان بنبوة زرادشت، العمل الحسن، القول الحسن، النية الحسنة، بقاء الروح، وجود الثواب والعقابالمعاد في يوم القيامة [2].

أركان الديانة الزرادشتية:

الإيمان بنبوة زرادشت: أي الإيمان والاعتقاد بأن زرادشت رسول من الله سبحانه إلى أمته في عهده.

بقاء الروح : أن الجسد يفنى ويبلى، ويبقى الروح وهو الذي سيحاسب وسيجازي على أعماله.

وجود الثواب والعقاب: أي الإنسان إما أن يدخل الجنة مكافأة لحسناته الدنياوية، وإما مصيره إلى جهنم جزاء سيئاته الدنيوية، والمسيء سيحاسب على إساءته والمحسن سيحاسب على سيئاته، ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ** ﴾ (الزلزلة، 7 – 8).

---

(1) السيد رستم شهرزادي.

(2) من قاموس الأديان د./ أسعد السحمراني.

الميعاد في يوم القيامة: والميعاد لا يكون إلا عن طريق قيام الناس وبعثهم من قبورهم إلى أرض المحشر للحساب والجزاء ،وأن الله سيبعث كل الخلائق من قبورهم ليحاسبهم على أعمالهم ،وماذا قدّموا وماذا أعدوا لهذا اليوم العصيب، بالاستقراء والملاحظة سيقودنا بأن هذه الأصول الستة متفق عليها لدى كل الأديان السماوية، بل هذا هو جوهر ولبّ دعوة كل نبي مرسل أثناء دعوتهم إلى الله من لدن آدم إلى آخر المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يختلف أحد حول هذه الأركان، بل هذه من أصوليات كل دين توحيدي.

يرى زرادشت أن للإنسان حياة أولى في الدنيا وحياة ثانية في الآخرة بعد الموت، وأن الإنسان سوف يحاسب في حياة الآخرة بناء على ما قام به من أعمال في حياته الدنياوية.

وكذلك نجد في الزرادشتية الحساب بعد الموت، فقد جاء في الآفستا { يبعث الموتى، وتعود الحياة إلى الأجسام، وترد فيها الأنفاس، ويخلو العالم المادي كله إلى الأبد من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال} .

لقد دعا زرادشت أتباعه وقومه إلى الإيمان بالبعث ويوم الحساب والجزاء في الآخرة، حيث يوم القيامة تُرَدُّ الأرواح إلى أجسادها، فلا يبقى الشيخوخة ولا الموت ولا الانحلال، بعد أن يحاسب كل نفس على أعمالها. وفي هذا الخصوص نجد التوافق التام بين الزرادشتية والإسلام، ويظهر هذا جلياً في النص الآفستائي السابق، وفي الحديث الوارد عن رسول الله {جاءت امرأة إلى رسول الله، فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يدخلني الجنة. فقال رسول الله: اذهبي، فإن العجوز لا يدخل الجنة. فخرجت من عند رسول الله وهي تبكي، ثم قال رسول الله: أخبروها أنها لا تدخل الجنة وهي عجوز} . وكذلك النص الوارد في الآفستا القائل : لا شيخوخة بعد يوم القيامة، وفي هذا السياق يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم {يدخل أهل الجنة جرداً مرداً أبناء ثلاث وثلاثين} .

أما عن اللا موت بعد الحساب؛ فعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { إذا صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار، ثم يُذبَح. ثم يُنادي منادٍ: يا أهل الجنة، لا موت. يا أهل النار، لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، وأهل النار حزناً إلى حزنهم[1]} .

عندما نجد في الأديان السماوية التشابه والتماثل في مثل هذه الأمور فإنه لا يبرهن إلا على شيء واحد، وهو أن دعوة الأنبياء والمرسلين واحدة، ولا اختلاف في الأمور الجوهرية، مثل الأمور العقائدية والغيبية والمتعلقة بحياة الآخرة، وكذلك بالله تعالى لزاماً مثل هذه الأمور لا نجد فيها الاختلاف البيّن؛ لأن المنبع والمصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى، أما ما يتعلق بالعبادات والفرائض؛ فقد يختلف شرع نبي عن الآخر، التشابه والتماثل في الغيبيات وأمور العقائدية، وهو وسام صدق للأنبياء والمرسلين، وليس كما يدعيه السطحيون الذين لا يفهمون من أمور العقيدة شيئاً بأن الدين الفلاني سرق وتأثّر بالدين الفلاني، مادام الرُّسُل يتلقون أحكامهم وتعاليمهم من الله، فلا بد من الوحدة والتشابه، وليس الاختلاف والتناكر، والإنسان عدو ما يجهله.

ونجد مفهوم الجنة والنار عند زرادشت النبي أن العبد المطيع لربه والعامل للصالحات سيدخل إلى الجنة، وأما العبد العاصي والجاحد لربه سيدخل إلى النار، ويتجلَّى هذا للعيان في تلك المناقشة التي دارت بين زرادشت وأحد الكهنة؛ حيث إن الكاهن يطرح على زرادشت السؤال التالي:

ولكنكَ قلت إن روح الخير لا يفعل إلا الخير، ولا يخلق الأشياء الصالحة، فكيف – إذن – يحدث أن الإنسان الذي خلقه روح الخير ينطلق ليتبع روح الشر؟

أجابه زرادشت قائلاً:

ذلك لأن الإنسان خلق حر الإرادة يختار بها بين الخير والشر، ولكن كل الأفكار التي يفكر فيها الإنسان وكل الكلمات التي يقولها والأفعال التي يأتيها كل يوم من أيام حياته

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

مكتوبة كلها في كتاب الحياة، فالأفكار والكلمات والأفعال الصالحة مكتوبة في جانب، وكذلك الأفكار والكلمات والأفعال الخبيثة مكتوبة في الجانب الآخر، وعندما يموت الإنسان تذهب روحه إلى الحفيظ على كتاب الحياة، فإذا كانت أفكاره وكلماته وأفعاله الخيرة أعظم من أفكاره وكلماته وأعماله الخبيثة ذهبت إلى الجنة، وإلا ذهبت إلى عذاب الجحيم.

ثم سأله الملك: وهل يستمر هذا الأمر طويلاً؟

أجاب زرادشت: كلا يا صاحب الجلالة .. لأن يوم الحساب قريب، وفي ذلك اليوم ينتصر الإله الواحد على الشر، وعندئذٍ يبعث الموتى، ويقع النجم المذنب على الأرض، فتشتعل وتذوب جميع المعادن، فتنتشر على الأرض كأنها سيل ملتهب، وعلى كل الناس الأحياء والأموات المبعوثين أن يعبروا مجرى السيل الذي يبدو للأرواح الخيرة وكأنه لبن دافئ، فيطهِّرهم المرور به، ويمضون به إلى الجنة... أما الأرواح الشريرة؛ فتظل تحترق إلى الأبد خالدة في المعدن الملتهب، وعندئذٍ يطرد الإلهُ الخيِّرُ روحَ الشر، وكل مَن يتبعه من الأرواح الخبيثة إلى وسط الأرض، ويدعها فيها إلى الأبد، وفي ذلك اليوم يبدأ العالم السعيد الخير الذي لا شر فيه، ويدوم سرمدياً[1].

من هذا الحوار الذي دار بين زرادشت والكهنة تتضح فلسفة زرادشت حول الجنة والنار، وأن الإنسان – في النهاية – سيكون إمَّا من أهل الجنة سرمدياً، وإما من أهل النار لا يخرج منها أبداً، ليكون جزاؤه من جنس عمله، الذي عمله في دنياه، وأن كل فرد سيؤتى كتابه ليجد ما عمله في حياته من خير وشر، وأن الإنسان في الدنيا حر مختار، وهبه الله ملكة العقل والإرادة، اعتماداً على هذه الإرادة سيحاسب في الآخرة على أعماله.

دين زرادشت هو " عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث".

---

(1) قصة الديانات، سليمان مظهر.

الملائكة الستة في الزرادشتية

في الديانة الزرادشتية الاعتقاد والإيمان بستة معاونين أو مساعدين لزرادشت، وهم باعتبارهم من الملائكة المقدسين يأتمرون بأمر من [سبنتا مئينو] أي الروح المقدّسة، وهم:

وهومن ....(vohuman)

واهيشته أشا......(vairya- xshathra)

واريا خشاترا....((vairya- xshathra

سبنته أرمئيتي...(armait- spenta)

هور وارتات......((haurvartat

آمريتات ....(ameretat).

وهناك اعتقاد آخر لدى الزرادشتية بأنه سيظهر ثلاثة " مخلصين "، أحدهم: ظهر قبل ظهور زرادشت بـ[1000] عام.

أما الثاني؛ فيظهر بعد ظهور بعد زرادشت بـ[2000] عام.

أما الثالث؛ فيظهر بعد زرادشت [3000] عام.

وأسماؤهم على الشكل التالي:

أولاً: {هوشيدر} ظهر قبل زرادشت بألف عام.

ثانياً: {هوشيدر ماه} سيظهر بعد زرادشت بألفي عام.

ثالثاً: {سوشيانس} سيظهر بعد زرادشت بثلاثة آلاف عام، وهو الذي سيبثُّ العدل في الدنيا، بعد ظلم يطول أمده.

الصراط:

وفي المعتقد الزرادشتي أنه عند حدوث الوفاة تبقى روح الميت ثلاثة أيام فوق رأسه تتلو الصلاة وتدعو السعادة وتنعم بسلام في عالم الأحياء، وفي نهاية الليلة الثالثة تهب نسمة عطرة، يليها ظهور " ضمير الميت " أو " دينه " على شكل فتاة عذراء ذات قوة وبهاء في سن الخامسة عشرة نبيلة القامة بضة [1] الذراعين فائقة الجمال والروعة، وعند سؤالها تجيب {أيها الشاب البهي الفكر والعبارات، الجميل الأعمال والنيات، فيّتقمّص ضميرك، لقد أجبتني لعظمة جمالي ومن محبوبة جعلتني محبّبة، ومن شهية جعلتني أشهى هكذا أكرّم البشر " أهورامزدا} .

وعندما تصل الروح إلى الجسر الفاصل الذي بناه " أهورامزدا" تبدأ بتعداد ما كانت تقوم به في الحياة الدنيا من خير وأعمال حسنة، فتظهر العذراء وتقود الروح الصالحة، إذا كانت أفكارها أفعالها وأقوالها الصالحة إلى بيت الخلود الجنة، لتلتقي هناك مع " أهورامزدا"، وتعيش معه بسعادة أبد الدهر... أما الأرواح الشريرة التي كانت أفكارها وأقوالها وأعمالها غير صالحة؛ فلا تستطيع اجتياز الجسر، فتتردّى في الجحيم المظلم الذي يتناسب عمقه مع ما اقترفت كل روح من الذنوب، وعندما ينتهي العالم ويحل يوم الحساب الأخير تقوم مملكة " أهورامزدا"، وتزدهر، وبينما يهلك " أهريمان "مع جميع قوى الشر هلاكاً لا قيام بعده أبداً، وتبدأ الأرواح الطيبة حياة جديدة في عالم خال من الشرور والآلام [2]. الجسر أو الصراط مرحلة تنتهي عندها مصير الروح إما إلى الجنة وإما إلى النار.

لذا؛ يعتقد الزرادشتيون بخلود الروح، ويزعمون أن الروح تحوم حول الجسد بعد الموت ثلاثة أيام، وتنعم أو تشقى كما كانت في الحياة، ثم يحملها الريح إلى أمام جسر (ثنثا توبه ره تو) " جيفان"، وهناك يحاكمها قضاة ثلاثة من اليزتات وهم " ميتدا، واسرائوشا، ورشنو" كقضاة الجحيم الثلاثة [3].

---

(1) بض: بضاضةً وبُضُوضة كان رقيق الجلد ناعمة في سِمَن وهي : بضّة وباضة وبضيضة.

(2) عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة.

(3) ألابستاه " كتاب الفنديدا – دار ثاراس للطباعة والنشر.

الإله الخير "أهورامزدا" له سبعة مظاهر أو سبع صفات هي:

النور، العقل الطيب، الحق، السلطان، التقوى، الخير، الخلود، ومن الآداب الفاضلة التقوى، ويأتي بعدها مباشرة الشرف والأمانة عملاً وقولاً، وحرّم أخذ الربا، وجعل الوفاء بالدين واجباً يكاد يكون مقدَّساً[1].

هذه هي الأسس المتينة في الديانة الزرادشتية والتي أقام عليها زرادشت دعوته في عبادة الله والكفر بالشيطان واجتناب الخبائث، ومن بين الخبائث التعامل بالربا؛ حيث حاربه زرادشت، وحارب من قبله كل الأديان، وكذلك الشرف والأمانة أمور جوهرية في الزرادشتية، ونلاحظ هذه الأشياء جاء الإسلام وأكد عليها؛ قال صلى الله عليه وسلم {من مات دون عرضه فهو شهيد}، وقال أيضاً: {الديوث لا يدخل الجنة، قيل: مَن هو الديوث، يا رسول الله؟ قال: مَن يرى عيباً على عرضه، ثم يسكت}.

والعمل الطيب من مقومات الديانة الزرادشتية، ويتجلى هذا المقوم في العمل الذي يساعد على الخير، كبناء المنازل، وإصلاح الأرض، وبذر البذور بكثرة، وحفر القنوات، وغرس الأشجار، ورعاية الحيوان، وحب الأقارب، ونجد أن رسول الله شدد على هذه الأشياء، ودعا إلى عدم التهاون والرعونة فيها، قال صلى الله عليه وسلم: {مَن أحيا أرضاً ميتة فهي له}، وقال أيضاً: {إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه}، وقال: {خيركم مَن أكل من عمل يده}.

مراتب ومنازل الجنة عند الزرادشتية:

لا يتساوى في الزرادشتية مَن عمل خيراً ودخل الجنة، والآخر عمل صالحاً ودخل الجنة، فلا يكونان في منزلة واحدة في الجنة، لأن الجنة في الزرادشتية لها درجات ومراتب، وكلما طمع الإنسان في منزلة أعلى عليه أن يبذل جهداً أكثر في سبيل مرضاة الله وعمل صالحاً.

---

(1) المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي، المرجع السابق.

الطبقة الأولى: أول طبقة من طبقات الجنة، هي بين النجوم، وهذه الطبقة لأصحاب الكلمة الطيبة- القول الحسن- .

الطبقة الثانية: هي فوق القمر.

الطبقة الثالثة: فهي فوق ضوء القمر.

الملتزمون بوصايا زرادشت يتوزعون بين هذه الطبقات، ومن ثم؛ إذا اجتمعت هذه الأفعال في شخص واحد، فهو - بالتالي - يعبر هذه الطبقات إلى الجنة الموعودة في الآفستا.

الطبقة الثالثة هي العليا، وتسمى " نغرر أوجه" النور الأبدية، وكلمة بهشت " الجنة" تعني الفردوس، وأيضاً تسمى " انكوهيشت" وتعني العالم الأجمل والمكان الأجمل والحياة الأجمل (مقر إقامة لاهورامزدا) وتعني العرش الكبير [1].

يبدو أن مراتب الجنة والنار عند الزرادشتية متوافقة مع المفهوم الإسلامي، إلا أن مراتب الجنة في الدين الإسلامي ليست ثلاث طبقات، ولكنها على ثمانية درجات، ويوزع المؤمنون أو الداخلون على مراتب الجنة كل حسب عمله، وكذلك عند الزرادشتية كل ينال درجات الجنة حسب عمله، وأعلى منازل الجنة هي الفردوس الأعلى.

النار {الجحيم}:

النار عند الزرادشتية أُعدَّت وجهِّزت للذين لا يطبِّقون وينفِّذون وصايا وتعاليم زرادشت، وهم المذنبون الذين يصلون جسر {جينوت} وتعني " الصراط" سوف يقعون أسفل الجسر، وهي أول دركات النار تقع تحت هذا الجسر وأعد لأصحاب الكلمة الخبيثة والعمل الخبيث، فبعد أن يتلقوا فيها كل أنواع العذاب يُرمون في الطبقة الرابعة " المرحلة الرابعة"، والتي تسمَّى (انكمرتمنكه)، وتسمَّى بيت الشيطان والكذابين [2] .

فكما أن للجنة مراتب ومنازل كذلك نجد أن للنار دركات ومراحل لتعذيب العصاة والمذنبين، وأيضاً كل حسب عمله واقترافه للسيئات، ولو أننا نظرنا إلى فلسفة الإسلامي

---

(1) كارزان خانقيني / العقيدة والقانون في فلسفة زرادشت/ .

(2) المرجع نفسه.

حول دركات النار والعذاب، فلا نجدها متساويات على العصاة، كما هـو شـأن الزرادشـتية، فللنار دركات وأبواب ليست كلها متساوية في الشدة والضنك، بل هي متفاوتـة، وهـي ذات طبقات سبع: جهنم، السعير، لظى، سقر، الجحيم، الهاوية، الحطمة.

وهذا التناسق بين الإسلام والزرادشتية لا يدعو إلى الهشة والغرابة؛ لأن الديانتين كلتـيهما - هما - ربانيتان، فمصدر الإلهام والوحي واحد، مـا همـا إلا كاللبنـة في البنـاء يـشد ويـتمم أحدهما الآخر، لذا؛ نجد في الزرادشتية ملائكة تسجِّل أعمال الإنسان منذ بلوغه إلى مماته؛ أيْ أن الإنسان قبل بلوغه سن الرشد غير مكلَّف، ولا يحاسَب على أعمالـه، فالأطفـال لا عقـاب عليهم، إلا أن الآباء والأمهات قد يحاسبون لعدم الاعتناء والتقصير.

أبراج الصمت " دفن الموتى":

الزرادشتية لا يدفنون موتاهم، بل يضعونهم على أبراج عالية تـسمَّى بـ (أبـراج الـصمت)؛ لتكون جثة الميت طعاماً وزاداً للطيـور الجارحـة، عـلاوة عـلى هـذا أنهـم يخـشون ويعتـبرون أن الأجساد بعد مفارقة الروح لها تتحول إلى النجاسـات والأدران، والمحافظـة عـلى نقـاء وطهـارة الأرض يتطلب منهم عدم دفن جثث موتاهم فيها، فهم لا يحبِّذون تنجيس الأرض بجثة الميت.

أحد أبراج الصمت الواقعة خارج مدينة " يزد " الإيرانية



أحد أبراج الصمت الزرادشتية



أحد أبراج الصمت يعلو الهضبة



إذ غير مُشجَّعٍ عندهم أن يبقى الرجل بدون زواج، فالجنود يجب أن يكونوا متزوِّجين، وكذلك الكهنة.

وكانت الزرادشتية تبيح التعدُّد، ذلك لأن المجتمعات الحربية بحاجة ماسة إلى كثرة الأبناء، وهو يأمر الزوج والزوجة بالعفة، وديانة زرادشت تنهى عن الفحشاء، ولذلك جعلت الرباط الخير العائلي عن طريق الزواج جزءاً من أداء الدين، انظر إلى هذا المبدأ مثلاً تقول الآفستا حول الزنا {يُدان الاقتران غير الشرعي بين الجنسين كما تدان المرأة ذات السلوك السيئ، نظرتها تغيض من ثلث المياه الغزيرة السائلة من الجبال، ويتلف في مرحلة النمو ثلث النباتات الجميلة ذات اللون الذهبي} .

شجَّع زرادشت الشباب على الزواج، وحبَّب إليهم الكثرة في إنجاب الأولاد؛ ليتقرَّب العبد بهم إلى " أهورامزدا "، وكذلك الرجل الذي يعمل خير من الذي لا يعمل، ولا يوجد في الزرادشتيةالكهان والرهبان ليعزفوا عن الزواج، وحتى يتفرغوا للعبادة كما هو عند النصارى، وغيرهم، وأمر كلاً من الزوجين بالعفة والطهارة والاستقامة، وأمرهم بالبعد عن الفاحشة والزنى، وحرم كل التقاءٍ بين الذكر والأنثى إلا عن طريق الزواج الشرعي.

أما ما يشاع عن الزرادشتية من إباحية وعدم التقييد بالأزواج وعن الحرية المطلقة للرجل والمرأة في معاشرة والزواج ممن يشاء من النساء حتى ولو كانوا من المحارم كالأخوات والعمات... وغيرهم؛ فهذا غير صحيح، ويشاع أبشع من هذا فالبعض اتهم الزرادشتين في جماع ومعاشرة المحارم كالزواج الأب من ابنته والأخ من أخته، ولتوضيح هذا الجانب اللإنساني، وهل هذا شيء متأصل في الزرادشتية أم دخيل فيها،لا بد أن نلفت الانتباه أن هناك فرقاً بين الزرادشتية والمزدكية، فربما حدث لغط وخلط بين الزرادشتية والمزدكية، حيث إن الزرادشتية حاربت هذا الأمر، وأنكرته كما مر آنفاً، أَ لم يأمر زرادشت كلاً من الزوج والزوجة بالعفة والاستقامة؟! أَ لم ينه عن الفحشاء والمنكر والزنى؟!

وحول هذا الموضوع يقول السيد/ رستم شهرزادي" المرجع الأعلى للزرادشتية" وهو يجيب عن سؤال عن السماح في شريعتهم بالزواج من المحارم كالأخت والبنت وسواهما فيقول:

أبداً، هذا غير صحيح على الإطلاق، وغير مسموح به بتاتاً، ولكنْ؛ في العهد الساساني كان هناك ملك اسمه (مزدك) أجاز أن يكون المال والمرأة مشتركاً للجميع، وقد عمل بهذا الأمر في ذلك العهد، إلا أنه وبعد انتهاء ذلك العهد انتهت هذه المسألة، ولم يعد يعمل بها أو يؤمن بها أحد [1].

وذكر صاحب الكتاب [2] " المرأة الكردية" حول هذا الزواج من المحارم، أن عادة الزواج بالمحارم قديمة عند الفرس، ويسمَّى بالفارسية (خويذ وكدس) وفي آفستا (خويث ودثه).

وقيل الزواج بين الأخ وأخته منوَّر بمجد إلهي، وله فضيلة طرد الشيطان ومحو الكبائر.

بعض المحدثين من البريثيين ينفون وجود زواج المحارم في إيران الزرادشتية، ويقولون إنه لغو من القول.

يرى (بلسارا) أن {خويذ وكدس} تعني العلاقات بين الله والإنسان عن طريق حياة مقدسة، وأنه إن كانت أزمنة الكتب البهلوية، فهي التي قد ألصقت بهذه العبارة فكرة السفاح بين الأقارب، فإن هذا ينبغي أن ينسب جملة إلى الفلاسفة الشيوعيين مثل (مزدك [3]) وليس إلى الزرادشتية.

وفي الآفستا [4] جاء ما نصه :كان الزواج بين الأقارب مسموحاً، بالأخصِّ؛ في فترة الزرادشتية الأرثوذكسية في عهد الساسانيين .

---

(1) من قاموس الأديان، المرجع السابق.

(2) الدكتور إبراهيم طاهر معروف الرباتي.

(3) مزدك: ومنه المزدكية، ظهر في عهد الملك قباذ بن فيروز في أواخر القرن الخامس الميلادي، وكان زنديقاً يدعو إلى الإباحية في النساء والممتلكات، وعندما تمادى في دعوته قتله " أنوشروان بن قباذ بن فيروس". ..وهو مزدك الزنديق، كان إباحياً، وكان يقول باستباحة أموال الناس، وإنها فيء، وإنه ليس لأحد ملك شيء، ولا حجزه، والأشياء كلها لله مشاع بين الناس، لا يختص به أحد دون أحد، وهو لمن اختاره، فعثر الناس منه على متابعة مزدك في هذا الاعتقاد ...

وقد أمر مزدك أصحابه بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهواتوالأكل والشرب والمواساة والاختلاط، وترك استبداد بعضهم على بعض، ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمنع الواحد منهم من حرمة الآخر، ولا يمنعه. ومع هذه الأحوال يرون أفعال الخير، وترك القتل، وإدخال الآلام على النفوس، ولهم مذهب في الضيافات ليس هو لأحد من الأمم، فهم إذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائناً ما كان. ومذهبه منبثق من الزرادشتية. – المِلَل والنِّحَل " الشهرستاني".

(4) الذي ترجمه وأعده د./ خليل عبد الرحمن.

فإذا كان يدور رحى الاتهام حول الزواج من المحارم في الديانة الزرادشتية فإن الأمر لا يخلو من وجود أثر لهذا الزواج، وربما لدى الزرادشتين الذين سعوا إلى تحريف الكلم عن موضعه، وتم وضع هذا النوع من الزواج بعد وفاة زرادشت بأمد طويل، وعلى يد أتباعه كـ"مزدك" الذي كان معتنقاً للزرادشتية.

والأمر الآخر الذي قد لا يستبعد هذا النوع من الزواج هو أن المؤرخين يرجعون بعثة وميلاد زرادشت إلى ما قبل الميلاد بـ1000 عام، وقد لا يكون في الأمر غضاضة في ذلك العهد، لأن تاريخ البشرية مر بمراحل وطفرات عدة، ففي ديانة سيدنا آدم كان الأخ يتزوج من أخته، وهذا حفاظاً على نوع البشرية، ورغبة في التكاثر والإنجاب، فكلما ازداد الزمن بُعداً من التاريخ الميلادي ازداد حصر وتضيّيق دائرة المحارم، فنجد أن ديانة موسى وشعيب تقرَّان الجمع بين أختين أو بين البنت وعمَّتها، وكذلك الزرادشتية كانت قديمة كقدم هذه الديانات إنْ لم يكن أقدم فمن المؤكد أن مفهوم ودائرة الزواج فيها غير مطابق مع المفهوم الإسلامي والعصر الحالي، ودائرة المحارم تضييق أكثر فأكثر، وكذلك لم نجد المحرمات من النسب والمصاهرة في الزرادشتية بشكل مفصل، قد يكون لأجل هذا ذهب البعض بالقول: بجواز الزواج من الأخت.

وقد يكون من الجور والظلم أن ننسب هذا النوع من الزواج إلى زرادشت، لأنه قدّم مذهباً أخلاقياً يتألف من القسطاس فيه العدل والصدق والأعمال الصالحة، وهذه الإباحية التي هي معروفة عند مزدك تتنافى مع هذه المبادئ والقيم المثلى، لذا؛ فزرادشت – حسب اعتقادي – بريء من هذا الافتراء، وإذا ما وجد في آونة معينة فهو تحريف وتبديل لتعاليم زرادشت.

وتأكيداً على براءة زرادشت من هذا الزواج ومن هذا التبديل والتحريف، فقد ورد عن علي كرم الله وجهه قال: إن ملكاً سُكِر، َفوقع على أخته، فأراد أن يجعل ذلك شرعاً في رعيته، فلم يقبلوا، فأشارت إليه أن يخطب بأن الله عز وجل أحلَّ نكاح الأخوات، فلم يسمع منه، فأشارت إليه أن يخدّ لهم الأخدود، ويلقي فيه كل مَن عصاه، ففعل، قال: وبقاياهم ينكحون الأخوات، وهم المجوس، وكانوا أهل الكتاب [1].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي-.

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾[1] خبر من الله عن النار- أنها قتلتهم- وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود مَن هم؟

فقال بعضهم : قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس ...

وقال بعضهم : لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم بلغهم نعي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال بعضهم لبعض :

أي الأحكام تجري في المجوس، وإنهم ليسوا بأهل الكتاب، وليسوا من مشركين العرب، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قد كانوا أهل الكتاب، وقد كانت الخمر أُحلَّت لهم فشربها ملك من ملوكهم، حتى ثمل منها، فتناول أخته، فوقع عليها، فلما ذهب عنه السكر، قال لها: ويحك !فما المخرج مما ابتُليت به؟

فقالت: اخطب الناس، فقل يا أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات.

فقام خطيباً، فقال: يا أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات.

فقال الناس: إنا نبرأ إلى الله من هذا القول، ما أتانا به نبي، ولا وجدناه في كتاب الله، فرجع إليها نادماً، فقال لها:

ويحك ! إن الناس قد أبوا على أن يقروا بذلك.

فقالت: ابسط عليهم السياط، ففعل، فبسط عليهم السياط، فأبوا أن يقروا، فرجع إليها نادماً، فقال: إنهم أبوا أن يقروا.

فقالت: اخطبهم، فإن أبوا، فجرِّد فيهم السيف، ففعل، فأبى الناس.

فقال لها: قد أبى الناس.

فقالت: خُدَّ لهم الأخدود، ثم اعرض عليها أهل مملكتك، فَمَن أقرَّ وإلا فاقذفه في النار.

ففعل، ثم عرض عليها أهل مملكته، فمن لم يقر منهم قذفه في النار، فأنزل الله فيهم ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴾، تفسير الطبري، سورة البروج.

---

(1) سورة البروج، الآية 4.

تعدد الزوجات:

وفي الزرادشتية يحق للزرادشتي الزواج بأكثر من زوجة، وألزمت الزرادشتية مكوث الزوجة في بيتها، ولا تخرج إلا للضرورة، وألزمها لبس الحجاب، ولا يحق لها الاختلاط بغير محارمها [1]. فتعدد الزوجات في الزرادشتية أمر أقرَّه زرادشت لأتباعه.

ويقال: بأن زرادشت تزوج ثلاث مرات، وأنجب ثلاثة ذكور وثلاث بنات، وكانت ثالث زيجاته من ابنة الوزير الأول لمملكة خوارزم [2].

الزوجة الممتازة:

الزوجة الرئيسية هي من الحرائر، والزواج بها قد تم وفق الشروط المتبعة، وقد قامت الأسرة على أساس تعدد الزوجات، ويعتمد هذا على الوضع المادي للرجل، وكان لرب البيت رياسة الأسرة، وكان للزوجة الممتازة الحق في الطعام على زوجها طيلة حياتها، أما إذا كان للزوج أكثر من زوجة ممتازة؛ يجب أن يكون لكل واحدة منهن بيت خاص بها، وإذا وقع الرجل في الفاقة بغير تقصير منه ففي وسعه أن يتنازل عن زوجته أو إحدى زوجاته ولو زوجته الممتازة، ولم يكن قبول المرأة ضرورياً.

الزوجة الخادمة:

الزواج من الرقيق والسبايا؛ أي الطبقة الثانية، فأولادها الذكور وحدهم يتبنون في أسرة الأب، وعند الطلاق لا تستطيع أن تطالب بشيء.

---

(1) زرادشت والزرادشتية، للدكتور الشفيع الماحي أحمد.

(2) العقيدة والقانون في فلسفة زرادشت، كارزان خانقيني – عبر الإنترنت-.

زواج الإبدال:

إذا مات الرجل ولم يخلِّف ولداً، عليهم أن ينظروا، فإن كانت له امرأة زوّجوها من أقرب عصبة باسمه، وإن لم تكن له امرأة، فابنته، أو ذات قرابته، فإن لم توجد، خطبوا على العصبية من مال المتوفى، فما كان من ولد، فهو له، ومن أغفل ذلك، ولم يفعل، فقد قتل ما لا يحصى من الأنفس؛ لأنه قطع نسل المتوفى وذكره إلى آخر الدهر، وقد كان مقرراً أن يكون إبدال أمراء البيت المالك أمراء مثلهم، وأن يكون إبدال الإشراف أشرافاً [1].

الزواج من المحارم:

وقد تحدثنا عن هذا الزواج سابقاً في الأسرة والزواج في الزرادشتية.

حكم الزنا في الزرادشتية:

تلك الفاحشة النكراء حاربتها وحرمتها جميع الأديان والشرائع إلا الشذوذ من البشر، وحتى الحيوانات يفرون منها؛ لأنها تأبى وتخالف الفطرة والغريزة السليمتين، ونجد الكثير من الحيوانات المفترسة والأليفة ينشب بينهم معارك وقتال ضار، كل يحارب ويدافع عن أنثاه، إلا الخنازير، فقد يجتمع مجموعة من الذكور على أنثى، بالإضافة إلى تفشِّي اللواط بين ذكورهم، من هذا المنطلق ومن مبدأ تعارضه مع العقل والفطرة الإنسانية السليمة حرِّم الزنا في اليهودية والمسيحية والإسلام، مع اختلاف طفيف في كيفية تنفيذ العقوبة.

ويبدو أن الزرادشتية لم تفرِّق بين جريمتي اللواط والزنا، واعتبرتها من الجرائم التي من الضروري والحتمي الابتعاد عنها. وتشمل الأفعال والذنوب السيئة والمنفِّرة في الزرادشتية كلاً من اللواط والزنا والسرقة والكذب وشهادة الزور والخداع والافتراء والابتزاز.

وفي موضع آخر نجد أن الزرادشتية نهت عن التعامل بالربا وشرب الخمور والكذب والانتحار، وتعريف الزنا في الزرادشتيةنفسه هو تعريفه في الإسلام.

وهناك رأي أشد ويفضي إلى أقسى العقوبة في حق المرأة في حال تلبُّسها بالزنا، وهو:

---

(1) المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي.

المرأة عليها الالتزام والحرص على عفَّتها وحسن سلوكها وشرف بيتها وزوجها، ويُحكم بالموت رمياً في النهر على المرأة التي يقبض عليها في حالة مضاجعة مع رجل آخر، وإن عفا عنها زوجها تصبح كإحدى إماء زوجها، أو لا تستمر بحقوق زوجية [1].

وورد في أحد النصوص الزرادشتية أنه {إذا ضُبطت امرأة متزوجة مضطجعة مع رجل ثان، فعليهم أن يربطوهما معاً، ويرموهما في الماء}.

وإذا تجمع لدى الرجل براهين على عدم إخلاص زوجته له لم يكن أمامها إلا أن تنتحر، وفي عهد الساسانيين خُفِّف هذا القانون؛ بحيث صارت المرأة تُسجن جزاء عدم إخلاصها لأول مرة، حتى إذا تكرَّر عملها صار لا مفرَّ لها من الانتحار [2].

حرَّمت الزرادشتية الزنا، وجعلت عقوبة كلّ من الزاني والزانية القتل أو رمياً في الماء حتى الغرق، لأنه دين رباني، يستحيل أن يقر ويسكت على الفواحش والمنكرات، ولم يفرق بين زنا الرجل وزنا المرأة، لأن الناس سواسية، لا فرق بين جنس وآخر في عمل الخير، أو ارتكاب المعاصي لدى كافة الشرائع، فالمسيء يحاسب على إساءته، والمحسن يكافئ على إحسانه.

إن رمي الزانين في الماء يحتاج إلى تقصّ ومتابعة، وهو أن السبب الرئيسي الذي يلجئ إليه الزرادشتيون لعدمدفن موتاهم في الأرض هو الاعتقادبقدسية الأرض، وبعد مفارقة الروح للجسد يتحوَّل الجسد إلى رمَّة نجسة، فهم يسعون مجاهدين للمحافظة على طهارة ونقاء الأرض، وعدم تنجُّسها بأجساد الموتى، لذا؛ يعزفون عن دفن موتاهم في الأرض، فيضعون أجسادهم على أبراج الصمت، تاركينها للطيور الجارحة كي تنهش وتأكل الجثث، كل هذا كي لا تتنجَّس الأرض، بالإضافة إلى قدسية الأرض عند الزرادشتية، فإن الماء والهواء يتبوءان ويحوزان نفس المكانة من القدسية لدى الزرادشتية، إذاً؛ فكيف بالقول إنهم يرمون الزناة في الماء حتى الغرق - الموت -؟ أَ لا يتنجَّس الماء؟ أَ ليس بعد أن يغرق الزاني في الماء يتحول إلى رمة وجثة، وبالتالي؛ لا يجوز مخالطتها بالماء والهواء والأرض كي لا تتنجَّس هذه العناصر،

---

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

لكن هذا يصحُّ في حالة واحدة فقط، أي أن رمي الزاني في الماء يجوز إذا كانت أبراج الصمت وعدم دفن الموتى في الأرض هي عادة دخيلة على الزرادشتية وتحريف وتبديل لم يشهده زرادشت، عند ذلك نقول من الممكن أن إلقاء الزاني في الماء جائز ومقبول .

التَّشهُّد عند الزرادشتية:

فرضت الزرادشتية على الشخص الذي يبتغي اعتناقها والدخول إليها ألفاظاً وشهادة معينة عليه الإيمان بها أولاً ليتسنى له اعتناق هذه العقيدة.

ففي أي دين كان لو أراد إنسان اعتناقه، فإن السبيل الوحيد أمامه ليسلكه هو أن يقوم بأداء إجراءات شكلية، والأخرى موضوعية متعارف عليها لدى أتباع هذا الدين: فالشكلية كأن ينطق بالشهادة المعروفة لديهم، أو يتلو ترانيم وتراتيل معينة، أما الموضوعية؛ فأن يعتقد ويعتنق وجداناً وعقلاً هذا الدين الجديد الذي ينوي اعتناقه، وإلا يكون اعتناقه نفاقاً وكذباً، فالذي يريد اعتناق الزرادشتية - الدارج عند الزرادشتية - عليه أن يؤمن بهذه الشهادة، ويعمل بضمونها: وهي {أشهد بأني مؤمن بالله الخيِّر والغني، وأتبع زرادشت رسوله الكريم}، أو يقول في شهادته: {أشهد أني عابد للإله «أهورامزدا»، مؤمن بزرادشت، كاذباً بالشيطان، معتنقاً للعقيدة الزرادشتية، أُمجِّد الآميشا سبنتا الستة، وأعدُّ لاهورامزدا كل ما هو خير} .

وإذا نطق شخص بهذه الشهادة يكون قد انسلخ عن دينه القديم، وصار عضوا ومعتنقاً للزرادشتية.

الردة في الزرادشتية:

هذا عن الاعتناق للزرادشتية، ولكنْ؛ ما الحكم لو أن شخصاً ترك وتخلى عن الديانة الزرادشتية، واعتنق دينا آخر؟ وكيف ستكون نظرة الزرادشتين إلى ذاك الشخص المرتد عن دينه؟!

يرى زرادشت أن رأس الخطايا كلها هو الكفر، وأن المرتدِّين من الدين يعاقبون بالإعدام، وأول ما يجب على الإنسان في هذه الحياة أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاة [1].

---

(1) المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي، المرجع السابق.

وفي الزرادشتية كل مَن يدعو لدين آخر فهو يدعو للكفر، وبعد اعتناق الزرادشـتية يحـرَّم عليه الارتداد، وإلا يُقتَل ويُعاقَب بالإعدام [1]. إذن؛ من ترك دينـه، أو بدَّلـه يُعاقَـب بـالموت شنقاً في الزرادشتية، وتنفيذ حكم الإعدام يتم عن طريق إعدامه شنقاً إلى أن يفارق الحياة.

الطلاق:

الطلاق في الزرادشتية نادر الوقوع، وهو مسموح به في أربع حالات:

الزنى - وعدم الوفاء للزوجية، وعنـدما تخفـي المـرأة عـن زوجهـا طهرهـا، وإذا لجـأت للسحر، وإذا كانت عاقراً.

إذا طلَّق الرجل زوجته كان ملزماً بأن يردَّ إليها ما أخـذ مـن مالهـا الخـاص، وحـين يـتم الطلاق برضا الزوجية لا يكون لها الحق في استبقاء الأموال التي كان الـزوج قـد أعطاهـا لهـا أثناء الزواج [2].

حد السرقة:

وفي الدراسة التي قام بهـا أحـد البـاحثين الإسـلاميين [3] حـول حـد الـسرقة في الديانـة الزرادشتية قال : إن الزرادشتين يقطعون يد السارق، وأيضاً عـلى المـؤمن الزرادشـتي تجنُّـب الدخول الأسواق، ويجب أن يراها أماكن حقيرة وخسيسة، فيها الغش والخداع؛ لأنها مـأوى ومكان للشيطان.

الزكاة:

ويتابع الباحث قائلاً عن الزكاة في الزرادشتية: فمن المقتدرين يؤخذ منهم الثلـث، وكـل مَن يدفع الزكاة والصدقات أن يرزقه الله من حيث لا يحتسب، ويعوِّضه الله بدلاً منها، ويجعل الله البركة في ماله.

---

(1) زرادشت والزرادشتية، د./ الشفيع الماحي أحمد.

(2) المرأة الكردية ودورها في المجتمع الكردي.

(3) الدكتور الشفيع الماحي أحمد، «زرادشت والزرادشتية».

الصلاة:

أما عن الصلاة في الزرادشتية ومواقيتها؛ فالمعلوم عندهم أنه هناك صلوات بعـدد أقـسام اليوم الخمسة، كالصلاة مع غروب الشمس، واحتفالات لجميع المناسبات الكبرى في الحيـاة: في الميلاد، والبلوغ، والزواج، وإنجاب الأطفال.

أما صلاتهم في اليوم؛ فهي كالتالي: صلاة الصبح «كان هاون»

وصلاة الفجر «كان اشهل»

صلاة العصر «كان إزيرن»

وصلاة الليل «كان عيوه سرتيرد»

وصلاة الفجر «كان إشهن» [1]

فالصلاة الحقيقية عند الزرادشتية كانت خالصة لله رب العـالمين، وحتـى الآن لم نجـد ولم يمر ذكر لعبادة وتمجيد النار وأداء طقوسات لهـا، لكـن مـا يقـوم بـه الزرادشـتيون مـن أداء طقوسات وتراتيل أمام النار كلها تشويه وتحريف للعقيدة التي كانت خالـصة لله، حتـى بـدا الزرادشتيون وكأنهم يعبدون النار بـدلاً مـن الإلـه «أهـورامزدا» خـالق كـل شيء، والـدليل الساطع على أن هذه الدعوة كانت لذات الله وحده أننا نستشف من تلـك الأدعيـة والتراتيـل التي كان يؤديها زرادشت في صـلاته؛ حيـث يبتهـل إلى الله بـالقول {هـذا مـا أسـألكَ عنـه، فاصدقني الخبر يا أهورامزدا: مَن رسم للكواكب وللشمس طريقها، إن لميكبكَ، فبمن يكمل القمر وينقص؟ مَن ثبت الأرض في الأدتي، وأمسك السماء أن تقع؟ مَنْ – أيها الحكيم – خلق روح الخير؟ أي فنان أبدع النور والظلمات؟ مَنْ خلق الصباح والظهر والمـساء ليعـيّن للبيـت واجبه؟ إنه أنت يا واحد أحد، اكشف عن أسرار المعرفة كي تساعدني عـلى نـشر دينـكَ، أيهـا الإله الواحد الحكيم «أهورامزدا».

أنتم أيها الشياطين، ويا مَنْ يجلهم، أنتم جميعاً طبيعة روح الشر والكبرياء، وعندما تعينون الأعمال السيئة، وتريدون ممن يقوم بها أن يعتقد بحظوته لديكم، وأن يقلل من حظوتـه لـدى

---

(1) من قاموس الأديان، المرجع السابق.

روح الخير، وأن يتفلَّت من سلطان السيد العدالة، فقد انتزعتم من الإنسان سعادته وخلـوده ... هذا هو العمل الذي ألهمكم روح الشر}. تأمَّلوا في هذا الدعاء التوحيـدي وإشـعال نـار القطيعة والحرب بلا هوادة على الشيطان وأعوانه ورفض التعامل معه بتاتاً، وعلى الإنسان أن يتوجه إلى خـالق الـسماء والأرض، الـذي جعـل الـسماء بـلا عمـد، وزيـن الأفـق بـالنجوم والكواكب، ومعطي الأرزاق أو ممسكها، إنه الإله الحكيم «أهورامزدا» لا إله غيره، ولا أحـد غيره يستحق العبادة ،وما الشجر والحجر والـشمس والقمـر إلا آلهـة مزيفـة، لا تـستحق أن نُطلق عليها كلمة إله، بل إنهم مخلوقات الله.

رموز الزرادشتية في الملبس:

أهم رموز الزرادشتية التي تذكِّرهم بدينهم، وتميِّزهم من غيرهم هي:

الرمز الأول (sudrah) «الصدرة» أو المئزر المقدَّس يرمز إلى الدين، ويرتدي الكهنة أردية بيضاء، ويضعون عمامة على الرأس، وقناعاً على الفم أثناء تأديتهم لبعض الطقوس؛ ليتجنَّبـوا تلويث النار المقدَّسة بأنفاسهم، لأنها بيضاء اللون، ولأن اللون الأبيض هو رمز النقاء المطلق، وهي مؤلفة من تسع قطع بيضاء من القماش القطني، وهذه القطع هي: فتحة العنق أو النحر، الصدر ، المثلتان؛الكمان، الدخارص.

والدخارص يُمثِّل الجـزء الأمـامي والخلفـي مـن الـصدرة، الخـط المتـوازي مـع الجبهـة اليسرى.أما الرمز الثاني (kushti) فهو خيط مقدَّس به اثنان وسبعون خيطـاً ترمـز إلى أسـفار الياسنا «yasna» وهي تعقد وتربط مرات عديدة في اليوم تعبيراً عن التصميم الديني والعـزم والأخلاق معاً. لزاماً على الزرادشتي أن يتوضَّأ عند تأدية مراسم الحـزام(kushti) متجهـاً إلى مصدر النور، ثم يردد ترتيله قصيرة، ويفرد الحزام، ثم يمرِّره على الخاصرتين ثلاث مرات، ثم يعقده من الأمام، وأخرى من الخلف، ويشاع أن العُقَـد ترمـز إلى بعـض العقائـد عـلى وجـه التحديد، وإلى الأفكار الأخلاقية، ويعتقد أن قوة سحرية أو روحية تُختزن في العُقدة الأمامية، وهي قادرة على صدِّ قوة الشرِّ، ودحرها، يُحَلُّ الحزام خمس مرات في اليوم، ويلـوّح بـه ثـلاث

مرات متوالية، مع ترديد كلمة [sakusta hariman] أي هزمت قوة الشر، وهذا التلويح هو بمثابة جَلد للقوة الشرِّيرة [1].

النار المقدَّسة:

وقد أطلق العلماء على الزرادشتين أو – المجوس – بأنهم عبدة النار؛ لأنهم يُبقون في معابدهم ناراً دائمة الاشتعال، وكذلك الرقص حول النار في المناسبات الدينية، وللنار كهنة يُطلق عليهم اسم المجوس أو موقدي النار، وأهم واجباتهم إبقاء النار مشتعلة دائماً، وممارسة الطقوس الدينية بتقديم الضحايا والقرابين لها.. وعلى رجال الدين أن يحافظوا على اشتعالها باستمرار، فيأتون إلى الهياكل خمس مرات يومياً؛ ليقدِّموا الوقود إلى النار، لتبقى مشتعلة، وفي كل مرة يتلو الكاهن عبارات دينية، يدعو بها الناس إلى التأمُّل في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح.



«معبد النار بالقرب من بدو في تيار أكبر آباد 10كم، أما الآن؛ فلم يتبقَّ منها إلا بعض الأنقاض»

ويبدو أن تعظيم النيران بهذا الشكل هو لغو وتحريف حاصل بعد زرادشت بأمد ليس بقصير، فزرادشت لم يقدِّس النار كما هؤلاء الكهَّان يقدِّسونه .

ويبدو أن الإنسان العصري دائماً يسعى إلى السهولة في العبادة، ويريد أداء شعائر وطقوسات لا تكلِّفهم جهداً ومشقّة، ولا تأخذ منهم وقتاً، انظروا زرادشت كيف كان يصلي

---

(1) انظر الديانة الزرادشتية أو اليزيدية، لبهمن سوراجي، ترجمة توفيق الحسيني.
وأيضاً من قاموس الأديان، د./ أسعد السحمراني.

في اليوم خمس مرات لله تعالى، بينما كهنة النار بدَّلوها بالذهاب إلى معابد النار، وإشعالها في اليوم خمس مرات.

وحتى الكثير من الزرادشتين يُقرُّون بأن زرادشت لم يكن يعبد النار، ويقدِّسها بالشكل الذي هم عليه الآن، بل إن زرادشت كان يؤكِّد ويصرُّ دائماً أن تعاليم دينه وعقيدته ومبادئه لا تقوم على عبادة النار وتقديسها، ولم يدع أحداً إلى عبادة النار وبناء معابد للنار، وهو قد يكون رأى في النار والنور والشمس رمزاً للإله الطاهر الذي يهلك المفسدين،ولا يتطرَّق إليه الفساد، ورمزاً لقوة الإله الأوحد الذي لا يمكن أن يراه أحد.

والبعض من أتباع زرادشت يلوذون بالقول في تبرير عبادتهم للنار، إنهم يقدِّسون النار كرمز، ولا يعبدونها كإله، وإنهم يعظِّمونها باعتبارها جوهراً علوياً نقياً ،وبتعظيمهم للنار سوف يحميهم من عذاب النار في الآخرة، وأيضاً يقدِّسونها لأنها كانت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام. فزرادشت قد يكون هبَّ بدعوة أتباعه إلى التَّأمُّل والتَّدبُّر في ملكوت الله عز وجل كالسماء والأرض والجبال التلال، والبحار والأنهار، ومن بين هذه الأشياء النار لنُدرك عظمة الله في مخلوقاته، ولكن الأتباع الذين كانوا يؤمنون به إيماناً متزعزعاً بدَّلوا ما بدَّلوا، وحرَّفوا ما حرَّفوا، وأدخلوا في دينهم كما تاقت إليه أنفسهم وأهواؤهم.

الزرادشتيون لا يعتمدون مظاهر لبيوت العبادة تدل عليها؛ لأنهم لا يرغبون أن يدلوا أحداً على بيوت عبادتهم، أو أن يدخلها، وبذلك تتسم عبادتهم وأماكنها بقدر من السرية، وفي أيامنا هذه نجد أنه في الهند كما في إيران لا يُعرف مكان العبادة من الخارج، ففي حين يحتل غرفة داخلية في منزل في إيران، فهو في الهند يحتل المبنى كله.



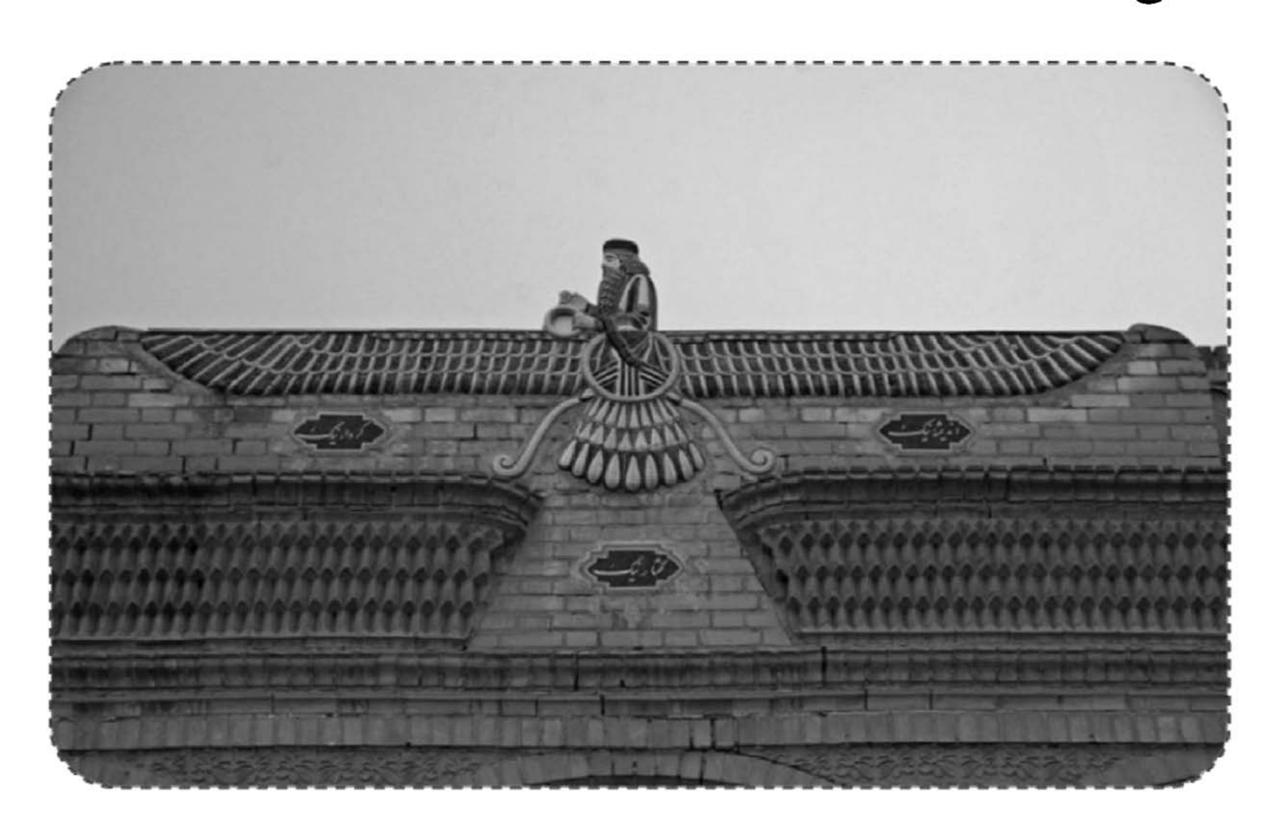
«معبد للمجوس، يتوسطها شعلة النار المقدسة، وبجانبها صورة لأحد موابذة المجوس».

وتحتل النار المقدسة وسط غرفة خاصة، وتوضع في موقد حجري مستقر على أربع قوائم، ويوقدها الكاهن نهاراً وليلاً، وهم يلقون فيها كميات من البخور، ويضع الكاهن كمَّامة على فمه؛ لئلا يدنِّس النار...

ويتقدَّم المؤمنون واحداً واحداً على عتبة الغرفة؛ حيث النار المقدسة، بعد خلع أحذيتهم، وغسل الأجزاء المكشوفة من أجسادهم، ويتلون «الغاثا» القديمة، التي لا يعرفون معناها عموماً، لا هم ولا الكهنة، الذين يحفظون في ذاكرتهم كثيراً من المقاطع الآفستا، وعلى العتبة، يتناول الكاهن من المؤمن تقدمته التي هي قبضة من البخور ومبلغ من المال.... ويناوله حفنة رماد صغيرة من الموقد المقدس، يمسح بها جبينه وأجفانه.

الحج

ويحج الزرادشتيون إلى معبد النار في مدينة باكو في «أذربيجان»



«أهم أماكن العبادة للزرادشتيين»

قِبلَتُهم:

وقبلة الزرادشتية أثناء أدائهم للصلاة والطقوسات الدينية هو الاتجاه إلى النار، لأن النار تدخل - بشكل أساسي - في عبادات الزرادشتية؛ لأنها مصدر للنور الذي يجب عليهم الاتجاه إليه، ولأنه قبس من نور «أهورامزدا».

يقول السيد رستم شهرزادي عن ذلك: [إن ما نفعله هو أننا نتجه للنار - في بعض الأحيان - باعتبارها تمثِّل النور الذي نعتقد بأنه انعكاس أو مظهر من مظاهر الله، فنحن - في الحقيقة، وعندما نتوجه لعبادة الله - نتجه إلى النور بأي شكل كان، ففي النهار تكون قبلتنا الشمس، وفي الليل القمر أو النجوم أو أي ضياء كان، ومنها النهار طبعاً، حيث نعتقد أن نور

جميع هذه الأشياء يمثِّل النور الإلهي، فالمهم - إذن - أن نتجه لأي مصدر للنور مهما كان شكله أو حجمه كقبلة لنا، نقدِّسها، ولا نعبدها [1].

إذن؛ القبلة عند الزرادشتية متعددة الأشكال، فكل شيء ينبعث منه نور أو قبس يتجهون إليهفي عباداتهم وطقوساتهم، كالشمس والقمر والنار والنجوم، فالاتجاه إلى هذه الأشياء هو مجرد تقديس، وليست عبادة، حسب زعم شهرزادي.

التَّطهُّر من النجاسة:

إذا وقعت النجاسة على ثوب أحد، أو تنجَّس هو، فعلى المتنجِّس الاغتسال بالماء من رأسه إلى أخمص قدميه، غير أن بعض درجات النجاسة أو التلوُّث تستدعي الاستعانة بالكاهن الذي يقوم بدوره بتلاوة ترانيم مقدسة، ويسير بالمتنجس عبر مراحل تطهيرية متعددة، قد تستمر بضعة أيام.

وتشغل هذه الإجراءات التطهيرية، وكيفية تطبيقها حيِّزاً من برامج إعداد وتدريب الكهنة، الذين يجب عليهم أنفسهم مراعاة أدق وأصعب قواعد النظافة والطهارة [2].

الزمزمة:

أطلق العلماء على الزرادشتية أو المجوس بشكل خاص بأنهم أصحاب الزمزمة، الزمزمية هي كلام المجوس عند الأكل، وهم صموت، لا يستعملون اللسان ولا الشفه في كلامهم، لكنه صوت يديرونه في خياشيمهم وحلوقهم، فيفهم بعضهم عن بعض، وفي حديث عمر كتب إلى أحد عمَّاله في أمر المجوس، قال : هو كلام يقولونه عند أكلهم بصوت خفي، وفي حديث قباث بن أشيم : {والذي بعثكَ بالحق، ما تحركَ به لساني، ولا تزمزمت به شفتاي}، والزمزمة صوت خفي لا يكاد يُفهَم.

---

(1) من قاموس الأديان، مرجع سابق.

(2) العقيدة والقانون في فلسفة زرادشت / كارزان خانقيني/ .

الزرفانيون:

ظهر أخيراً في العصر الساساني جماعة من الزرادشتين، أطلقوا على أنفسهم «الزرفـانيين»، وهذه الجماعة تعتقد بأن الإله واحدٌ، وهو «زُرفـان» {zurvan} الـذي تجـاوزت عظمتـه إلـه النور والظلمة، وكان لهذه الفرقة في تلك الحقبة أتباع كثيرون .

ولعل الزرفانيين كانوا على الحق، وهي الدعوة إلى إله واحد، وخاصة بعدما وجـدوا مـن المتأخرين الزرادشتين التبديل والتحريف الفاحش بعد موت نبيهم زرادشت، حيث اعتقـدوا بوجود إلهين اثنين، وجعلوا من الشيطان وقوة الشر إلهاً، يتمل في قوة الخبائـث، ويتـصارعان لأجل الخير والشر، وهذا ما لم يقله نبيهم، إلى أن أدى الأمر أن قام هؤلاء الزرفانيين وانـشقوا منهم بحجة أن أتباع الزرادشتية حرَّفوا وبدَّلوا دينهم، ونادوا إلى عبادة الإله الواحد، تماما كما انفصل البروتستانت، وانشقوا، وخرجوا على الكنيسة، احتجاجا منهم على صكوك الغفـران التي تمنحها الكنيسة وكذلك القساوسة والرهبان للمسيحيين؛ ليدخلوا بهذه الـصكوك الجنـة الموعودة بعد وفاتهم، فالبروتستانتيون لم يقبلوا هذا الأمر، وعلى رأسهم «مارتن لوثر»؛ حيث رفضوا وحـاربوا صـكوك الغفـران، وكـذلك الـذين يمنحـون هـذه الـصكوك، ومـا حـال الزرفانيين إلا كحال البروتستانت تماماً.

مكانة الزراعة والحيوانات الأليفة في الزرادشتية:

وفي نهاية حديثنا عن تشريعات الزرادشتية نجد مـن الأهميـة أن نتحـدث عـن الزراعـة، وموقف هذه الديانة من الحيوانات عامة، والأليفة منها خاصة.

إن زرادشت قد اهتم بالزراعة، وحرث الأرض، وغرسها؛ لأنها مصدر للعطـاء والـنماء، واعتبر أن العمل الزراعي هو العامل الأول لنهضة الأمة، ولأنها توفِّر للأمة قوتها ونماءهـا في سنين الجفاف والعجاف وشر القحط؛ لأن القحط والمجاعة هما سبب لكبوة الكثير من الأمم وهلاكها، وبالتالي؛ هي الباعث على الإجرام، وإثارة الشهوات في النفوس، وباعث أساسي في نشوب الحروب بين الأمم والشعوب، ومن ثَمَّ؛ كانت الزراعة عامة من أهـم النـواحي التـي

دعا زرادشت أتباعه إلى النهوض بها، والاهتمام بشأنها بقوله: {إن زرادشت سأل ربه عن خير الطُّرُق لإعلاء كلمة دين «مزدا»، فأجابه إنها زراعة القمح، فَمَنْ زرع القمح زرع الاستقامة، ويعين دين مزدا} ، فجعل من زراعة القمح والاشتغال بالأراضي هي بمثابة العبادة لله تعالى، ويُثاب الزارع على عمله، وكأنه يزرع الفضيلة والاستقامة بين أفراد الأمة.

ويقول أيضاً في الآفستا: {حين تبذر حبوب القمح تذعر الشياطين، وحين تنبت تضطرب، وتمرض، وحين ترى سيقانها تبكي} .

بالمقابل؛ حرَّمت الزرادشتية إهمال الأرض، وتركها من غيرزرع، وفرضت إصلاحها.

شجَّع زرادشت على زراعة القمح بعينه؛ لأنه عصب الحياة، ومقوِّم أساسي تقوم عليه الأمم في حياتهم وعيشهم، وربما الشيطان يبغض هذه الزراعة لما لها من الخير والبركة، وحتى على الحيوانات، لأن القمح يجلب السعادة والفرح للناس، وهذا لا يقبله الشيطان.

يقال بأن من أهم الوصايا التي تركها زرادشت بعدما دعا إليها بقوة - علاوة على الاهتمام بالزراعة والعمران واستيطان المدن – أنه دعا إلى الرأفة، لذا؛ يشاع عن الزرادشتيين أنهم لا يذبحون الحيوانات حتى تهرم، وكذلك التعامل معها على أساس أنها كائنات لها أرواح، وخلقها الله لمنفعة الإنسان، وقد أوصى زرادشت إلى العناية بالحيوانات، ولا سيما من الحيوانات الكلب والبقر. ودعا إلى احترام الناس، وعدم الاعتداء على أحد، والرأفة بالضعيف والغريب، واحترام العلاقات بين القبائل والأقوام الجارة.

انتشار الزرادشتيين وتواجدهم:

أهم المدن التي يتواجد فيها الزرادشتيون هي كالتالي: مدينة يزد في إيران، وكذلك طهران وكرمان.

ورحل بعضهم إلى الهند منذ أمد طويل، وبالتحديد في مدينة بومباي قبل ألف عام، ويُسمُّون [البارسيين]، ويُعتبرون من مواطني [الهند]، ويبلغ عددهم فيها الآن قرابة 150 ألف نسمة، ويوجد حوالي 5000 زرادشتي في باكستان، ويتمركزون في مدينة [كراتشي].

أما الجالية الكبيرة؛ فهم متواجدون في إيران في مدن يزد طهـران كرمـان، ولهـم نائـب في البرلمان الإيراني، وجالية صغيرة، إن لم تكن معدومة، تقطن في منطقة آسيا الوسـطى (بلـخ – وطاجاكستان – والتي كانت موطن الزرادشتية في عهـدها الأول، ويُـذكر بـأن عـدد أتبـاع معتنقي هذا الدين يتجاوز إجمالياً 200 ألف بعدد يسير [1].



«النهج الذي يقطع الصحاري والفيافي المؤدِّي إلى معبد للزرادشتية قرب مدينة «يزد»

(1) موقع آفستا أورك / إيران القديمة/ وبعض مواقع ذات الصلة/ إنترنت.



«معبد للزرادشتية بالقرب من مدينة «يزد»

العبادات والتشريعات عند اليزيدية

ذكرنا في المبحث السابق عن بعض الأحكام والتشريعات عن الزرادشتية عندما كانت في مهد عهدها القيمي والأخلاقي، وذكرنا جملة من المعتقدات لدى أتباع هذه الديانة، ومما يلفت البال أن أحكامها تواكب كل التشريعات السماوية من أول سلّم تدريجي في المعتقدات إلى آخر تشريعاتها وفضائل الأعمال فيها، وإذا كله قبل أن يتطرَّق إليهيد التحريف والتبديل.

أما في اليزيدية؛ فقد نجد خلاف كل ما ذكرنا في الزرادشتية، فعندما يتناول الباحث أو الكاتب القلم ليبدأ بالبحث عن الطائفة اليزيدية، وهو يصادف ويصادم جملة من الغموض والتشويش من منشئها إلى منتهاها.

ويزداد المرء غرابة ودهشة عندما يخوض في مجموعة المحرَّمات والمقدَّسات عند هذه الطائفة، لذا؛ سعى السائرون في شعابها، والذائدون عن مقدَّساتها لاستخراج هذا الدين من قوقعته إلى الناس والعالم بوجه برَّاقٍ مشرق، ومحاولة منهم في نفض الغبار عما يحيط به من الغموض والخرافة، وتخصيصها وتمييزها بالأخلاق الحميدة والرصانة، مما ينسبون لها سبق الفضل في هذا المجال الخلقي.

أما الآخرون؛ فيعتبرونها فرقة ضالَّة، زاغت عن جادة الصواب، ومنحرفة عن الحق، وأنها تؤمن بمجموعة من الأوهام والأساطير مما يأباه العقل السليم، وأن هذه الطائفة كلما مر عليها الزمان ازدادت انحرافاً، وازدادت معها عدد الآلهة التي يؤمنون بها.

وعندما يخوض المرء في دروب الحلال والحرام والطقوسات والعبادات لدى هذه الطائفة سيرى عجب العجائب مما دوَّنته النصوص الدينية لديهم، من تقديس لإبليس أو الشيطان، وأنه يحتل مكانة فريدة لدى كل يزيدي، ومستعدون للدفاع عنه حتى لو زهقت أرواحهم جميعاً، وفي متناول هذا البحث سوف أقوم بذكر المقدَّسات والطقوسات عند هذه الطائفة «اليزيدية»، وكذلك حلالها وحرامها.

بادئ ذي بدء، يطيب أن نلخِّص ونتناول الجانب العقائدي لدى اليزيدية، لنكون على بيّنة من أمرهم، هل هم فعلاً موحِّدون لله كما يزعمون؟ أم أنهم يعتقدون ويؤمنون بآلهة متعـدِّدة، في ذاتها، وفي وظيفتها؟

في الجاهلية، كان الناس في الجزيرة العربية يعبدون أصناماً شتى - قبل الإسلام -، وعنـد الاستفسار منهم مَنْ خلق الـسموات والأرض؟ يبـادرون بالإجابـة الـشافية إنـه «الله»، وإذا سألتهم إذا كان الله هو خالق السموات والأرض، فلِمَ تعبدون هذه الحجارة والأصـنام التـي لا تضرُّ ولا تنفـع؟ فيقولـون: ليقرِّبونـا إلى الله زلفـى- أيْ ليكـون واسـطة بيننـا وبـين الله - فالجانب العقائدي في أي ملَّة يقوم على ركن أساسي في بناء لبناتها الأولى،ولنخـوض في غـمار المعتقد اليزيدي.

• الله" والآلهة المتعدِّدة:

يطلق اليزيديون على ديانتهم بأنه دين يقوم على وحدانية خالصة لله تعالى، ولكن الله بعـد أن خلق لنفسه معاونين في إدارة شؤون الكون، بدأ بالتراخي عن إدارة أمور الكـون، وأوكـل هذه المهمة إلى مساعديه في مصحف رش «أي الأسود».

يتحدَّث المتحدِّث في مصحف رش هوا لحاج حسن، وبعضهم قالوا هو الشيخ عدي.

وقال بعضهم بأن ما ورد فيها هو مدسوس، ونُسب زوراً وبهتاناً إلى الطائفة اليزيدية .

جاء في مصحف رش {أول يوم خلق الله فيه هـو يـوم الأحـد ... إلى أن يـصل إلى فخـر الدين .. فيقول : فخر الدين خلق الإنسان والحيوان والطير والوحوش، ووضعهم في جيـب الخرقة، وطلع منها الدرَّة، ومعـه ملائكـة، فـصاح صـيحة عظيمـة عـلى الـدرَّة، فانفـصلت، فصارت أربع قطع، ومن بطنها خرج الماء، وصار بحراً، وكانت الدرَّة مدوَّرة بلا خلل.

إذنْ؛ كتابهم المقدَّس ينسب خلق الإنسان إلى فخر الدين، وكذلك خلق الحيـوان والطـير والوحوش، أظن أن أهل الجاهلية مهما تحدثنا عن وحشيتهم وجهلهم فلم يقولوا قـولاً يـشبه هذا القول، ولا خرافة أبخـس مـن هـذه الخرافـة؛حيث إن مـصحف رش يقـرُّ بـأن الله وزَّع وظائف الخلق والإنشاء على عباده من الملائكة والبشر.

والآلهة المتعددة في اليزيدية كل له عمله ومهمته، من غير أن يحيد عنها، أو يتدخَّل أحد في شأن الآخر، فهؤلاء جملة الآلهة الموجودة عند اليزيدية:

- بير الآفات : إله الفيضان والطوفان.
- محمد رشان : إله المطر.
- أبو بكر : إله أمراض الفم.
- الشيخ حسن : إله الروماتيزم.
- ناصر الدين : إله الأمراض الجلدية.
- غفور الطرق : الإله المسؤول عن سلامة المسافرين، وتأمين راحتهم خلال السفر.
- خاتون فخران : إله الولادة عند النساء [1].

فهؤلاء السبعة ليسوا ملائكة، بل هم آلهة يديرون شؤون الكون نيابة عن الله، منهم مَن ينـزل الأمطار، ومنهم مَن يستر ويحمي اليزيدي من حوادث الطرق وبلائها، ومنهم مَن يشفي المصابين بالأمراض من الطائفة اليزيدية، ومنهم مَن يقوم بتسهيل عملية الولادة لدى نساء اليزيديات .

أما قصة خلق الملائكة، وأن الله خلق كل شيخ من مشايخ اليزيدية ما هي إلا انعكاس من نور الملائكة أتوا إلى الأرض، ويصفونهم بصفات الألوهية. فقد جاء في كتاب الجلوة الذي أورده الباحث سعيد الديوه جي بأن هذه النصوص ذات صلة وثيقة بالاعتقاد اليزيدي بأن شيوخهم خُلقوا من نور الملائكة، وما عدي بن مسافر إلا صورة يعكس ملك طاووس، فقد ورد في الفصل الثالث من الباب الثاني ما يلي :

خلقت من عكس نور (طاووس ملك) الشيخ آدي، ولما حان وقته ظهر في هذه الدنيا، وأخذ بيده رئاسة الأنبياء. ومن عكس نور الملك جبرائيل خلق «زرادوش» النبي، وقد ظهر في مكان بالقرب من لالش.

ومن عكس نور الملك إسرافيل خلق (الشيخ شمس الدين)، الذي طلع كالشمس، وانتشر شعاعه ونوره في جميع الدنيا.

---

(1) نزار أغري، المرجع السابق.

ومن عكس نور الملك شامنائيل خلق (الشيخ أبو بكر)، وأخذ السبحة، واتكأ على عصا الطاعة. وخلق من عكس نور الملك دردائيل (سجادين) الذي ظهر في مدة قصير في لالش؛ حيث قضى نحبه.

ومن عكس نور الملك نورائيل خلق (ناصر الدين)، وفي زمانه عمرت «الداسن» من أدناها إلى أقصاها، وعمت الديانة ديارها.

ومن عكس نور الملك مكائيل خلق (فخر الدين)، وبشَّره بدوره الداسانيون، وهم آمنوا به، يظهر «شرف الدين» من داسن العليا.

وتعتقد اليزيدية في وقتنا الحاضر أيضاً أن ملائكتهم تهبط دورياً إلى الأرض كي يسنُّوا قوانين جديدة للأمم، وفي كل مدة ألف سنة، يستولي على الأرض أحد الملائكة السبعة، ويبين آيات وقوانين للأمة اليزيدية وباقي طوائف العالم، ثم يصعد مكانه إلى بيت المقدس، وأغلب الملائكة الذين تحوَّلوا إلى أشخاص تركوا خلفاء في الأرض، فشكَّلت ذرِّيَّتهم عائلاتهم الشيوخ [(1)].

الخلق والتكوين

أما قصة الخلق والتكوين عند اليزيدية؛ فيتم تصوُّرها على الشكل التالي، كما جاء في كتابهم مصحف رش.

في البداية، خلق الله الدرة البيضاء من سرّه العزيز، وخلق طائراً اسمه «أنغر»، وجعل الدرة فوق ظهره، وسكن عليها أربعين ألف سنة.

فيأتي ترجمة هذا النص اليزيدي على لسان رئيس القوَّالين شيخ اليزيدية سليمان سمو سليمان قائلاً: عندنا – حسب اعتقاد الدين اليزيدي – أن الرب خلق الدرة، كان في الدرة أربعين سنة، وبعد ساعة الدرة انفجرت – أي بعد أن مضى أربعين سنة انفجرت الدرة – وجرى فيها ماء والكون كله صار بحراً من الماء اللي جرى من الدرة، والرب خلق قطعة من هالدرة اعتبرها مركب ركب بها، وتسير بالبحر، وبعدين استقر بلالش بمنطقة لالش، ألقى

(1) روجيه ليسكو / اليزيدية/ ترجمة الأستاذ أحمد حسن.

سر بالبحر، سر من سره الكريم، وجمّد البحر صار تراب، يعني فمكان القصر نحنا مقدّس عندنا بلالش، من هالسبب يعني مقدَّساتنا هذا المكان القصر الربي هي عين ... اليزيدي .. عين البيضة اليزيدية ينبع من ماءه، كل يزيدي يتعمد بها حسب اعتقادهم، بعد أن انفجرت تلك الدرة أصبح وجه الأرض كلها ماء، ثم أخذ الرب مركباً من الدرة؛ ليسير بها على الماء، إلى أن أتى واستقر في مكان لالش الحالي [1].

ويقول د./ عبد العزيز سليمان «باحث تاريخ اليزيدية» [2] إن الله خلق من نوره سبع ملائكة، وخلق الشمس والقمر، وكذا، ثم يعني كانت درة، نفخ في الدرة، فاحمرَّت، واصفرَّت، وتفجَّرت، وجزء صار منها الشمس، وجزء القمر، وأجزاء متناثرة النجوم، ثم أمطرت .. تكاثفت، وأمطرت، فسقطت الأمطار، فأضحى الكون بحراً عائماً، إلى أن أنزل الله لالش كخميلة، فتخثَّرت الأرض.

اليزيديون من نسل آدم فقط!

وهناك أسطورة يزيدية تقول: يُفترض أن الإله الصانع - أي «ملك طاووس» ساعد الله في خلق آدم، الذي خرج اليزيديون فيما بعد من نطفته، أما كافة البشر الآخرين؛ فأصلهم - طبقاً لأسطورة يزيدية – فهم من اتصال آدم وحواء.

وللمزيد حول هذه الخرافة: فاليزيديون يعتقدون بأنهم من نسل آدم فقط، دون حواء، وبعد مدة من الزمان، لما رأى آدم وحواء أن التناسل يصير بمشاركة الذكر مع الأنثى، فآدم كان يقول النسل هو مني، وهكذا حواء كانت تقول مني، على هذا صار النزاع بينهما، وبعد البحث الدقيق صار الرأي والاتفاق بينهما على أن كل واحد منهما يلقي شهوته في جرة، وهكذا عملا، وختما الجرَّتين إلى مدة تسعة أشهر، وعند نهاية تسعة أشهر فتح آدم جرَّته، فطلع فيها ولدان ذكر وأنثى، واسمهما «شيث وهورية»، ومنهما تناسلت الأمة اليزيدية، ولما فتحت حواء جرَّتها إذا بها دود عفن كريه الرائحة، وسائر الحشرات النجسة، وأنبع الله لآدم

---

(1) مهمة خاصة، قناة تلفزيون العربية، أعد البرنامج الأستاذ / باسم الجمل 20يناير 2007.

(2) المرجع نفسه.

ثديين، وأرضعهما مدة سنتين، ولذا؛ صار للرجل أيضاً أثداء، وبعد هذه، ولدت حواء ولدين ذكراً وأنثى، واسمهما «قاين وقليومة» [1].

وورد في مصحف رش موقع ومكانة «طاووس ملك» عند اليزيدية، ويتحدثون فيه أن الله خلق الملائكة على تتابع، ويصلون إلى القول: {وجعل رئيساً على الجميع طاووس ملك ... وقال الرب العظيم: يا ملائكة، أنا خلقت آدم وحواء، وأجعلهم بشراً، ويكون من سر آدم شهر بن جبر، وأيضاً منه تكون ملة على الأرض تسمَّى ملة عزازيل، أعني «طاووس ملك»، وهي ملة يزيدية. ثم أرسل عدي بن مسافر من أرض الشام، فأتى إلى لالش، ثم نزل الرب إلى جبل الأسود، وصاح، وخلق ثلاثين ملك، وفرَّقهم ثلاث فِرَق، وبدؤوا يعبدون أربعين ألف سنة، ثم سلَّمهم إلى طاووس ملك، فصعد بهم إلى السموات، ثم نزل إلى أرض القدس، وأمر جبرائيل، فجلب تراباً من أربع زوايا الأرض: تراب وهواء ونار وماء، فخلقه، وجعل فيه روحاً من قدرته، وسمّاه، وأمر جبرائيل أن يدخل آدم إلى الفردوس، ويأمره أن يأكل من كل الشجر، و فقط الحنطة لا يأكل.

ثم بقىماية سنة، فقال طاووس ملك لله: كيف يكثر آدم ؟ وأين نسله، إن لم يأكل من شجرة الحنطة؟

قال له الله: الأمر والتدبير سلَّمته بيدكَ، فجاء طاووس ملك وقال لآدم: أكلتَ الحنطة؟ فقال آدم لا، لأن الله نهاني.

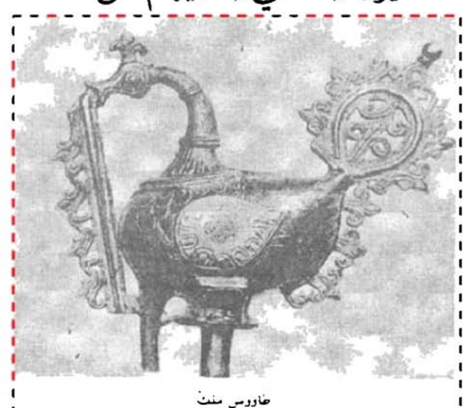
فقال طاووس ملك:كُلْ حنطة، حتى يصير لك أحسن. فأكل آدم الحنطة، وحالاً انتفخت بطنه، فأخرجه طاووس ملك من الجنة، وتركه، وصعد إلى السماء، فتضايق آدم من نفخ بطنه، ليس له مخرج...}.

---

(1) نزار آغري،الشيخ عدي والملك طاووس ورجيه ليسكو، اليزيدية.

ملك طاووس "الشيطان":

الشيطان أو ملك طاووس يأخذ حيزاً مهماً لدى أتباع اليزيدية، ينظرون إليه نظرة إجلال وتقديس، بل يُعتبر المنقذ الأوحد لأتباع هذه الطائفة، وأنه لم يأت إلى هذه الدنيا إلا لمهمة خاصة، كي يميز ويفهّم أحكاماً لليزيدية، كي ينجيهم من الضلال والوهم.


طاووس ملك

لنتقصى مكانة الشيطان ومقامه لدى اليزيدية، فقد انفض غاضباً وانتقد عضو في الجمعية الوطنية العراقية (البرلمان) من الطائفة اليزيدية السيد/ كاميران خيري/ رئيسَ الوزراء العراقي «إبراهيم الجعفري» لتكراره عبارة {أعوذ بالله من الشيطان الرجيم}، وقال خيري النائب ضمن القائمة «الكردية» إن أكثر من نصف مليون يزيدي في العراق يشعر بالإهانة من كثرة تكرار الجعفري في أحاديثه عبارة التعوُّذ من الشيطان، وقاطع / كاميران/ رئيسَ الحكومة العراقية في البرلمان قائلاً: في كل مرة يقول فيها الجعفري ذلك يلتفت زملائي النُّوَّاب إليَّ وكأنني ممثل الشيطان، لكن الجعفري قال: إنه لا يقصد إهانة أحد بقول العبارة الشائعة الاستخدام بين المسلمين، وإن تكرارها لا يعني «إهانتكم أو بقصد استفزاز الأقلية اليزيدية» [1].

فاحتجاج هذا النائب لم يُولد من فراغ، صحيح أنهم لا يعبدون الشيطان بشكل مباشر، أي لا يبيحون بالقول إنه هو خالقنا فقط، ولكنْ؛ يقدِّمون له القرابينوالصدقات... ويعتبرونه رئيساً للملائكة جميعاً، وأن الله أوكل إليه تدبير وإدارة الكون؛ حيث ورد في كتابهم (الجلوة) في مقدمتها الموجود قبل كل الخلائق هو ملك طاووس.

---

(1) bbcarabic.com الموقع الإلكتروني تحت عنوان (نائب يزيدي يحتج على تعوُّذ الجعفري من الشيطان) / 26/ 8/ 2005.

والحال أن الشيطان أو ملك طاووس يكتسب لدى اليزيديين مكانة سامية، ترفعه إلى مصافّ الآلهة، فيُعبَد، وتُقدَّم له القرابين، وتُقام له الصلوات، ويُؤتى من أجله الصيام، وفي أحيان يحتل طاووس الملك مكانة إله السماء والشمس ورئيس الملائكة في آن واحد، و ولكن اليزيديين – على ما يبدو – أسخياء في عبادتهم، وهم لا يتردَّدون في تقديم فروض العبادة لنفر من الآلهة [1].

تأملوا في النص الوارد في «مصحف رش» الذي يضع الشيطان في لب ضمير ووجدان أتباع اليزيدية [ما يجوز لنا أن نلفظ كلمة شيطان؛ لأنه اسم إلهنا]، فهل بعد هذا التصريح بأنه إلههم يبقى شك في مكانة وموقع الشيطان عندهم؟! إنه إلههم، لا يجوز الإشارة إليه بلفظ الشيطان، لكن؛ قل «طاووس ملك». إنه يعتبر إلهاً من الآلهة المتعددة، وعلى الفرد اليزيدي أن يسعى جاهداً للقرب منه، ونيل من رضائه وعفوه، إنه «ملك طاووس»، فهو معهم في صورة تمثال يرافقهم في حِلِّهم وترحالهم، ويقدم له القرابين والمال والنفس والنفيس في سبيل ابتغاء مرضاته، ويتم تصويره بشكل تمثال صغير «البرونزي» على صورة [ديك] يرمز إلى معبودهم، ويحمله القوَّالون معهم، ويجولون به بين القرى اليزيدية لجمع الأموال والهبات والتبرُّعات.

ويطلق على تمثال ملك طاووس [السنجق] تعني الراية أو العلم،وهي كلمة تركية، ويبذلون قصارى جهدهم كي لا يقع السنجق في أيدي المسلمين، وعندما يرى القوَّال نذر الخطر أمامه، لا يسعه إلا دفن تمثال الطاووس النحاسي، وعند زوال الخطر يأتي القوَّال نفسه لاستخراجه من الحفرة، ليضعه في مكان أكثر أمناً .

المراحل التي يمرُّ فيها السنجق:

وعندما يحلُّ القوَّال في ضيعة أو قرية يزيدية وبرفقته الطاووس البرونزي – أي «السنجق» – فحامل السنجق يجب عليه أن يمرَّ بعدة مراحل إجبارية، قبل أن يستقرَّ في آخر نقطة له.

المرحلة الأولى: يمضون بالسناجق – تمثال الطاووس ملك – إلى مرقد الشيخ عادي؛ حيث تتمُّ مراسم مباركتها وتعميدها بالمياه المقدسة «النبع الأبيض» مع تراتيل مترافقة برقصات دينية قوية، ويغلب عليها طابع الانفعال الشديد.

---

(1) نزار أغري، المرجع السابق.

المرحلة الثانية: وفيها يأخذ كل واحد من هؤلاء المتضمِّنين(الملتزمين) حملاً من تراب الشيخ عدي، فيُعجن ويُقطع إلى كريات صغيرة بقدر الحبات «الحمص»، ويحملونها معهم في السناجق بغية تقديمها لليزيديين للتبرك، ويُطلق عليها «البراتة» المقدَّسة.

المرحلة الثالثة: وفي هذه المرحلة، وعند اقتراب حامل السنجق من مدينة أو بلدة أو قرية يزيدية، يرسل أمامه منادياً لكي يستعد الناس لاستقباله كما ينبغي، بالإكرام والتبجيل، فيخرج الجميع للقائه بالثياب الجميلة الفاخرة مع البخور والعطور، وتقابله النساء بالزغاريد، وتنفخ المزامير رمزاً للفرج والسعادة.

المرحلة الرابعة: وفيها عند دخول السنجق إلى أحد البيوت تجري «مزايدة العشر» لأكبر ما يمكن من التقدمات والهبات والتبرعات، كل حسب إمكاناته، ومن ترسو عليه المزايدة يدعو السنجق المعظَّم إلى داره، فينصبه في أبرز موضع متكأ على مساند...

أما عن استقبال طاووس ملك في آخر مأوى له؛ فتُقدم إليه أنواع من الطقوسات والعبادات في المدح والثناء عليه، وتُسرج حوله الشموع، ويجلس القوَّالون عن يمينه وعن شماله، فيرتِّلون الأناشيد الدينية الخاصة، ومعهم البيرة، يباركون الزائرين بحسب دراجاتهم، ولا ينقطع قرع الطبول والعزف والشبّابات خلال هذه الفترة.

أما الناس؛ فيتدفقون من جوانب القرية التي حل الطاووس فيها وهم حفاة؛ إذ يحرم عليهم لبس شيء في أرجلهم يوم مجيء الطاووس، فيطوفون حوله سبع دورات، أي بعدد آلهتهم السبعة، وذلك بمنتهى الخشوع والاحترام، واضعين أيديهم فوق صدورهم، ومقدِّمين الهدايا والتبرُّعات والصدقات، كل حسب طاقته، وكثيراً ما يطالب القوَّالون بالمزيد من التبرُّعات، ويحجبون «البراتة» - التراب المأخوذ من مرقد الشيخ عدي - المقدسة عن الزائرين، حتى يقدموا ما يرضيهم من الصدقات والخيرات.

وبعد ذلك فقط يسمح لهم بشرب الماء من إناء الطاووس، ويسمُّونه «طاسة السنجق»، أو (شريكة الطاووس)، وتناول الطعام على مائدة صاحب الدار الذي تشرّف باستضافة «السنجق» المعظَّم، حتى إذا تمت طقوس الزيارة، فصلوا السنجق قطعاً، ووضعه في كيس

يسمُّونه «هكبة» ويُظن أنها محرَّفة من كلمة حقيبة، وينتقلون إلى قرية أو منطقة أخرى [1] ... وهكذا، ولليزيدية اليوم سبعة سناجق، ترمز إلى عدد آلهتهم المعبودة، وكلها واحدة ممثلة لطاووس ملك.

ويأتي طقس زيارة السنجق للقرى اليزيدية في الشهر المقدس (نيسان) المقدس لدى اليزيدية، ولهذا؛ فإن السنة تبدأ عند اليزيدية منذ أول يوم أربعاء من أول أسبوع من شهر نيسان؛ حيث يكون اليوم المذكور بداية للسنة اليزيدية، وعيداً يسمَّى عيد رأس السنة، ويدعونه (سر صالي)، أو في شهري أيلول وتشرين الثاني، مثالاً للفرح حين تجد اليزيدية على بساطتهم يساهمون باستقبال الرمز الديني (طاووس ملك) يصاحبه نقر بالدفوف ونغمات المزمار وأناشيد القوَّالين المصاحبين لقدومه؛ حيث يتم جمع الصدقات والنذور لرجال الدين، وتقام الولائم والسرادق للتبرُّك وزيارة هذا الرمز، وغالباً ما تلجأ أغلب الأديان والمذاهب إلى اعتماد الرمزية في العديد من طقوسها وأعرافها وتقاليدها، وتعم البهجة والفرح في قلوب أهل القرية والمكان الذي وصله السنجق، وحين يحل ضيفاً على أحد البيوت، وغالباً ما يكون من بين المتمكِّنين مادياً تنتشر البهجة والسرور، ليس - فقط - في قلوب أهل البيت والقرية، وإنما تعم ذلك، لتشمل القرى المجاورة التي يتقاطر أفرادها على شكل مجموعات للزيارة والتبرك والتبرع بالمال [2].

تقديس (طاووس ملك) يتم بهذه الصورة الغريبة، ففي اعتقادهم أن هذا السنجق - المعمول على هيئة الديك - سيجلب لهم السعادة والسرور والبنين والحفدة والرزق، لذا؛ فهم لا يبخلون بتقديم أنواع من الهبات والعطايات للسناجق، والطريف في الأمر أن القوَّالين يطلبون دائماً تقديم المزيد من العطايا من أناس ربما لا يملكون قوت يومهم، وربما علّم الفقر والفاقة تجاعيد عريضة في جباه رجالهم من أثر الكد والعناء في سبيل تأمين قوتهم اليومي، والباذل الأكثر هو الذي يحظى بشرف استضافة السنجق في داره، ثم يبرِّرون أفعالهم

---

(1) اليزيدية واليزيديون، د./ خلف الجراد.

(2) اليزيدية حقائق وخفايا وأساطير، / زهير كاظم عبود/ .

وطقوساتهم هذه قائلين: نحن لا نعبد الشيطان، فهل لهذا التقديس في منظور اليزيدية خلفية غير العبادة يستندون ويرتكزون عليها ليبرروا للناس هذه الهالة وهذا التقديس.

ويُذكر بأن سبب تقديس الشيطان يعود إلى شيئين اثنين سنذكرهما لاحقاً.

بالإضافة إلى تمجيد الشيطان عن طريق توقير التمثال الذي يرمز له، يبجِّله اليزيديون عظيم التبجيل أثناء الحديث عنه، وذلك بالإشارة إليه بـ«ملك طاووس» أو الملك الجبار، إنهم لا يذكرون أبداً اسمه الحقيقي «الشيطان»، كما أن أي إشارة له من هذا القبيل يعتبرونه طعناً في إلههم وملكهم، وجرحاً لمشاعرهم، لذا؛ يتفادون كل كلمة قد تشبه ولو جزئياً بنطق الشيطان، مثل الشط، فإنهم يقولون الماء الكبير، أو بدلاً عنها ينطقون الشط بالكردية، والدعائم لهذا التقديس هو ما جاء في «مصحف رش» [ما يجوز لنا أن نلفظ كلمة الشيطان؛ لأنه اسم إلهنا، ولا كل اسم يشابه ذلك؛ مثل قيطان، و شط، وشر، ولا لفظة ملعون، ولا لعنة، ونعل، وما أشبه] .

وإذا تلفَّظ أحد المسلمين بـ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فواجب اليزيدي الذي سمعه أن يقتل القائل، وإن لم يتمكَّن منه، فعليه أن يقتل نفسه تعبيراً عن رفضه لما سمع، وإن لم يفعل؛ أي لا قتل القائل ولا قتل نفسه، وسكت، صُنف عندهم كافراً.

لكنْ؛ لم كل هذه الخوف من الشيطان؟! بل لم كل هذا الولاء لملك طاووس وطلب القرب منه بخلاف كل الأديان؟!

يقال: في معركة كربلاء في عهد يزيد بن معاوية، حيث قُتل فيها الحسين بن علي وكثيرون من آل البيت رضي الله عنهم، أخذ الشيعة يلعنون يزيد بن معاوية، ويتهمونه بالزندقة، وشرب الخمر. وبعد زوال الدولة الأموية، بدأت اليزيدية على شكل حركة سياسية، أحب اليزيديون يزيداً، واستنكروا لعنه بخاصة، ثم استنكروا اللعن عموماً، وقفوا أمام مشكلة لعن إبليس في القرآن، واستنكروا ذلك أيضاً، وعكفوا على كتاب الله «القرآن الكريم»يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن أو لعنة أو شيطان أو استعاذة، بحجة أن ذلك لم يكن موجوداً في أصل القرآن، وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين، ثم أخذوا يقدِّسون إبليس الملعون في القرآن.

يحكى عن الشاعر الروسي «بوشكين»: أنه في إحدى رحلاته التقى بقافلة من المِلَّة اليزيدية، وبعد ما تم التعارف بينه وبين زعيم القافلة سأله بوشكين وهما يتجاذبان أطراف الأحاديث :

إنكم تنفرون من ذِكْر اسم «إبليس، »وتغضبون إن ذكره أحدهم بسوء، فهلا تفضلتم فأثلجتم صدورنا بتبيان ذلك المهم؟

فقال له الزعيم: ذلك أمر هيّن. إننا نستاء جراء ذلك، ونكرهه، ونكره أن يتناوله أحد بالتجريح والإيذاء، إنه أمره واضح وجلي، وليس من أحد يجهله، فقد طُرد من رحمة ربه، وألمت به العقوبة، وساءت حاله بعد ذلك العز الهائل والمجد الرفيع، وأُبعد عن النعيم، فهل ينبغي أن نضيف نكالاً إلى نكاله ؟ لا ريب أننا نفعل ذلك من باب الإشفاق عليه والرأفة به، ونربأ بأنفسنا أن نكون قساة أو طرفاً في معادلة قد حُسمت، وانتهى أمرها، ومن الخير لنا ألا ندسَّ أنوفنا في شيء لا مشيئة لنا فيه، ولا نستطيع فيه تغيراً ولا تبديلاً [1].

لو سلمنا بأن كلام الزعيم لا غبار عليه من ناحية الصواب، وأنهم لا يدسُّون أنوفهم في شيء لا إرادة لهم فيه، وأنهم يشفقون عليه، لكنْ؛ لم هذا الدفاع العنيف عن «إبليس» إذا ذكره شخص بالشيطان، فعلى اليزيدي الذي يسمع هذه اللفظة قتل القائل، أو قتل نفسه، أو يعتبر اليزيدي كافراً لأنه سكت على منكر، هذا من ناحية، والأخرى إذا كنتم تشفقون عليه اتركوه وشأنه، وهل الشيطان خوَّلكم الدفاع عنه؟ ولم القول بأنه إلهكم، وإنه يدير أمور الكون، وإنه خلق كذا وكذا؟ ولم تقدِّمون له القرابين والطقوسات؟ ولم تسعون في القرب منه؟ ولم تعتبرونه المنقذ الوحيد للطائفة اليزيدية؟

وترجع فلسفة هذا التقديس لأمور أيضاً:

- لأنه لم يسجد لأدم، فإنه بذلك - في نظرهم - يعتبر الموحِّد الأول الذي لم ينس وصية الرب بعدم السجود لغيره، في حين نسيها الملائكة، فسجدوا لآدم، وكان هذا مجرد اختبار، وقد نجح إبليس في هذا الاختبار، فهو بذلك أول الموحِّدين، وقد كافأه الله على ذلك بأن جعله طاووس الملائكة، ورئيساً عليهم.

---

(1) اليزيديونشأتهم وعقائدهم وكتابهم المقدس لـ/ توفيق الحسني/ .

- أو يقدسونه خوفاً منه؛ لأنه قوي إلى درجة أنه تصدَّى للإله، وتجرَّأ على رفض أمره.

- ويقدسونه كذلك تمجيداً لبطولته في العصيان والتمرُّد. بالإضافة إلى أن الله كريم وغني عن العالمين، فذاته ليس بحاجة إلى عبادة البشر، وإنه رحيم بعباده، فليس هناك سبب ما يدعو إلى القلق والخوف منه - جل جلاله - وبالتالي؛ يجب عبادة الشيطان لدحره واتقاء شرِّه.

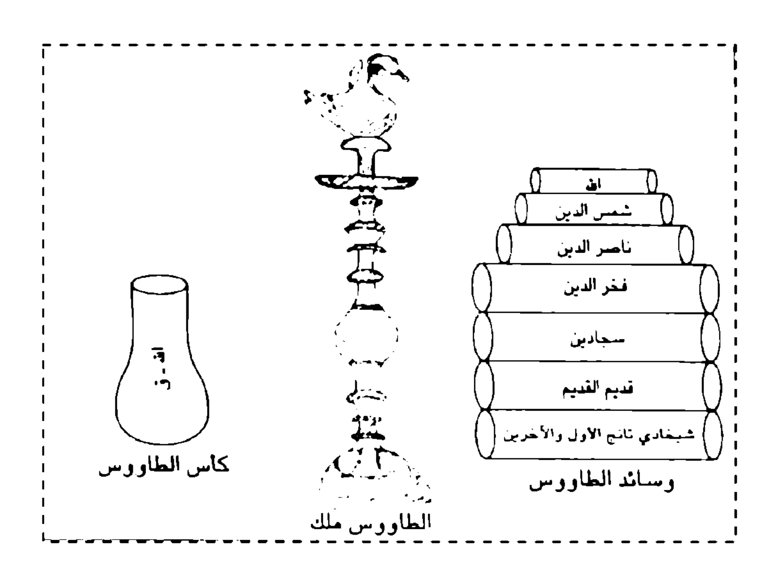
- وأغوى إبليس آدم بأن يأكل من الشجرة المحرَّمة، فانتفخت بطنه، فأخرجه الله من الجنة، وإن إبليس لم يُطرَد من الجنة، بل إنه نزل من أجل رعاية الطائفة اليزيدية على وجه الأرض.

ويبلغ عدد السناجق سبعة، يحمل كل منها خاصاً، وحسب قول إسماعيل بك كانت السناجق في السابق تخصُّ الملك سليمان، ثم مختلف الملوك اليزيدية، ومن بينهم الملك يزيد، ثم يقول المؤلف [1] : لم نتمكن من الحصول على إثبات لهذه الرواية، بل إن مخبرينا لم يكونوا سمعوا بالملك سليمان، وإن أغلب هذه التماثيل حالياً بحوزة أمير الشيخان، وهي محفوظة في مرقد الشيخ آدي، وهناك تماثيل أخرى «على الأقل ثلاثة » الاثنان اللذان بحوزة جميل آغا، والثالث الذي يحرسه رئيس الأئمَّة في سنجار «pêsmam».

يا لتعاسة حظ هذه الطائفة، يبدو أنهم غير محظوظين، حتى لو ذهبوا إلى دول الغرب والشرق، فسيجدونهم ضدهم وضد ملكهم الطاووس المقدس، لأن كل الأديان والمعتقدات جاءتلمحاربة قوى الشر المتمثلة في الشيطان، الغرب والشرق من أقصاه إلى أدناه يلعنون الشيطان، ويسعي لإعلان الخصومة معه، وهذا من أساسيات كل الشرائع، ويقابله التقرب إلى الله، وحتى الذين كانوا يعبدون الأصنام نجدهم يتذرعون بالقول ليقرِّبوهم إلى الله، وليس إلى الشيطان، إلا اليزيدية جاءت لتقرِّب من الشيطان وعبادته، بغض النظر عن مفهوم تقرُّبهم هل هو حب له؟ أم اتقاء لشره؟

---

(1) هو روجيه ليسكو في كتابه / اليزيدية / في سورية وجبل سنجار. ترجمة الأستاذ أحمد حسن.



الهيئة التي يستخدم فيها «طاووس ملك»أثناء الجولة بالسناجق وبجانبه «طاسة السنجق» أو (شريكة الطاووس)

العريضة اليزيدية المشهورة:

ولكي نقف على حقيقة اليزيدية مع ملك طاووس وموقفهم من الشيطان، خير دليل على هذا ما ورد ضمن العريضة التي قدَّمها رؤساء ومشايخ الطائفة اليزيدية إلى السلطان العثماني كي يعفيهم من الخدمة العسكرية «الإلزامية» بواسطة المشير رؤوف باشا والي بغداد في 28/ شباط / 1872، واليكم أهم البنود الواردة في العريضة [1]:

البند الأول: بحسب ديانتنا اليزيدية لازم على كل فرد من طائفتنا كبير وصغير وامرأة وبنت أن يزور طاووس ملك في كل سنة ثلاث مرات، يعني: أولاً من ابتدأ شهر نيسان الرومي إلى آخره.

وثانياً: من ابتداء شهر أيلول إلى آخره.

وثالثاً: من ابتداء شهر تشرين الثاني إلى آخره.

وإذا لم يزر شكل طاووس ملك جل شأنه يكفر.

البند الثاني: كل نفر من طائفتنا صغير وكبير إذا ما زار حضرة الشيخ عدي بن مسافر – قدس الله أسرارهما العالية – في مرة واحدة يعني :

---

(1) هذه العريضة وردت في كتاب / اليزيدية/ لـ سعيد الديوه جي / وسوف ننقل بنودها بحرفيتها كما وردت.

يعني: من خامس عشر شهر أيلول الرومي إلى العشرين بحسب ديانتنا يكفر.

البند الثالث: لازم على كل فرد من طائفتنا في كل يوم وقت طلوع الشمس أن يزور موضع شروق الشمس، بشرط أن لا يوجد واحد من المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك، وإذا ما يعمل واحد منهم ذلك يكفر.

البند الرابع: يلزم على كل فرد من طائفتنا كل يوم يبوس يد أخيه في الآخرة يعني خادم المهدي ويد شيخه ويبره، وإذا لم يؤد ذلك يصير عليه كفر.

البند الخامس: شيء لا يمكن احتماله بحسب ديانتنا. عند الصباح لما تبدون في الصلاة، تبدون تقولون كلام – حاشا- (أعوذ بالله إلى آخره) وإذا سمعها واحد منا يلزم أن يقتل نفس القائل، أو يقتل نفسه، وإلا يصير عليه كفر.

البند السادس: وقت الذي يموت واحد من طائفتنا، إذا ما كان موجود عنده يعني: يا عبد طاووس ملك جل شأنه، لازم تموت على دين معبودنا، هو طاووس ملك جل شأنه، ولا تموت على دين غيره، وإذا جاءك أحد وقال لكَ متْ على دين الإسلام أو دين النصارى أو دين اليهود، أو على أديان غير ذلك من الملل، لا تصدقهم، ولا تؤمن بهم، وإذا صدقت أو آمنت من دون دين معبودنا طاووس ملك جل شأنه، فتموت كافراً.

البند السابع:عندنا شيء يسمى بركات الشيخ عدي، يعني تراب تربة الشيخ عدي قدس سره، لازم على كل نفر من طائفتنا يكون موجود عنده مقدار.

موضوع في جيبه ويأكل منه عند كل صباح ،وإذا ما أكل منه تعمداً يكفر.وأيضاً لما يموت عند قرب الموت إذا لم يكن موجوداً من ذلك التراب المبارك تعمداً يموت كافراً .

البند الثامن: من خصوص صيامنا،كل فرد من طائفتنا إذا كان أن يصوم، يلزم يصوم في محله، لا في غير محل، من سبب كل يوم من أيام الصيام

في وقت الصباح يروح إلى بيت شيخه، ويبره، يمسك الصيام. ثم وقت الإفطار يلزم أيضا يروح إلى بيت شيخه ويبرُّه ويفطر على الخمر المقدس، مال ذلك الشيخ أو البير، وإذا ما شرب مقدار قدحين ثلاثة من ذلك الخمر، صيامه غير مقبول، ويصير كافراً.

البند التاسع: إذا واحد من طائفتنا سافر إلى غير محل، وبقي هناك سنة كاملة ، وبعده رجع إلى محله، ذلك الوقت تحرم امرأته عليه، وما أحد منا يعطيه امرأته، وإذا واحد أعطاه يكفر.

البند العاشر: إذا واحد من طائفتنا عمل قميص أو لباس جديد من غير ما يعمده في الماء المبارك الموجود في حضرة الشيخ عدي قدس سره، ما يمكن يلبسه، وإذا لبسيه كفر.

البند الحادي عشر: من خصوص ملبوسنا مثل ما ذكرنا في البند الرابع ،على أنه كل فرد من طائفتنا له أخو الآخرة، أيضاً له أخت الآخرة، فبناء على ذلك واحد منا إذا أراد أن يعمل له قميص جديد، يلزم أن المذكورة أخته الآخرة تفتح زيقه [1] بيدها، أي ذلك القميص، وإذا لم تفتح في يدها زيقه إذا لبسه يكفر.

البند الثاني عشر: لباس الحكلي [2] ما نقدر نلبسه قطعاً، وفي مشط المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك ما نقدر نمشط رأسنا أبداً. ولا في موس الذي يستعمله غيرنا نحلق رؤوسنا فيه. إلا إذا أردنا أن نغسله في الماء المبارك الموجود في حضرة الشيخ عدي قدس سره. ذلك الوقت إذا حلقنا رؤوسنا فيه جائز. وإذا لم يكن مغسولاً في ذلك الماء المبارك، وحلقنا رؤوسنا نكفر.

البند الثالث عشر: كل نفر يزيدي ما يقدر يدخل إلى الطهارة [3]، ولا يروح إلى الحمام، ولا يأكل في معلقة [4] مسلم، ولا يشرب في شربة [5] المسلم أو غيره من الملل السائرة، وإذا دخل الحمام أو الطهارة أو أكل أو شرب في معلقة المسلم والذين ذكرناهم يكفر.

البند الرابع عشر: من طرف [6] الأكل كثير فرق بيننا وبين سائر الملل : لحم السمك، ومثل القرع والبامية والفاصوليا واللهانة والخس ما نأكله، حتى مكان التي مزروع فيها خس ما يمكن أن نسكنها. فبقى إذا كان هكذا حال طائفتنا ما يمكن أن نخالط مسلم أو نصارى أو يهود أو غيرهم من الملل، من دون عبي طاووس ملك جل شأنه.

---

(1) زيقه : جيبه، أي فتحة القميص.

(2) أزرق.

(3) لمرحاض.

(4) - ملعقة.

(5) كوز.

(6) من خصوص.

فكيف يقبل إنصاف الدولة العلية دامت إلى يوم القيامة، أن تلزمنا بإعطاء النفرات على موجب القانون، مع أنه قد أعطت الحرية إلى جميع رعاياها أن يقضوا ديانتهم في كمالها. فبقى رعيتكم قد أفدنا [1] إلى حضرتكم عذرنا والمرحمة والإنصاف لكم. ونحن على كل حال مطيعين أمر الدولة العلية، وإلى أمر حضرة مشيرنا ووالينا الأضخم حفظه ربنا المعظم، فبقى نرجو من إحسانكم أن تقدموا هذه أعذارنا إلى حضرة مشيرنا ووالينا المشار إليه، لكي يسير معلوم عند حضرته، ويعملنا بحسب إنصاف ومرؤة الدولة العلية، لا زالت دائمة، وظلها على رعية آمين. والباقي الأمر لمن له الأمر أفندم.

21 ذو الحجة سنة 1289

رئيس طائفة يزيدية

أمير شيخان: حسن

شيخ روحانية طائفة يزيدية

ناحية شيخان: شيخ ناصر

كاباره قريه سي مختاري كوجك قاسو

خورزان قرية سي مختاري

نعمو والد حسين

سينا قريه سي مختاري

عبدو ولد شيرو

باقرصه قريه سي مختاري

علي ولد إبراهيم

عين سفني قريه سي مختاري

كركو ولد علي

بعشيقه قريه سي مختاري

جمعة ولد فهد

(1) شرحنا.

قصر يزدين قريه سي مختاري

شيخ حيدر

خوشابا قريه سي مختاري

اليأس ولد مصطفى

كبرتو قريه سي مختاري

طاهر ولد سعدون

كرى فحم قريه سي مختاري

صغو ولد داؤد

مام رشان قريه سي مختاري

مختار بير سليمان

موسكان قريه سي مختار

مراد ولد سودد

حتاره قريه سي مختاري

أيوب ولد شير

خانك قريه سي مختاري

عثمان ولد جولو

بيبان قريه سي مختاري

حسين كوراني

دهكان كبير قريه سي مختاري

حسن ولد عرب

التقمُّص [1] أو تناسخ الأرواح

اليزيدية تعتقد أن الروح خالدة ومتنقلة من جسد إلى جسد آخر، فهم يعتبرونها أبدية سرمدية، وظيفتها الانتقال من شخص لآخر، وقد تنتقل إلى حيوان مفترس، أي أن الإنسان عندما يموت تفارق روحه جسده، وتنتقل إلى كائن حي آخر، ولا يلزم أن يكون هذا الكائن إنساناً، فقد ينتقل روح الإنسان إلى حيوان أو حشرة أو خنزير أو كلب... ويتم الحلول وفق أعماله، فإن كان صالحاً فيحل جسده، ويتقمَّص إلى جسد آخر على صورة جميلة، أما إن كان طالح الأعمال؛ فتنتقل روحه إلى الحيوانات والخنازير والوحوش، ويقول في هذا الخصوص «إسماعيل بك جول [2]»؛ حيث يقول:

وإذا يموت واحد من اليزيدية لازم أن يكون عنده كوجك أو شيخ أو بير، فيحضرون له قليل من تراب الشيخ عدي، يضعون منه قليلاً بكفه، وعلى وجهه يمسحون به قبل دفنته، وبعد الدفنة يضعون قليل من بعر الغنم على قبره خوفاً لئلا تأتي الوحوش عليه، ويطالعوه، ويقربون أطعمة عوض روحه، وعوض الأموات، والكواجك [3] يزيِّنون القبور، ويصلُّون لكي يأخذون فضة، ويسهرون على قبر الميت، وبالأحلام والاكتشافات يُعرفون أهل الميت، فإذا صار بعد موته وبأي صورة وشبه أيضاً رجع لهذا العالم مرة ثانية، والأشرار تدخل أرواحهم بالكلب أو الخنزير والحمار والفرَس أو غير ذلك، تتعذَّب مدة من الزمان، وبعد ذلك تدخل أيضاً في جسم البشر، ويوجد منهم يخفون الفضة تحت الأرض حتى إذا رجعوا يطالعوها، فالقوالين والكواجك يبينوا لهم تناسخ الأرواح، ويوجد شكوك ومجادلات كثيرة

---

(1) تقمُّص الروح: قمص الروح: انتقلت من جسد إلى جسد آخر على زعم بعضهم، وهو: جعل الأجساد أقمصة للأرواح تنتقل من واحد إلى الآخر، ويقال تقمَّص «الولاية والإمارة، وتقمَّص لباس العز»؛ أي لبس ذلك كما يلبس القميص.

(2) وهو أحد أمراء اليزيدية في سنجار؛ حيث تحتل عائلة إسماعيل بك المركز الأعلى في حياة اليزيدية السياسية والمدنية، ويسمَّى - أيضاً - بأمير الأمراء، ويتمتع بسلطة واسعة في إدارة أمور الجماعة.

للمزيد حول هذا الموضوع وذاك انظر / كتاب / اليزيدية قديماً وحديثاً، لإسماعيل بك جول، عُني بنشرها الدكتور/ قسطنطين زريق/ .

(3) سنتحدث عنهم عند حديثنا عن طبقات المجتمع اليزيدي.

حول هذه بين الكواجك، والكواجك يعطون معلومات على اكتشافات التي تظهر لهم والجماعة يصدقون ويؤمنون بقولهم خصوصاً الأموات، فالذي يموت عندهم إذا يكون أميراً أو والٍ أو سلطان أو غير ذلك وكان يمشي بالاستقامة والعدالة ويقضي بالحق فهذا يتعالى أعلى من درجته بتناسخ الأرواح، وإذا كان فقيراً أو إذا كان يسلك سلوكاً حسناً كذلك يرتقي إلى درجة أعلى، لكن إذا كانت سيرته غير مرضية وكان شريراً وفاسقاً أو سافك دماء أو لصاً وسارقاً أو غير ذلك من القبايح والفضايع فهذا يدخل بحيوانٍ دنّي حقير مثل كلب أو خنزير أو غير ذلك من الحيوانات النية، وينتقل بتناسخ الأرواح إلى سبعة أجناس، وبعده يظهر بصورة إنسان حقير محتاج إلى القوت اليومي، وما أحد يتصدق عليه بشيء، وإذا كان رجلاً أو امرأة متوسطاً أعني خيره وشره متساويان فهذا بعد موته يدخل بحيوان غنم من الخراف أو المعز أو الغزال إلى أن يكمل حياته ذلك الحيوان وبعده يرجع إلى صورة إنسان لما يكمل مدته المعينة بعد أن ينتقل من حالة إلى أخرى، فالبعض يتنقل سبع مرات من جنس إلى جنس آخر أو من جلد إلى جلد آخر بالترقي إلى أن يصير إلى الغزال أو الخروف وبعده يرتقي إلى فرس أصيل عند أحد الملوك والأمراء، وبعد ذلك يلبس الجسد الإنساني ثانية وهكذا.

إذا كان ذلك الإنسان الميت بحياته زانياً فتنزل روحه إلى الخنزير، وإذا كان كاذباً فإلى جحش حمّال متعب، وهكذا باقي الخطايا، فكل شكل خطيئة لها محل من الحيوانات، وهكذا إذا كان ظالماً تنزل روحه إلى كلب دني صغير.

ومرة أحد القوالين والكواجك كان مدعواً في وليمة وأهل الدار أحضروا أطعمة فاخرة إكراماً لذلك الكوجك المعتبر عندهم، فلما أحضروا المايدة حضر بالباب كلب أجرب حقير، فعندما شاهده الكوجك قام وقدم تلك الأطعمة لذلك الحيوان الحقير، فصاحب الدار والجماعة المدعوين لما رأوا ما عمل الكوجك اغتاظوا بقلوبهم، لكن حرمة للكوجك ما تكلموا شيئاً، فهو فهم ذلك، ودعا صاحب المحل، وقال له: أراك مغتاظ، فأجابه كأن الأطعمة ما كانت لائقة لمقام حضرتك. فأجابه الكوجك : كلا إن الأطعمة للغاية موافقة وأنا ممنون لكن ما تعرف هذا الكلب هذا فلان الفلاني والشيخ الفلاني في الدعوة الفلانية كان قد غضب عليه

وحرمه ومات ودخلت روحه بهذا الكلب ولهذا فقد جاء الآن لما رآني وقد صار ذليلا ويطلب المسامحة، ،أنا أحله من هذا محله، لذلك قدمت الأطعمة، عند ذلك لما سمع الحاضرون هذا الكلام فرحوا جميعهم وقدموا له أطعمة أخرى، التي قد هيئوها بعد تلك الأطعمة.

وإذا مات ولد لا يعرف الخير والشر فيبقى أربعين يوماً في جنة شداد بن عاد، وبعده ترجع روحه إلى البشر إن كان ذكر فبذكر وان أنثى فبأنثى.

كذلك ومن مات سارقاً تنزل روحه إلى هرة، وإن مات قلبه شكل ولسانه شكل تنزل روحه إلى بقرة أو ثور يفلح الأرض بالفدان حتى كل وقت يكون قلبه متعب، ومن مات خاين فتحل روحه بثعلب ومن مات متعنتاً تدخل روحه بحية دائماً يخاف ويحب أن يبقى داخل الأرض، وهكذا كل نوع من الخطايا لها حيوان صاحب تلك الخطية يتعذب بداخل ذلك الحيوان إلى أن يترقى أول فأول إلى أن يصير ويرجع إنسان.

تناسخ الأرواح ليس نظرية جديدة على العالم، بل هناك فلاسفة وحضارات كانت تعتقد بهذه النظرية، وأن الإنسان أو الحيوان عندما يفقد الروح فإن هذه الأرواح تدخل إلى جسم كائن حي عن طريق التقمُّص، وثمر التناسخ عند هؤلاء يؤدي إلى ميلاد كائن جديد لم يكن موجوداً من قبل أن يفقد الأول روحه، ولكن الأمر مختلف عند اليزيدية تماماً؛ حيث إن الكواجك يراقبون الأرواح، ومن خلال هذه المراقبة يدركون روح الميت إلى أي صنف حل، كالكلب والخنزير والفرس والغنم...، ومن ثم أصحاب الأعمال الشريرة يأتون إلى الكواجك بعد أن تتحول أرواحهم إلى الحيوانات الدنيئة، ليعذروا منهم، حتى يعفو ويصفح عنهم، لينتقل أرواحهم إلى درجة أرقى، كما حدث مع الكوجك الذي حل ضيفاً على ذلك البيت، فقدموا له الأطعمة، ثم قدم طعامه إلى كلب حضر على عتبة الباب.

الخرافة في اليزيدية تبلغ ذروتها، والفاجعة أن هؤلاء المساكين البسطاء يتقبَّلونها بصدر منشرح رحب.

البراءة أو البراته:

على كل يزيدي أن يحمل في جيبه كرة مصنوعة من تراب مأخوذ من زاوية الشيخ عدي بن مسافر للتبرُّك بها، وذلك على غرار التربة التي يحملها الشيعة الجعفرية، وإذا مات اليزيدي توضع في فمه هذه التربة، وإلا مات كافراً.

على كل يزيدي أن يحمل تلك الكرة في حلِّه وترحاله، ويقبِّلها صباح مساء، يشرب ماءها في مرضه «يذوِّبها في الماء»، وإذا ما عقدت عشيرتان متنازعتان الصلح تعطي كل منهما للأخرى «براة» رمزاً للصلح والسلام. وإن استرجاع البراته منهما هو دليل على إعلان الحرب، وإذا علم اليزيدي أن عدواً له يحمل معه براة، فلا يمسه بسوء أبداً، ولا أن يطلبه بثأر [1].

وتراب قبر الشيخ عدي مقدس عندهم، وعلى كل يزيدي أن يتزوَّد منه وقت الحج لقاء مبلغ يدفعه للكوجك، ويحمله معه على شكل بنادق، يستشفي بها إذا مرض، وتوضع في فمه إذا مات. وتُدفن معه في القبر [2].

يجب على كل يزيدي حمل شهادته ولبسها اتقاء للشرور، وتقبيلها بكرة وأصيلاً، وتسمَّى هذه الشهادة بـ(برات) وهي عبارة عن حبة سبحة حجمها يقارب حجم جوز البندق، صنعها القوَّالون من تراب مرقد الشيخ عادي، والماء المقدس يبيعونها للحجاج من اليزيدية عند زيارتهم السنجاق، كما يبيع القوَّالون منهم تراب المرقد على شكل مسحوق أيضاً، ويجوز لليزيدية أكل تلك الحبات، أما التراب المسحوق فابتلاعه شيء لابد منه [3]....

معبد لالش:

يقع معبد لالش في وادٍ ضيق بالقرب من منطقة الشيخان بين ثلاثة جبال تحفُّها الأشجار وعيون من المياه. معبد لالش أو مزار الشيخ عدي بن مسافر لا ينفكَّان عن بعضهما، ويعدُّ المكان الأكثر قدسية لدى الطائفة اليزيدية.

---

(1) من قاموس الأديان، مرجع سابق.

(2) اليزيدية/ سعيد الديوه جي/ .

(3) اليزيدية.. بقايا الديانة الميثرائية / توفيق وهبي/ .

يقال إن معبد لالش بما فيه مرقد الشيخ عدي مثل «مكة» التي يحجُّ إليها المسلمون، أغلب اليزيديين بما فيهم معظم الباحثين يقولون: إن المعبد أخذ قدسيته من مرقد الشيخ عدي، الذي يعتبر نبي اليزيديين، الذي دُفن في المعبد، ولُف قبره بقماش حريري أخضر اللون نُقش عليه «آية الكرسي» في لالش.

في حين يرى بعض الباحثين لاسيما من اليزيديين أن قدسية المكان – لالش – إنما جاءت من كونها مهد نزول الملك طاووس على الأرض لأول مرة في تاريخ البشرية، ولهذه القدسية يعتقد اليزيديون أن أرواح موتاهم تتجمَّع في لالش للحساب؛ حيث يقام ميزان العدل الإلهي هناك.

ويقول في هذا الصدد الباحث اليزيدي [1]: من الحقائق التي لم يتطرَّق إليها أحد ممَّن بحث في قضايا اليزيدية. قدسية المكان لدى اليزيدية، وللمكان أهمية قصوى في الديانة اليزيدية، ويمكن أن تشكِّل الرمزية في المكان علاقة ثابتة مع العقيدة اليزيدية التي تعتقد أن هذا المكان مقدس لعلاقته بالطوفان، كما أن الأرواح تبقى متجمِّعة فوق سماء هذا الوادي، إضافة إلى ما ورد اسمه في مدوّناتهم المقدسة، وكتبهم الدينية، وفوق هذا كله كونه يضم أهم رموزهم وشيوخهم من أتباع هذه الديانة .. فلالش مقدَّسة أكثر من ضريح الشيخ عدي، وهي التي زادت من قدسية وأهمية المرقد، وليس العكس .

لكن الواقع والتاريخ يضادان هذا الرأي، فمن جانب التاريخ يقال: بأن لالش كان ديراً مسيحياً نسطورياً، علاوة على هذا، فلا ذكر لليزيدية قبل حلول الشيخ عدي إلى زاوية لالش، ومن ثم أُنشئت وتكوَّنت اليزيدية على يد أتباع أتباعه.

لهذا؛ يجمع الكثيرون على أنه – أي «لالش» كان معبداً مثرائياً قديماً لعبادة إله الشمس (مثرا)، ثم استصلحه الشيخ عدي بن مسافر في القرن الخامس الهجري، واتخذه مكاناً للعبادة، ومنها اتخذه اليزيديون محجّاً لهم، وقدسوه، بدليل أن كتب التاريخ تذكر أن الشيخ عدي حج إلى مكة المكرمة مع صاحبه الشيخ عبد القادر، فلِمَ كلّف الشيخ عدي نفسه وقطع الفيافي وشعب الجبال والصحاري قاصدا مكة المكرمة في وقت كان لالش حجه ومعبده

---

(1) زهير كاظم عبود في كتابه / اليزيدية حقائق وخفايا وأساطير/ .

المقدسين يديه؟ إن الاعتقاد بتجمُّع الأرواح فوق لالش وبقدسية المكان حديثا العهد، يعودان إلى ما بعد وفاة الشيخ عدي بنصف قرن.

أما من حيث الواقع؛ فيظهر ويتضح وقت ذهابهم إلى لالش- الحج- أنه يجب على الداخل إلى مرقد الشيخ عدي أن يخلع نعليه، وأن لا يطأ عتبة المرقد برجله، ،أيضاً؛ يبدأ الزائر بالتمسُّح ببعض الأقمشة المتدلية على المرقد قائلين: نحن نطلب من الله ومن الشيخ عدي أن يغسلنا من كل شيء، ومن كل إثم ،ويقوم حجاج اليزيدية بالطواف حول قبر الشيخ عدي ثلاث مرات، فلو كانت قدسية المعبد أسبق فلم لا يطوفون حول المعبد، بدلاً من ضريح الشيخ عدي؟ حتى الماء الذي ينبع من عرفات، تقول الأسطورة اليزيدية: بأن الشيخ عدي هو من فجَّر هذه العيون.

وكذلك البراة التي يحملها اليزيديون معهم في حلِّهم وترحالهم، فهم يأخذونها من مرقد الشيخ عدي، فلو أن لالش مقدس قبل مجيء الشيخ إليه، وقدسيته ذاتية، فلم لا يأخذون البراة من أجزاء المعبد؟ بالإضافة إلى المقولة المشهورة عند اليزيدية أنهم كانوا يحجون إلى مكة، لكنْ؛ عندما ظهر الإسلام وأضحت الكعبة وزمزم كلها جزء من مقدسات الإسلام وخاصة بهم، حُرم الآخرون منها.

الميقات وكيفية الحج عند اليزيدية:

من المعلوم أن اليزيدية كانت تحج إلى مكة المكرمة في بداية عهدها الأول، وقبل أن يحل في هذه الطائفة الزيغ والضلال، وخير دليل على ما نقول هو ما ورد في كتب التاريخ أن الشيخ عدي حج إلى مكة المكرمة مع صاحبه الشيخ عبد القادر، ولا يخفى على أحد مكانة الشيخ عدي عند هذه الطائفة، وأنه المنقذ الوحيد لهم في الآخرة، وفي النهاية أنه هو الذي سيقودهم إلى الجنة الخلد، حسب زعم اليزيدية. وبعد وفاة الشيخ بأقل من قرن من الزمن حوَّل اليزيدية مزار وقبر الشيخ عدي إلى مكان حجٍ لهم بدلاً من مكة المكرمة.

ويبدأ موسم الحج عند اليزيدية من اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول الشرقي«6 تشرين الأول الغربي»، وينتهي في يوم الثلاثين منه .

كيفية أداء الحج عند اليزيدية:

الزائر لمزار الشيخ عدي بن مسافر يحاذر أن لا تطأ قدماه عتبة المعبد، لأنها ترمز إلى الحدود بين الدين والدنيا، ويعبرون عليها بأدب واحترام، معتقدين أن الآلهة تحرسهم، ثم يقوم الزائر بتقبيل العتبة، وكذا جانبي البوابة، إضافة إلى تقبيل الحجر الذي يجلس عليه السادن، الذي يتولى جمع أموال التبرعات، حتى الأطفال يتم تعويدهم على الدخول إلى المكان دون وطء العتبة، ثم يبدأ زائر المعبد زيارته بالتمسُّح ببعض الأقمشة المعلقة في المعبد، ثم بتقبيل بعض النقاط في المكان مثل أمكنة إشعال فتائل الزيت .

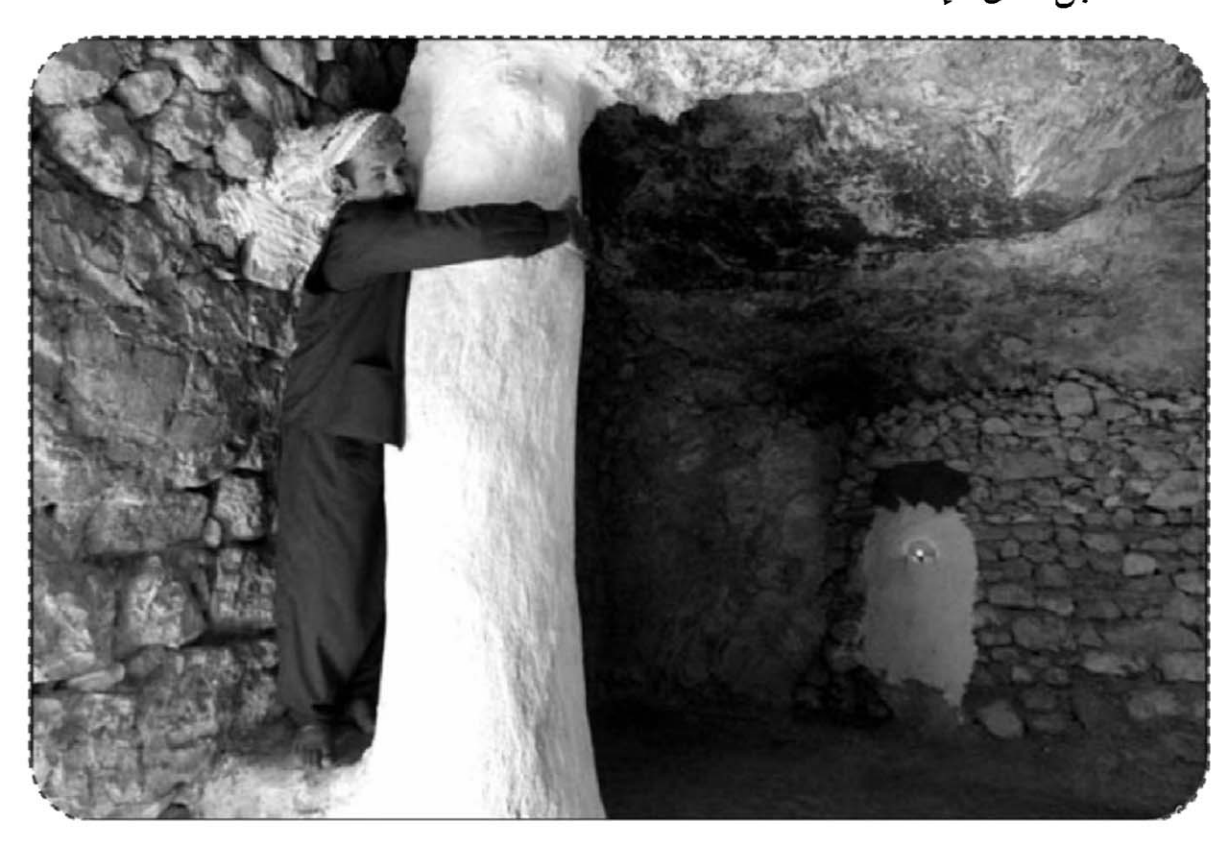
وبعدها يدخل الحاج إلى مقصورة صغيرة تؤدي إلى درج قصير، ومن ثم عبر ممر ضيق يقوده إلى نبع ماء مقدس، ينبع من جبل عرفات، ومنهم من يعتقد أن هذا الماء ماء زمزم يأتي من مكة إلى منطقتهم،وهناك أسطورة أخرى بأن الشيخ عدي هو الذي فجَّر هذه العين، ومن ثم يغتسل الزائر بمياه زمزم المقدسة. ومن جانب آخر تقوم النساء بإضفاء جو احتفالي على المكان بإطلاق الزغاريد تعبيراً عن الفرحة بزيارة الشيخ عدي، ثم يتعمدون في ماء زمزم، وبعد الانتهاء من التبرُّك بماء زمزم، يقف الزائر بحفرة في الصخر على شكل محراب، اعتقاداً بأنها تشفي من كان به أوجاع بجسده أو ظهره.

لكنْ؛ لماذا سمِّيت عين الماء بزمزم، والجبل بعرفات ؟ هل هي محاولة للتشبُّه بأركان الحج عند المسلمين؟ أم أنها من تأثيرات الشيخ عدي بن مسافر؟

يقول د./ عبدالعزيز زمزم في مكة، والـ «زم زم» كلمة كردية أيضاً، في الكردية عندما تقول زمزم أي أضحى فيه ماء، وقدسية زمزم ترجع إلى عهد إبراهيمالخليل عليه السلام وابنه إسماعيل، وكان اليزيديون قبل ظهور الإسلام يحجُّون إلى مكة ... لكن - الآن - نحن ننظر إليها بقدسية إلى الحجر الأسود، وإلى زمزم لخاطر إسماعيل عليه السلام .

بعد الانتهاء من زمزم يصعد الزائر إلى القاعة الأكثر قدسية، وهي التي تحوي قبر الشيخ عدي بن مسافر، يقوم الزائر بالطواف ثلاث مرات حول القبر، وبعدها يدخل إلى القاعة المقابلة التي تحفظ فيها جرار الزيت الخاص بشعل الفتائل لإضاءة المعبد، ومن هناك يدلف

الزائر إلى غرفة خاصة وهي الأقدم في المعبد، وتحوي أشياء كان يلبسها الشيخ عدي، وهي عبارة عن قطع سوداء من الصوف، وكان شرطاً أن تغزلها أيدي صبايا عذارى، عند الانتهاء من الزيارة يقوم الزوار وخاصة النساء بعقد أطراف القماش المعلقة على الأعمدة في القاعة الرئيسية، وذلك إعلاناً بأن لدى الزائر مشكلة ما، ثم يأتي شخص آخر ويحل هذه العقد إذاناً بحل وزوال المشكلة... ولا يفوت الزائر أن يعرج على عين البيضاء التي يسمونها «كاني»يسقى للتبرك بمياهها، وهي عين ماء تنبع من الجبل المقابل لجبل عرفات؛ حيث يعمِّد اليزيديون أطفالهم عند ميلادهم فيها، ويعتقد اليزيديون أن العين البيضاء هذه كانت قبلة الملائكة قبل خلق الإنسان [1].



أحد اليزيديين يتبرَّك بحائط مقدَّس لديهم في وادي لالش.

(1) التلفزيون «قناة العربية» مهمة خاصة / الأستاذ باسم الجمل.

حكم زيارة مرقد {الشيخ عدي} الحج:

بعد أن خضنا في كيفية طقوسات الحج عند اليزيدية يجدر بنا أن نبيّن حكم أداء هذه الطقوسات، ومن لم يؤدِّها ماذا يتوجَّب عليه؟ وكيف هي نظرة اليزيدية إليه؟

يرى البعض من اليزيدية أنه فرض على كل يزيدي سواء كان صغيراً أم كبيراً، قرب مسكنه من مرقد الشيخ عدي أم بَعُدَ ونأى. والكعبة عندهم هي مرقد الشيخ عدي، وجبل لالش هو جبل عرفات، ومن لم يزر المرقد هو كافر وخارج من اليزيدية، ويقول في هذا الخصوص أمير اليزيدية إسماعيل بك جول:

وكل يزيدي يلزم أن يزوره - أي مزار الشيخ عدي بن مسافر- أقل ما يكون مرة واحد في كل سنة، والذي ما يزوروه وما يعطي المفروض عليه مبلغ المعلوم من الدراهم على يد الشيخ والقوَّالين بحضوره صورة الملك طاووس فهو كافر.

ويقولون بأن الذي يزور تربة الشيخ عدي بجبل لالش هو أفضل وأقبل عند الله من الحج والقدس ومن الحكمة وغير ذلك.

ويقولون: في يوم القيامة، الشيخ عدي يحمل اليزيدية على طبق، ويضعهم على رأسه، ويدخل بهم الجنة، ويغفر لهم الخطايا القليلة بدون حساب ولا كتاب ولا دينونة ولا عذاب.

أما الرأي الثاني حول زيارة مرقد الشيخ عدي؛ فيقول: إذا لم يتمكَّن اليزيدي من القيام بزيارة قبر الشيخ عدي، فإنه لا يصبح كافراً، بل يظل مؤمناً مثله مثل مَن زاره، بشرط التضحية من أجل الطاووس المتجول - السنجق - أي يجبر عدم الذهاب إلى الحج بدم.



معبد لالش الذي يرقد فيه (الشيخ عدي بن مسافر) والذي اتخذه اليزيديون محجاً لهم بعد وفاة الشيخ عدي قرابة نصف قرن من الزمن. الواقع جغرافياً شمال الموصل بأكثر من (50كم)، والمعبد يتبع لقضاء الشيخان؛ حيث مركز اليزيدية في شمال العراق. وينتشر حول المعبد مزارات ومقامات لمشايخ اليزيدية.

التَّشهُد:

صيغة الشهادة عند اليزيدية هي الأخرى تؤيد قول القائل بأنهم ذوو أصول إسلامية، وهي :«أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فاليزيدية - هم أيضاً - ينطقون بالشهادة على هذا النحو، ويقال: بأن الشيخ حسن هو الذي حرَّف هذه الشهادة عن موضعها الأصلي؛ حيث أضاف اسمه بدلاً من اسم رسول الله، فأصبحت الشهادة عندهم كالتالي. «أشهد أن لا إله إلا الله شيخ حسن شيء لله [1]. ولم تمض مدة إلا غيَّروها ووضعوها على هذه الكيفية «أشهد واحد الله سلطان يزيد حبيب الله».

ووردت صيغة الشهادة عندهم على نحو آخر، فهي كالتالي:

أشهد أن لا إله إلا الله ،

الملا شيخ حسن حبيب الله ،

الصلاة على المقلوب والمركه ،

السلطان الشيخ عدي ملاكي،

الشيخ أبو بكر مولاي ،

بيري هو الحاج محمد ،

مربّي هو الشيخ محمد ،

والحمد لله من الأديان، فوقانا من الكفار والرافضة،

شكراً للملائكة، أبعدوا عنا الكفَّار والخنازير.

القيامة:

اليزيدية لا يؤمنون بالموت، ولا باليوم الآخر، ويعتقدون أن أرواح موتاهم بعد فترة من مفارقتها لأجسادها تعود إلى الروح ثانية إلى جسد آخر عن طريق التقمُّص والتناسخ، ويعتقدون أن أرواح موتاهم تتجمَّع في لالش؛ لتُحاسَب؛ حيث يُقام ميزان العدل الإلهي هناك.

---

(1) اليزيدية لـ/ سعيد الديوه جي.

ويقول في هذا الشأنالكاتب اليزيدي د.عبد العزيز سليمان: اليزيدي روحه خالدة، يعني يؤمن بأن الروح خالدة. وعندما ينقل روحه من بدن إلى بدن يأخذ روحه إلى جبل لالش حسب ما نحن نعتقد، هناك حجرة تسمَّى«سوقا معرفتي» سوق المعرفة، ويحضر ملكان اثنان في لالش، وهناك ميزان، ميزان الحق أعماله الخيّرة في كفَّة، وأعماله الشريرة في كفَّة، والملكان يراقبان الكفَّتين. كذلك اليزيدية، من خصوصياتها أننا لا نؤمن بالموت واليوم الآخر، ولا نقول فلان شخص مْرّ أي ماتنقول «كلازغوري» في الكردية، أي غيَّر رداءه. الروح إحنا نقول «روحها رحماني نابت ثاني» الروح اللي هي جزء من نور الله ليست فانية، وتدخل من بدن شخص أو كائن حي [1].

اعتناق اليزيدية:

لو أراد شخص أن يعتنق اليزيدية ماذا يفعل؟ وهل اليزيدية تفتح الباب لأعضاء جدد للانضمام إلى مجتمعهم الديني؟

يبدو أن اليزيدية منغلقة على نفسها، وترفض وجود أعضاء جدد في معتقدها واعتقادها، ولا يقبلون من أحد اعتناق دينهم، ومذهبهم قائم على نسب الدم؛ أي أن اليزيدي يجب أن يكون يزيدياً بالنسب، مولوداً من أبٍ وأم يزيديين، وإلا لا مكانة له بين اليزيدية، لذا؛ يعلِّق الكاتب نزار أغري على هذه النقطة قائلاً:

وغالباً ما يقال إن اليزيدية هي دين الأكراد الذين دخلوا الإسلام عنوةً، ومع هذا لا يمكن للكردي المسلم أن يعود إلى دينه القديم المزعوم، فلا يحقُّ - في واقع الحال - للكردي المسلم أن يدخل اليزيدية، فاليزيدي: هو مَن كان يزيدياً بالولادة وحسب، أي يعود أصله إلى تلك العشيرة الهكارية التي تبنَّت المذهب العدوي لأول مرة.

---

(1) باسم الجمل، «مهمة خاصة».

الردة وحكمها:

بأي شيء يخرج اليزيدي من دينه؟ وهل له أن يعود إليه ثانية بعد ردته من دينه؟ يقال بأن اليزيدي إذا تزوج من امرأة أو فتاة غير يزيدية فإنه يصبح مارقاً ومرتداً عن دينه، وكذلك اليزيدية إذا تزوجت من غير يزيدي فإنها تصبح مرتدة عن دينها، ولا يقبلون بعودتهم في المجتمع.

أسباب الكفر والخروج من اليزيدية:

على كل يزيدي أن يزور ضريح الشيخ عدي، وإلا فإنه يكفر، وكذلك زيارة تمثال طاووس ملك - السنجق - وإلا يصبح كافراً.

على كل فرد يزيدي أن يقبِّل يد أخيه في الآخرة، وذلك في كل يوم، وإلا يصبح كافراً.

وإذا سمع يزيدي كلمة الاستعاذة - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم - وسكت، ولم يبد اعتراضاً وإنكاراً فإنه يصبح كافراً .

وإذا مات أحد من اليزيديين يجب أن يكون عنده تمثال «ملك طاووس» ويخفي برأته من المسلمين والمسيحيين واليهود، وإلا يموت على غير دينه.

وأن يحمل كل يزيدي مقداراً ولو كان يسيراً من تراب مرقد الشيخ عدي بن مسافر، ويتبرَّك به في صباحه ومسائه، وعند موته، كي يوضع في فمه، وإلا يصبح كافراً .

كل يزيدي عليه أن يصوم وهو داخل مجتمعه اليزيدي، وفي الصباح عليه أن يذهب إلى بيت شيخه كي يصوم عنده في المساء، وأن يذهب كي يفطر هناك على الخمر في بيت شيخه، وإلا يصبح كافراً .

وإذا اشترى اليزيدي ثياباً جديداً عليه أن يعمد في الماء المبارك الموجود عند ضريح الشيخ عدي، وإلا يصبح كافراً .

ولو دخل اليزيدي في حمَّام المسلمين، أو أكل وشرب في أوان وأطباق المسلمين، يصبح كافراً.

حكم المرتد عند اليزيدية :

لا يسمح له بالعودة ثانية إلى المجتمع اليزيدي والانضمام ثانية في اليزيدية، ويصبح منبوذاً ومطروداً، بالإضافة أنهم يقيمون عليه حدَّ الرجم حتى الموت.

الحلف أو القَسَم:

إذا أراد يزيدي أن يوثِّق عهوده ووعوده فما عليه إلا أن يحلف إمَّا بـ (بالله، أو طاووس ملك، أو بالشيخ عدي، وكذلك بالشيخ عبد القادر كيلاني - وهو صاحب الشيخ عدي بن مسافر، ورفيق دربه في رحلته إلى الحج «مكة المكرمة» -، أو بالخرقة السوداء، وبلابسيها، وبرؤوس أصحابها)، وإذا غلّظ اليزيدي إيمانه بهذه الأشياء، فإنه لا يتردَّد في تنفيذ وعوده؛ لأنه يخشى أن يحل عليه غضب من الله، أو من ملك طاووس، أو حتى من الشيخ عدي، وغيره من أولياء اليزيدية.

الخرقة:

ما هو شأن الخرقة السوداء عند اليزيدية؟ وما هي مكانتها لدى هذه الطائفة، حتى يجلها ويقدّسها اليزيدية بشكل لا مثيل له، وحتى لابسها يحظى بالإجلال والتقديس لدى أبناء هذه الطائفة؟

الأسطورة اليزيدية في خصوص الخرقة تقول : نزلت أول مرة من لدن الله تعالى بصورة عباءة، وهي ترمز لله تعالى والحجاب، وكَسْر التَّكبُّر والتَّرفُّع، كما يعتقد اليزيديون أن مَن لبس الخرقة صار درويشاً زاهداً محباً للآخرة أكثر من الدنيا، وأن أول مَن لبس الخرقة وأصبح درويش اليزيدية كان [الشيخ بكر] ويُسمَّى بـ «الشيخو بكر فقير»، وبعد ذلك أصبح لباس الخرقة طقساً وشعاراً لأصحاب الكرامات والولاية من اليزيدية ... والخرقة عندهم تصنع من الصوف الصافي، وتصبغ بأوراق وقشور شجرة «زركون»، فتكتسب - عندئذ - اللون البني الغامق، وقبل أن يرتديها «الدرويش» اليزيدي يجب أن تغسل بالمياه المقدسة المأخوذة من نبع «كانيا سبي» المقدس، وبعد غسلها لا يجوز إهراق مياهها تلك إلا في موضع طاهر

نظيف... إن لابس الخرقة يعتبر شخصاً محترماً عند اليزيديين كافة، فإذا التقى يزيدي في أي مكان كان يتوجب على الأخير أن يظهر له كل واجبات الاحترام والتقدير، ومنها أن يبادر لتقبيل خرقته...

ولا يجوز الاعتداء على لابس الخرقة مهما كان تصرُّفه أو حديثه، فإذا ضرب لابس الخرقة رجلاً ما من الطائفة اليزيدية توجَّب على الرجل المضروب أن يقف مكتوف الأيدي خاشعاً صابراً [1].

يقول العلامة ابن تيمية في شأن الخرقة: وأمَّا الخرقة؛ فقالوا: دخل على الشيخ العارف عقيل المنيحي، وألبسه الخرقة بيده، والشيخ عقيل لبس الخرقة من يد الشيخ مسلمة المردجى، والشيخ مسلمة لبس الخرقة من يد الشيخ أبي سعيد الخراز. قلتُ هذا كذب واضح، فإن مسلمة لم يدرك أبا سعيد؛ بل بينهما أكثر من مائة سنة، بل قريب من مائتي سنة، ثم قالوا والشيخ أبو سعيد الخراز لبس الخرقة من يد الشيخ أبي محمد العنسي، والعنسي لبسها من يد الشيخ علي بن عليل الرملي، والشيخ علي بن عليل لبسها من يد والد الشيخ عليل الرملي، والشيخ عليل لبس الخرقة من يد الشيخ عمار السعدي، والشيخ عمار السعدي لبس الخرقة من يد الشيخ يوسف الغساني، والشيخ يوسف الغساني لبس الخرقة من يد والده الشيخ يعقوب الغساني، والشيخ يعقوب الغساني لبس الخرقة من يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوم خطب الناس بالجابية، وعمر بن الخطاب لبس الخرقة من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الخرقة من يد جبرائيل، وجبرائيل من يد الله تعالى.

قلتُ: لبس عمر للخرقة وإلباسه ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلموإلباسه يعرف كل من له أدنى معرفة أنه كذب، وأمَّا الإسناد المذكور ما بين أبي سعيد إلى عمر؛ فمجهول، وما أعرف لهؤلاء ذِكْر لا في كتب الزهد والرقائق، ولا في كتب الحديث والعلم، ومن الممكن أن بعض هؤلاء كانوا شيوخاً، وقد ركَّب هذا الإسناد عليهم مَن لم يعرف أزمانهم، والله أعلم بحقيقة أمرهم.

---

(1) اليزيدية واليزيديون، مرجع سابق.

المؤاخاة:

كل يزيدي أو يزيدية إذا بلغ سن البلوغ أو الرشد فيجب عليه أن يتآخى مع أحد المشايخ، ويسمَّى هذا الأخ بـ «الأخ الآخرة »، وعليه أن يقدم له كافة المساعدات، وأن يقوم برعايته قبل الأخ الشقيق، وإن أخ الآخرة بمثابة محامٍ له في هذه الدنيا، فهو يدافع عنه وقت الحساب عند الله تعالى، ويشهد على حسناته وأعماله الخيرية، وأخ الآخرة يجب أن يكون من شيوخ الدين، وتتمُّ المؤاخاة بعقد ديني بشهادة عدد من الحضور، وضمن حفلة خاصة يقيمها المريد لشيخه.



إحدى اليزيديات تقوم بتقبيل يد أحد المشايخ اليزيدية.

الصلاة:

يقول الكاتب سعيد الديوه جي [1]:إن اليزيدية كانوا يصلُّون كما يصلي المسلمون، وكان بعضهم يقيمون الصلاة الجمعة إلى القرن الحادي عشر للهجرة، ثم بعد هذا أخذ رؤساؤهم يستغلُّون بساطتهم، فوضعوا لهم صلوات غير التي يقيمها المسلمون، وذكروا لهم أن الشيخ عدي قد تحمَّل عنهم صلاتهم التي يصليها المسلمون، ووضعوا لهم صلوات، أضلوهم بها، وأبعدوهم من حظيرة الإسلام، وهذه الصلوات في اللغة الكردية أدعية بغير حركات أو استعداد لها كما هو عند المسلمين.

وقد جاء في «مصحف رش» [أمَّا الصوم والصلاة إن الله لا يشابههم، لكن يريد الخير وعمل الصدقة] بعض المؤمنين منهم يؤدون صلاة وهي دعاء مع بعض الحركات، وأهمها تلك التي تكون عند شروق الشمس... كل يزيدي متدين يتوجَّه عند شروق الشمس إلى مطلعها وعند غروبها في مغيبها يلثم الأرض ويعفّر وجهه بالتراب، ويدعو دعاءً خاصاً بلغة مزيج من العربية والكردية والفارسية [2].

ونص الدعاء على الشكل التالي:

[آمين آمين، الله تبارك الدين، الله أحسن الخالقين، بهمة شمس الدين، ناصر الدين، سجاد الدين، الشيخ شمس الدين، مؤيد الدين، باني المجد القديم، السلطان الشيخ عدي، رئيس الأولين والآخرين، أعط الخير، تنجو من الشر، حق الحمد لله رب العالمين، مهما كان عدد أعوان يزيد، فإن بينهم الكافرين والضالِّين، ومن بين الاثنين وسبعين ملة والثمانين ألف مخلوق صبر وستر، وعقل وفهم، إيمان ثابت، ويقول الصحيح دون زيغ، وكان عنده الحياء والناموس، فإن الشيخ شمس يشفع له عند الإله].

---

(1) في كتابه اليزيدية.

(2) من قاموس الأديان، مرجع سابق.

شكل أداء الصلاة:

ينهض اليزيدي قبل بزوغ الشمس، ويتوجَّه نحو المشرق؛ حيث يواجه الشمس، ثم ينحني، ويقبّل أقرب بقعة تقع عليها أشعة الشمس، ثم يتلو دعاء الصباح، ملتمساً المغفرة والبركة .

وفي العريضة التي ذكرناها وفي البند الثالث ذكر لبعض ما يقولون: «لازم على كل فرد من طائفتنا في كل يوم وقت طلوع الشمس أن يزور موضع شروق الشمس، بشرط أن لا يوجد واحد من المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك، وإذا لم يعمل واحد منهم ذلك يكفر».

وسوف نقوم بسرد بعض الأدعية التي يرددها اليزيدية في صلواتهم، ومن خلال هذه الأذكار والأوردة الإسلامية سوف نجزم بأن ما سنذكره لا شك مقتطفٌ ومأخوذٌ من أرضية إسلامية بحتة، ويغلب عليها طابع التصوف الإسلامي، ويبدو أن الواضع لهذه الأدعية لم يكن يزيدياً؛ لأنه لا يرد ولا يُذكر فيها ذكر «الملك طاووس» إطلاقاً، وهذا ما ولن يقبله اليزيديون؛ لأنهم يصلُّون لملكهم طاووس، ويرجون قربه، الذي هو إله اليزيدية. فمثلاً في صلاة الفجر عند اليزيدية عليهم أن يتلوا ويقرؤوا هذه الأدعية [1]:

صلاة الفجر:

باسم الله «يزدان» المقدَّس الرحيم الجميل.

يا إلهي، لعظمتك ولمقامك ولملوكيّتك.

يارب، أنت الكريم الرحيم الإله. ملككَ ملك الدنيا. مملكة الأرض والسماء. ملك العرش العظيم.

يارب، إنكَ أزلي قديم. يارب، إنكَ حتى الأبد أمنية الروح.

يارب، إنكَ ملك الإنس والجن، ملك الكرسي والعرش. يارب، إنكَ أنت الصمد صاحب العطف .

يارب، إنكَ أنت الصمد الحي المجيد، الواحد القيوم، إنكَ أنت الجدير بالمدح والثناء.

---

(1) هذه الأدعية جاءت في كتاب (اليزيدية واليزيديون)، لـ د./ خلف الجراد.

يارب، إنكَ رب السماء رب الشمس والقمر، رب الأنهر والوديان، يارب، إنكَ رب العطاء.

يارب، أنت لنا، وأنت المدد. أنت الصدى، وأنت اللون، أنت الصوت، وأنت المقبض، يارب، إنه لا يدري أحد كيف أنت؟

يارب، أنت خالق الحوت، ومعطي القوت، أنت الحلم والملكوت.

يارب، أنت خالق الفقراء والملوك.

يارب، أنت الدائم الموجود. أنت دائم الوجود. أنت دائم الموجود.

صلاة الإشراق:

باسم الله «يزدان» الرحيم الجميل.

يارب، أنت موجود، وأنا معدوم، أنت غافر الذنوب، وأنت الإله الحق مالك الكم والكيف. لا قامة لك، ولكنك رفيع. لا صوت لك، لكن صوتكَ معروف. مكانكَ في كل مكان. أنت خالق العالم كله. أنت الذي وهبت آدم. أنت الذي خلقت الموسم. أنت لا تتكلم - يارب - كما نتكلم نحن. ولا تعمل مثلما نعمل.

أنت ولي فرض الصلاة، يارب. إنك تميز روحاً عن الروح، وأنت تنتزع الأرواح من الرؤوس.

أنت لست قليل الإدراك مثلنا نحن. إنك توحي للأرواح، فتحل بالأجساد.

يارب، إنك أنت الإله. أنت الملك، أعلم العلماء، مَلَك الملوك، لا تأكل، ولا تنام، ولا تصيح. أنت رب الحرم ورب الحجاب. مكانكَ في كل مكان. أنت الإله، وأنا المبتلى بالأسقام، إنكَ تشفي المرضى لأنك كفؤ للمدح والثناء. لا يعرف أحد كيف أنت....

تلقين الميت:

سوف نذكر مقتطفات من صلاة اليزيدية على موتاهم، ليتأمل القارئ النهم في تلك الأدعية الواردة في صلاتهم ليحكم بنزاهة وحيادية بعيداً عن التعصُّب وضرب الحقائق عرض الحائط؛ أي لا يتنكر لعقله الرشيد، ومن دون تحيّز لفئة بعينها، فقط؛ ليأخذ ويبني

حكمه على أرضية هذه الأدعية التي يدفنون بها موتاهم، ثم ليقل كلمة الفصل إلى أي دين تنتمي هذه الأدعية والمأثورات؟ وكذلك هذه الطائفة على أي أُسس بنوا عقيدتهم؟ ومن أي دين تنتمي أصولهم؟

أمَّا صلاتهم على الأموات؛ فهي كالتالي:

(يا ابن آدم المسكين، ويا ابن آدم الفقير، ما هذه الدنيا إلا دار للسكارى، إنها مثل حلم الليالي، مثل ظل الأشجار يلقى كل يوم جديداً.. أين سليمان الحاكم؟ وأين بلقيس التي ذاع اسمها؟ لك البقاء «يا رب» إنهم تركوا الدنيا .. أين درويش حامل المسبحة والوقاص؟ لك البقاء، يارب، يا ابن آدم، لا تكن طماعاً في هذه الدنيا ،لا تجمع المال والذهب جمعاً، و لم تدم الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أين حمزة ؟ وأين علي؟ أين الأولياء؟ وأين الأنبياء؟ إنهم يرقدون في قبورهم كالمومياء..ألوف الحسرات والويلات والثبور على عدم خلود ذوي الأخلاق الفاضلة والشفاه المعسولة لكي يحدِّثونا. لتنهمر دموعنا بغزارة، فالألم والبكاء لا يفيدان، والكفن والقبر هما المكتوبان لنا).

ولو أمعنا النظر والتفكير في هذا الدعاء الوارد عندهم، إنه يدحض ويفنِّد كل قول ورأيٍ قائلٍ بأن أصول هذه الطائفة قديمة سواء كانت راجعة إلى الزرادشتية أو إلى غيرها من العصور ماقبل الإسلام، يبطل هذا الدعاء كل زعم من هذا القبيل، حيث ورد في دعائهم سائلين وقائلين: أين رسول الله؟ أي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

ربما يأتي ناكرٌ للحقيقة ويقول : ليس المقصود برسول الله في التلقين هو (محمد بن عبدالله)، وإنهم يقصدون بهذا الرُّسل السابقين، لنفرض جدلاً أن هذا الزعم صحيح، إذن؛ ما بال ذكر اسم حمزة الذي هو عم رسول الله، وعلي الذي هو ابن عم رسول الله؟ ما تفسير هذه الأسماء حتى ترد في دعائهم؟

من المفروض أن يكون التلقين والمأثورات الذي يدفنون بها موتاهم مرافقا ومتزامناً لنشأة هذا الدين – اليزيدية – وهذا المأثور يدحض هذا الزعم، ولو كان هذا الدين ذا أصول قديمة وأقدم من الإسلام، فكيف سمعوا بهؤلاء الأشخاص حتى يردِّدوا أسماءهم في أدعيتهم،

وهم لم يأتوا إلى الدنيا بعد، وخاصة على قول مَن قالوا:بأن اليزيدية تسبق الإسلام بآلاف السنين. أَ يجوز أنهم كانوا يدفنون أمواتهم في أول عهدهم من غير التلقين، ثم استحدثوا هذه العادة؟ مثل هذه المأثورات لا يدل إلا على شيء واحد، وهو أن هذه الطائفة لم تكن لها ذكر قبل الإسلام، بل قبل العصر الأموي أيضاً، وإلا لماذا يجعلون موت رسول الله وحمزة وعلي موعظة وعبرة لأنفسهم، صدق مَن قال إن هذه الطائفة تنطلق من أرضية إسلامية بحتة. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ [1].

الزكاة:

من الواضح أن فريضة الزكاة التي هي فرض في كل الشرائع والأديان السماوية هي غير ملزمة لليزيديين، فالفرد اليزيدي بالخيار إن شاء دفع بعضاً من ماله للفقراء والمساكين، وإن شاء أبى، وهذا يكون على وجه التبرعات والهبات.

إذن؛ الزكاة غير ملزمة بالنسبة لليزيديين، ولكن؛ قد يتحول إلى واجب عليهم أثناء جولات السناجق في قرى ومدن اليزيدية، فهم يدفعون قسطاً من مالهم بغية القرب ونيل مرضاة «طاووس ملك»، ومعظم هذه الأموال تعود إلى جيوب الكَواجك والبيرة والقوَّالين، يقول في هذا الخصوص الكاتب سعيد الديوه جي [2] وقد صرف رؤساء اليزيدية أداء الزكاة إلى مصارفها الأولية، وقالوا لهم: إن الشيخ عدي رحمه الله كان زاهداً في الدنيا، وطبع هذا في مريديه، فزهدهم في الدنيا، وصفهم عن الاشتغال فيها، فتركوا العمل، وانقطعوا للعبادة، وأن اليزيدية هم الذين أخذوا الأرض، وزرعوها، وانتفعوا بخيراتها، وعليهم أن يقدموا لرجال الدين نصيباً من حاصلاتهم لكي يتفرَّغوا للأمور الدينية، وعلى هذا نجد اليزيدي يشتغل ويكدح ويقدِّم لرؤساء الدين، ليرضوا عنه، ويرضى عنه ملك طاووس، فهو يقدِّم ثمرة أتعابه لمن هو جالس في ظلال الراحة، فكلما كان رجل الدين ذكياً لَسِناً كانت الزكاة إليه أكثر من غيره.

---

(1) سورة النحل، الآية 72.

(2) في كتابه اليزيدية.

الصوم:

في العريضة التي رفعوها - أمراء اليزيدية - للسلطان العثماني بعض التفاصيل عن صوم اليزيدية، فقالوا في البند الثامن من العريضة:

«من خصوص صيامنا، كل فرد من طايفتنا إذا أراد أن يصوم، يلزم أن يصوم في محله، لا في غير محل، ومن سبب كل يوم من أيام الصيام وقت الصباح إلى بيت شيخه وبيرة يمسك الصيام، ثم وقت الإفطار يلزم أيضاً يروح إلى بيت شيخه وبيرة ويفطر على الخمر المقدس، قال ذلك الشيخ أو البير، وإذا ما شرب مقدار قدحين ثلاثة من ذلك الخمر، صيامه غير مقبول، ويصير كافراً. "

والصوم عند اليزيدية هو إمساك عن الطعام والشراب طوال نهار الصوم، ولا يختلف كثيراً عن صوم المسلمين. والصوم عندهم على نوعين:

صوم العامة: هي ثلاثة أيام في السنة : الثلاثاء والأربعاء والخميس الأول من شهر كانون الأول الشرقي.

صوم الخاصة أو المتدينين: وهو ثمانون يوماً، تكون على مرحلتين: قسم يبدأ في كانون الأول الشرقي والقسم الثاني في 20 تموز الشرقي.

وهم يرون أن المرء إذا نام وقد نوى الصيام، وأحضر إليه أحدهم طعاماً في صباح اليوم التالي، فإنه يأكله ويظل صائماً، ولا يحتاج إلى صيامه ثانية، وآداب صومهم ومبطلاته شبيهة بصوم المسلمين تقريباً، وفي أيام شهر رمضان يتظاهرون بالصوم مراعاة للمسلمين.

والمشهور عنهم أنهم يفطرون بتناول قليل من تراب مرقد الشيخ عدي، وغالباً على خبز مغموس بالملح، وهذا تقليد يعتمده اليهود في إفطارهم يوم السبت.

علاوة على ما ذكرنا فقد ورد في العريضة التي قدَّموها للعثمانيين في البند السابق الذي ذكرناه - الثامن - حيث يلزم على اليزيدي إذا كان صائماً أن يذهب إلى بيت الشيخ، ويفطر هناك على الخمر.

الخمر:

اليزيدية لا يحرِّمون الخمر، وخاصة في احتفالاتهم، ولا سيما الزفاف منها؛ حيث على أقرباء العريس توفير العَرَق والخمر بما يكفي شرب جميع المدعوين، عدا الكواجك وبعض كبار السن، وفي العريضة التي قدموها للسلطان العثماني حيث في البند الثامن : من خصوص صيامنا.... ويلزم أن يذهب إلى بيت شيخه «وقت الإفطار» وبيره ويفطر على الخمر المقدس مال ذلك الشيخ أو البير، وإذا ما شرب مقدار قدحين ثلاثة من ذلك الخمر، صيامه غير مقبول ويصير كافراً.

الأعياد اليزيدية

عيد الجماعية:

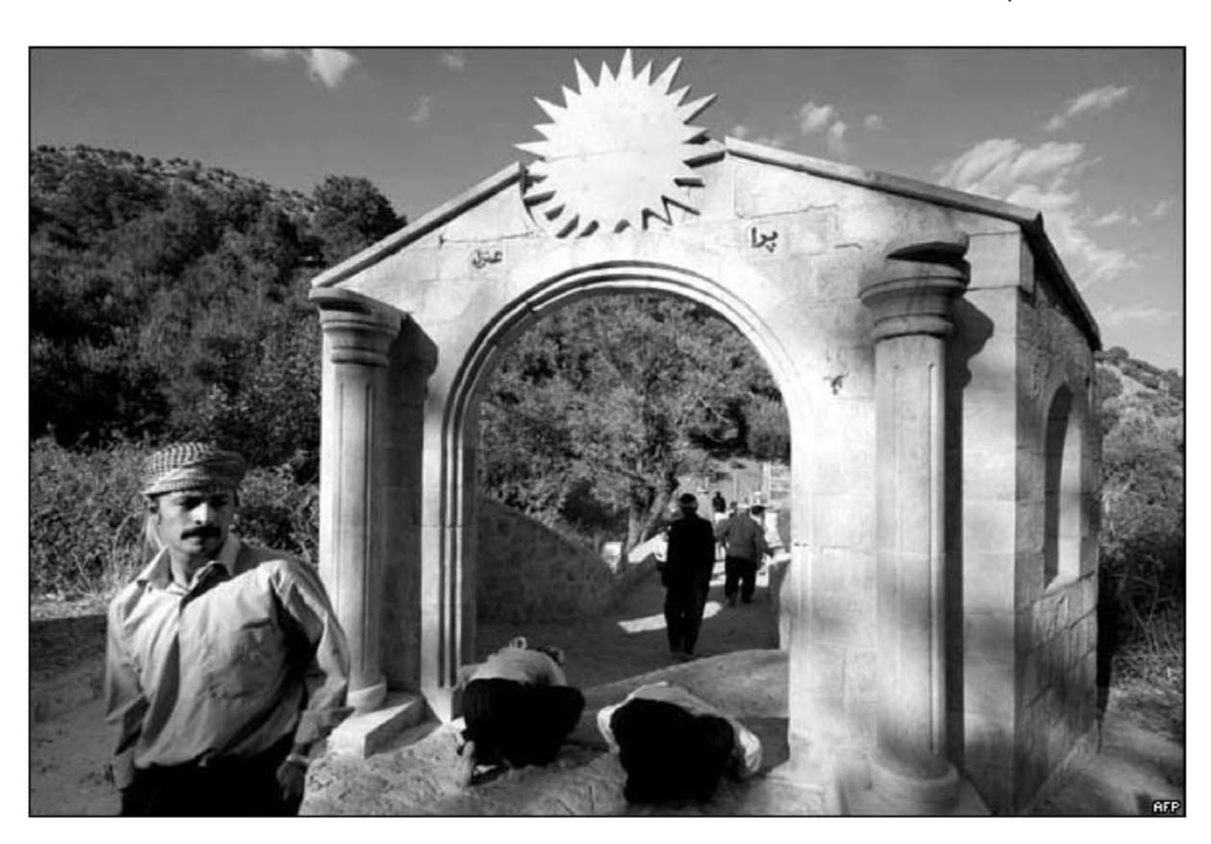
وهو من أعظم أعياد اليزيدية؛ حيث يجتمعون في وادي لالش حول مزار الشيخ عدي بن مسافر ومدته من اليوم 23 من شهر أيلول الشرقي إلى 30 من شهر أيلول على اليزيدي الذي يتوجه إلى الوادي أن يترجَّل من دابَّته، وإذا وصل (خان يزيد) وهو محل في الوادي، فيخلعون أحذيتهم ويمشون جفاة متوجِّهين إلى المرقد، وإذا وصلوا «السراط» وهو جسر صغير يبعد عن المرقد قرابة كيلو متر واحد، فإنهم يغتسلون بالماء الذي يجري في وادي لالش ويطهرون من أدران السفر... وعلى كل زائر أن يقبِّل الضريح، ويقدِّم لسادنه النقود، ومن لم يفعل هذا لا تُقبل زيارته...كما يقضون أكثر أوقاتهم في النزهة بهذا الوادي الجميل، ويختلط الرجال بالنساء، ويسود الطهر والعفاف، ويلتقي الشباب بالفتيات الجميلات، وقد يحدث الخطف فيه، وذلك بأن يتقدَّم الشاب إلى مَن يحبها ويرغب بالزواج منها، فيصطحبها إلى مكان ما، ويعرض على أهلها أنه في حمى الشيخ عدي، وأنه يرغب بالزواج من ابنتهم كما ترغب هي بذلك، فيفرح الطرفان، ويتفاءلان خيراً؛ لأن الزواج كان عن تراض، وفي حمى الشيخ عدي، فيتم الزواج بين كثير من الشابات والشباب بهذا اللقاء المقدس عندهم [1].

---

(1) للمزيد حول هذا الموضوع راجع «اليزيدية»، لـ سعيد الديوه جي.

وهذا العيد الذي يستمر لمدة سبعة أيام، وفي اليوم الخامس يتم فيه اقتياد ثورٍ إلى مزار الشيخ شمس في معبد لالش، حيث يتم ذبحه هناك، في احتفالات بهيجة و صاخبة...

وفي اليوم الأخير من العيد يُخرجون (تخت يزيد)، ويتزايد الرؤساء في نصبه، وهو عندهم فخر دونه فخر، وهذا التخت مما وضعه الشيخ حسن يذكرهم بأن الأمر سيعود إليهم، ويجلس رئيسهم على تخت يزيد..



يزيديان يُقبِّلان عتبةَ إحدى الأماكن المقدسة لدى الطائفة اليزيدية.

عيد سر سالى؛ أي رأس السنة:

وهذا عيد فصلي، وليس له علاقة بالدين، وهذا عيد رأس السنة عند اليزيدية، يكون أول يوم الأربعاء من شهر نيسان، ويعدُّون له ثياباً وزينة وطعاماً، ففي يوم الثلاثاء ينحرون الذبائح، ويهيئون الطعام في صباح يوم الأربعاء، وتخرج البنات متزيِّنات، ويجمعن الأزهار والشقائق، ويثبتنها بالطين في أعلى مدخل الدار .... ويذهب اليزيديون بعد هذا فيزورون القبور، ويضعون الطعام عليها، ويأتي القوَّالون إلى المقابر يقفون عند كل قبر برهة، ينقرون

بالدف، وينفخون بالشبابات (أي المزامير)، ويرتِّلون تراتيل بالكردية، ويقدم أهل الموتى لهم مبلغاً من المال [1].

إن السنة تبدأ عند اليزيدية من يوم الأربعاء، الأسبوع الأول من شهر نيسان؛ حيث يكون اليوم المذكور بداية للسنة اليزيدية، وعيداً يسمَّى عيد رأس السنة، ويدعونه (سر صالي)، أو في شهري أيلول وتشرين الثاني، مثالاً للفرح حين تجد اليزيدية على بساطتهم يساهمون باستقبال الرمز الديني (طاووس ملك) يصاحبه نقر بالدفوف ونغمات المزمار وأناشيد القوَّالين المصاحبين لقدومه؛ حيث يتم جمع الصدقات والنذور لرجال الدين، وتقام الولائم والسرادق للتبرُّك وزيارة هذا الرمز ...، وتعم البهجة والفرح في قلوب أهل القرية والمكان الذي وصله السنجق، وحين يحل ضيفاً على أحد البيوت، وغالباً ما يكون من بين المتمكِّنين مادياً، تنتشر البهجة والسرور ليس - فقط - في قلوب أهل البيت والقرية، وإنما تعم ذلك؛ لتشمل القرى المجاورة التي يتقاطر أفرادها على شكل مجموعات للزيارة والتبرُّك والتبرُّع بالمال.

ويقول الكاتب سعيد الديوه جي : بعض الرجال يحاولون استغلال بعض المواسم والأعياد المحلية، فيجعلون لها صبغة دينية، ويحثون الناس على الصدقة والمساعدة فيها، وهذا ما نجده عند اليزيدية، فإن رجال الدين جعلوه من الأعياد المقدسة، وحثوا أتباعهم اليزيدية دون غيرهم.

عيد مربعانية الصيف:

ويسمَّى أيضاً «العيد الكبير»، ومدته خمسة أيام، تبتدئ من اليوم الحادي عشر من شهر تموز الشرقي، وتنتهي من اليوم السادس عشر منه، وفيه يذهب المشايخ اليزيدية والكواجك إلى قبر {الشيخ عدي بن مسافر} ليصوموا ثلاثة أيام، ثم يعودا إلى أهلهم، ليتمُّوا صيام أربعين يوماً في الصيف، أربعين يوم في الشتاء، لكنّهم قلما يتمُّون هذه المدة؛ لأن الصائم إذا بات على نيّة الصوم، وقدَّم إليه أحد المعارف شيئاً ما في صباح اليوم التالي، وطلب إليه أن

---

(1) اليزيدية حقائق وخفايا وأساطير، مرجع سابق.

يأكل على بركة أحد المشايخ، أو على بركة أحد السناجق، وجب عليه الإفطار فوراً، وأصبح في حلّ من هذه الفريضة، أو من إتمامها.

عيد مربعانية الشتاء:

يقع هذه العيد في العشرين من شهر كانون الثاني الشرقي من كل سنة (3 شباط الغربي)، ويجري فيه ما يجري في «مربعانية الصيف» من صوم وإفطار وزيارة [1].

وهناك أعياد أخرى للطائفة اليزيدية كاحتفالهم بـ[نصب تحت يزيد] وعيد «يزيد» بالإضافة إلى أعياد مشتركة؛ حيث يحتفلون بعيد الأضحى المبارك الإسلامي، وكذلك عيد الخضر إلياس، فإن أهل الموصل وتلعفر وسنجاروقضاء عين سفني يحتفل بها اليزيديون والمسلمون والنصارى.

الزواج

المجتمع اليزيدي قائم على طبقات مختلفة، وسوف نتحدث عنهم في حينه، وهم يحرِّمون الزواج بين الطبقات؛ حيث يشترط على كل طبقة أن يتزوَّج أحد رجالها من طبقته، مثلاً: لا يجوز ولا يحق للبير أو الشيخ أن يتزوج من طبقة المريدين، وكذلك لا يحق للمريدين أن يتزوجوا من طبقة الشيخ أو البير.

وقد يحدث الزواج عن طريق الخطف، وذلك إذا أحب شاب فتاة، وأحبته، ثم يتواعدون على يوم معين، فيصطحبها معه إلى قرية أخرى، يحل فيها على شيخ أو ذوي نفوذ، فيكون عنده دخيلاً، فيحميه، ويرسل إلى أهل البيت من يعلمهم بالأمر، ويفاتحهم بالزواج، ومن ثم يتم الزواج بالفرح والسرور. : وإذا دخلت دارها الجديد قذفها عريسها الذي ينتظرها عادة على عتبة الدار بحفنة من التراب المتجمّع إشعاراً لها بسلطته عليها.

---

(1) للمزيد حول هذه الأعياد راجع كتاب/ اليزيدية واليزيديون/ ، د. خلف الجراد.

تعدُّد الزوجات:

تبيح الطائفة اليزيدية تعـدُّد الزوجـات، والتَّعـدُّد عنـدهم محـدود بـأربع نـساء. ويقـول البعض: يجوز لليزيدي أن يعدِّد في الزوجات إلى ستٍّ زوجات.

وقال البعض الآخر : إن تعدُّد الزوجات يصل إلى أربع نساء، ويستثنى من ذلـك الأمـير «مير شيخان» الذي يباح له أن يجاوز ذلك العدد الذي يريد.

ويقال: تزوج الأمير حسن بك سبع نـساء في وقـت واحـد، وهنـاك مَـن اكتفـى بزوجـة واحدة كما عمل الأمير سليم بك وسليمان بك، وقد تزوج الأمير سعيد بك والد الأمير تحسن بك أمير اليزيدية من عشر نساء [1].

الطلاق:

اليزيدية تبيح الطلاق إلا الأمير؛ حيث إن اليزيدية تمنع عليـه تطليـق مَـن تـزوج مـنهن، وحتى لو فعل ذلك، فعليه إبقاء المطلقة في بيته؛ لأنه لا يستطيع أن يتزوجها أحـد مـن بعـده، وهنا نلاحظ كيف أعطوه حالة شبيهة بوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مكانة المرأة:

البنات ليس لهنَّ وراثة في بيت أبيهنَّ، إنما البنـت تبـاع كالحقـل، وإن أبـت عـن الـزواج، فيجب عليها أن توفي أباها بالخدمة، وتعب يديها، حتى يعتقها .

وثمة نساء يزيديات قمن بدور الـ (الفقراء)؛ حيث تقوم بالخدمة في ضريح الشيخ عـدي – عدي بن مسافر– وينذرنَ حياتهنَّ لأداء هذه الخدمة، دون أن يتـزوجنَ، ويحـرم عـلى المـرأة التي تنذر نفسها لخدمة معبد الشيخ عدي بـن مـسافر والبابـا جـاويش الـزواج، أو التـزيُّن، ويوكل إليها إدارة شؤون المطبخ، وتنظيف المعبد، وتحضير الماء، وجني الزيتون، وخزن زيتـه، وطبخ الحنطة، وعمل فتائل للمصابيح الزيتية لإضاءة المعبد وإشعال وإطفاء المصابيح [2].

---

(1) من قاموس الأديان، مرجع سابق.

(2) جورجيت حبيب " فئات الوطن نساء يزيديات الأميرة ميان خاتون والأميرة ونسه الأموي" مقال عبر انترنت

ورغم ذلك فمن الملفت للنظر هو عدم وجود النساء في المناصب الروحانية التي تعتبر حكـراً على الرجال، كما تُمنع المرأة حتى من الاشتراك بالترنُّم وترديـد الأناشـيد الدينيـة مـع القـوَّالين في المناسبات المختلفة، وإن المرأة اليزيدية تتزهَّد حتى في زيّها؛ إذ ليس مـن حقهـا امـتلاك أكثـر مـن زيّين: أحدهما ترتديه في الأفراح والمناسبات الدينية، وملابس بيضاء مـع عمامـة بـنفس اللـون في الأيام العادية، وهي تعمل في الزراعة والحصاد وجني المحصول وتربية المـواشي وصـنع الخمـور والمخللات. وليس من حق الزوجة أن ترث زوجها في حالة وفاته لو تركت بيت الزوجية، بيـنما تظل محتفظة بهذا الحق في حال استمرار بقائها كأرملة في بيت الزوج [1].

ومما زاد من وضع المرأة تخلُّفاً واضطهاداً لها ذلـك المـوروث الاجتماعـي المنتـشر في المجتمـع اليزيدي انتشار عادة خطف الفتاة، التي تعتبر من صفات الشجاعة والفروسية، وقد أثَّـرت هـذه العادة – في كثير من الأحيان – على قيمة المرأة ومكانتها في المجتمع، وتعرُّضها إلى الاضطهاد.

الكرافة:

يعتقدون أن الرجل الذي يحتضن ولد اليزيدي أثناء ختانه يصبح أخـاً لأم هـذا الـصغير، وعلى الزوج أن يحميه ويدافع عنه حتى الموت.

والكرافة رابطة يحرم بسببها الزواج بين المتكـارفين مـن اليزيـديين حتـى سـبعة أجيـال، والكريف يحافظ على كريفه، وعليه ثأره، وأن يحضر زواجه، ووفاته، مهما كانت ظروفه.

بعض المحرّمات عند اليزيدية

ورد في كتابه «مصحف رش» جملة من المحرّمات نصّ عليهـا الكتـاب قـال:[حـرّام علينـا الخس؛ لأنه على اسم نبيتنا الخاسية واللوبياء والصبغ الأزرق وما نأكل السمك لأجل احترامنـا ليونان النبي، والغزال لأنه غنم أحد أنبياؤنا، والشيخ وتلامذته ما يأكلون لحم الـديك احترامـاً لطاووس مَلَك. وطاووس مَلَك هو واحد من الآلهة السبعة المذكورة لأنّ صورته تمثال الديك،

---

(1) المرجع السابق نفسه.

والـشيخ وتلاميـذه مـا يـأكلون القـرع. وحـرام علينـا البـول وقوفـاً. ولـبس اللبـاس قعـوداً والاستخلاء في ادبخانة والغسل في الحمّام، وما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا. وكلا اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط وشر. ولا لفظة ملعون. ولعنة. ونعل. وما أشبه].

أولاً:حرام عليهم أن يتلفَّظوا كل لفظ يشبه اللعن، الـشيطان، وإذا سـمعوا شخـصاً ينطـق بهذه الألفاظ، وكذلك مثل شط، و شحاط، ونعل، وبعل، فعلى اليزيدي أن يقتل القائل، وإن لم يستطع عليه أن يقتل نفسه، وإلا يصبح كافراً، فقد ورد هذا منـصوصاً عليـه في العريـضة التـي رفعوها إلى السلطان العثماني في البنـد الخـامس: شيء لا يمكـن احتمالـه بحـسب ديانتنـا. عنـد الصباح لما تبدون في الصلاة، تبدون تقولون كلام - حاشا - (أعوذ بالله من الشيطان الـرجيم)، وإذا سمعها واحد منا يلزم أن يقتل نفس القائل، أو يقتل نفسه، وإلا يصير عليه كفر).

ثانياً: لا يجوز لليزيدي أن يدخل مساجد المسلمين ومدارسهم، وأن لا يرى المسلم يؤدي صلاته لا في المساجد ولا في البيوت.

ثالثاً: يحرم على اليزيدي أكل السمك، وأكل لحم الغزلان، ولحم الديك، ولحـم الخنزيـر. ويعلِّق على هذه المحرّمات الكاتب اليزيدي بير خدر الجيلكي قائلاً:

الخنازير: منذ فجر البشرية، وتعلُّم الإنسان إدارة شؤونه الحياتية والاجتماعيـة والـصحية تعلم مهنة (الطب)، وما هو مضر ونافع للإنسان، وخاصة منذ بدايـة حكـم نبـوة (موسـى)، وأخيه الحكيم أو الطبيب (هارون) بإدارة شؤون قوم بني إسرائيل، فكانت فتوى ونشر تحريم وعدم تناول لحم الخنزيـر لـدى قومـه إحـدى تلـك الإشـارات المـضرَّة (أخلاقيـاً وصـحياً) للإنسان، فعندما لم يستطيع منع الشعب من تناول لحم الخنزير، قالوا لهم: جاءنـا «الـصوت» من الرب بعدم تناوله. ثم يعلِّق الكاتب ويردف قائلاً: فهل نحن «اليزيديين» من قـوم النبـي موسى والنبي محمد لكييُفرض علينا عدم تناول لحم الخنازير؟ الجواب كلا، نحـن اليزيـديين لسنا من تلك الأقوام، مع كل احترامي لهم، ولكـنْ؛ عنـدما نعيـد النظـر إلى تلـك الخلفيـات التاريخية نلاحظ بأن ولادة وتربية وتعلُّم الشيخ عدي بن مسافر الأموي كانت قريبة إلى موقع وموطن تلك الأقوام والأنبياء.

نستنبط من حديثه أن لحم الخنزير غير محرَّم عندهم، وبالتالي؛ يجوز لليزيدي تناوله، إلا أن الشيخ عدي بحكم مجاورته للمسلمين فإنه قد تأثَّر بهم، ومنع اليزيدية من تناول لحم الخنزير. إذاً؛ التحريم كان تأثيراً تقليداً، وليس تأصيلاً.

الغزال: ويعلّق على تحريم لحم الغزال عند الطائفة اليزيدية قائلاً: منذ فجر البشرية تعلَّم الإنسان كيفية إدارة شؤونه الحياتية والمعيشية، وكذلك تعلَّم تربية الدواجن والحيوانات، ففي زمن وحكم الشيخ عدي «الثاني» حوالي عام 644 هجرية كان الشيخ «شمس الدين» ابن أزدين الأمير أحد وزراء حكمه، فقام بتربية (قطيع) من المعز الجبلي «الغزال»، وأصدر الفتوى، وأبلغ اليزيديين بمنع قتل ذلك الحيوان الوديع، وهو الرفقة به، فكانت ولا تزال تلك الفتوى تتردَّد على الألسنة «القوَّالون»؛ أي الرجال الدين اليزيديين بأن قتل حيوان الغزال (حرام) لكونها مواشي الشيخ شمس الدين.

يبدو أن هذا الكلام غير مقنع لأسباب:

أولاً: هو لم يحرِّم أكل لحم الخنزير، بل أمر بعدم قتله، فكل القوانين والشرائع دعت إلى الرفق بالحيوان، وحتى أثناء ذبحه، فالدعوة إلى الرفق لا تعني الحرمة بتاتاً، شتان بينهما، هذا من ناحية، والأخرى أنه حتى لو دعا هذا الشيخ إلى الرفق بهذا الحيوان، ولكنْ؛ على ما هو واضح أن التحريم منصوص عليه في مصحف رش، ولا أظن أنكم تدعون أن الواضع لمصحف رش هو الشيخ (شمس الدين) والنص يقول: «... والغزال لأنه غنم أحد أنبيائنا.» وليس غنماً لأحد شيوخنا.

ويعلِّق على تحريم لحم الأرانب قائلاً: بعد تسليم إدارة وشؤون اليزيديين إلى الشيخ عدي الثاني تجمَّع حوله العديد من خرِّيجي مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني الإسلامية المحترمة، فكان ولا يزال بعض من أهالي منطقة البصرة العراقية المحترمة يتجنبون تناول لحم الأرنب، لكونه شبيهاً بالمرأة، فأمر مريديه بعدم تناول لحم الأرنب.

والذي نعلمه عن حسن البصري أنه كان يأكل لحم الأرنب، ولم يرد أثر أو رواية عن شيوخ المسلمين بمن فيهم عبد القادر الكيلاني تحرِّم وتشبّه الأرنب بالنساء. فلنفرض أن

حسن البصري أو أهل البصري أو الشيخ عبد القادر لم يكونوا يتناولون لحوم الأرانب، فلم أنتم بسبب شخصية إسلامية أو بلد مسلم حرَّمتم الأرانب على طائفتكم؟ أَليس في هذا ما يدعو إلى العجب والدهشة!

السمك: ويقول في سبب عدم تناول اليزيدية السمك : السبب في عدم تناول السمك من قبل بعض الأشخاص في المجتمع اليزيدي، وخاصة الجيل السابق والمتأخّر (علمياً) جاءت بسبب خرافتين جاهليتين وهما: حسب ما سمعوا من الرجال الدين، وخاصة القوَّالين بأن كوكب الأرض يقف على ظهر السمك والثور، عندما أراد الخلفية الأموي «يزيد بن معاوية» بناء خيمته في عرض البحر لم يجد الركائز اللازمة، فقامت الأسماك بوضع الحبال في رقبتها. لكن النص الحرفي لمصحف رش يفنّد هذا الزعم وهذه الخرافة، بل يأتي بخرافة أنكى من هذه، وهي «ما نأكل السمك لأجل احترامنا ليونان النبي». وإذا كان هذا النص محض افتراء على اليزيدية، إذنْ؛ فلتخرج اليزيدية على العالم، وليعلنوا على الملأ براءتهم من هذا الكتاب، لأنه لا يوافق الواقع، ولا يتمشّى مع مواكبة الحضارة والزمن، ولأن اليزيدية يحلِّلون حرامه.

الديك: ويقول بير خدر في سبب حرمة لحم الديك عند اليزيدية: إن الشيخ فخر الدين ابن أزدين الأمير وهو شيخ القمر حسب الشريعة الجديدة لليزيديين قام بتعيين ولده (عماد الدين) أميراً على منطقة العمادية الواقعة الآن فوق قمة جبل شامخ في كوردستان العراق الحالية، فأمر مريديه بعدم قتل الديك؛ أي ديك الدجاج. فمنذ ذلك كانت الرفقة بهذا الطير الجميل وأحفاده أي كل شيخ أو قبيل شيوخ «عماد الدين» الموجودة والمنتشرة في المجتمع اليزيدي تفرض على مريديه بعدم تناول لحم الديك ،والدليل على كلامي هذا، فأنا من قبيلة بير، ولكن لي بير، والشيخ وهو الشيخ «خديدا» وهو حفيد الشيخ عماد الدين، وكانوا ينصحون عوائلنا بعدم تناول لحم الديك، وكان لا يجيد القراءة والكتابة، ولكنْ؛ كان يتحدث عن خرافات جاهلية...

لكنْ؛ يا سيد بير خدر، هذا الشيخ لم يدعُ إلى تحريم أكل لحم الديك، ولكنْ؛ نادى إلى الرفق به، كعدم ضربه، وتوفير أكله وشرابه... وبالتالي؛ فإن حرمة لحم الديك وردت حرفياً

في مصحف رش، وليس من الشيخ كما تزعمون، فها هو النص الواضح في سبب حرمة لحم هذا الطائر؛ حيث ورد فيه «والشيخ وتلامذته ما يأكلون لحم الديك احتراماً لطاووس ملك. وطاووس ملك هو واحد من الآلهة السبعة؛ لأن صورته تمثال الديك» . فهل بعد هذا السبب الجلي في حرمته يبقى الشك والاجتهاد في تعليل حرمته؟ إنكم لا تأكلون لحم الديك لأنه صورته تشبه صورة ملك طاووس، وهو أحد آلهتكم السبعة.

رابعاً: يحرم على اليزيدي أكل الخس واللهانة (الملفوف) والقرنبيط والقرع وكافة أنواع القرنبيط، الخضروات الملفوفة والخضروات التي تُسَمَّد بمخلّفات الحيوانات، ولا سيما الخس؛ حيث توجد أسطورة يزيدية تقول : لأن الشيطان يختبئ داخل هذه الخضراوات، وبالتالي؛ هي مأوى للشياطين، لذا؛ لا يجوز أكلها.

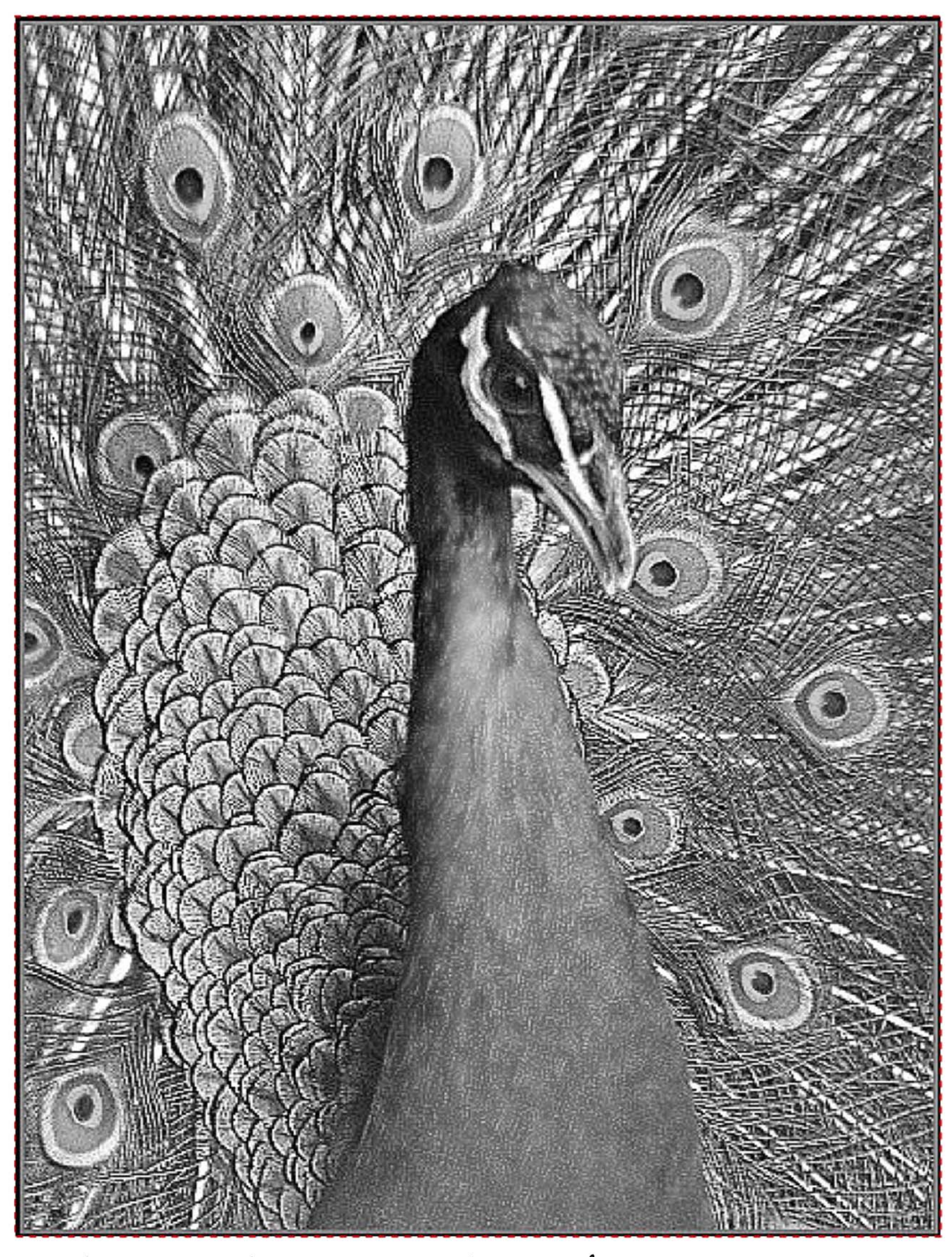
خامساً: يحرِّمون القراءة والكتابة تحريماً دينياً؛ لأنهم يعتمدون على علم الصدر، فأدى ذلك إلى انتشار الجهل والأمية بينهم، مما زاد في انحرافهم ومغالاتهم بيزيد وعدي وعقيدتهم، وتحريم التعليم يعود إلى أمرائهم؛ لكي يعزلوا أبناء اليزيدية عن غيرهم، وتركهم يتخبطون في ظلمات الجهل، ويكون رؤساؤهم ملجأهم الوحيد في أمور الدين والدنيا، يسمعون لهم، ويطيعونهم، وعلى هذا لا يجوز الاطلاع على الدين الإسلامي، ولا على غيره!

سادساً: يحرّم على اليزيدي أن يحلق شاربيه، وأما رجال الدين؛ فيحرم عليهم حلق لحاهم وشواربهم.

سابعاً: لا يجوز لليزيدي أن يحلق عند غير اليزيدي، ولا أن يستعمل الموسى الذي حلق به غير اليزيدي، ولا أن يبيع ملكه لغير اليزيدي.

ثامناً: وتعتقد اليزيدية أن الملائكة تتزاوج في شهر نيسان، وهو شهر فرح ومتعة، فلا يجوز لليزيديين أن يتزوجوا فيه، أو يبنوا في هذا الشهر داراً أو بيتاً، ويتشاءمون ممن يقدم على مثل هذه الأعمال في هذا الشهر.

تاسعاً: وحرَّمت اليزيدية على أتباعها ارتداء الثياب ذات اللون الأزرق - الكحلي- لأنه يقال: من أبرز ألوان الطاووس.



«طاووس ملك»؛ إذ إن اليزيدية يُحرِّمون على أتباعها ارتداء اللون الأزرق والكحلي لأنه من أبرز وأزهى ألوان «الطاووس».

عاشراً: يحرص اليزيديون على عدم إجراء مراسم الزواج ليلة الأربعاء، كما أنه من غير المستحبّ اقتران الرجل من زوجته - معاشرتها- في هذه الليلة.

حادي عشر: وإذا رُسمت دائرة على الأرض حول اليزيدي، فإنه لا يخرج من هذه الدائرة، حتى تمحو قسماً منها، اعتقاداً منه بأن الشيطان هو الذي أمرك بذلك.

ثاني عشر: ولا يجوز لليزيدي أن يبصق على الأرض، ولا في وجه إنسان، أو أي مخلوق، وسبب التحريم هو أن البصاق يشير إلى إهانة طاووس ملك، وكذلك لا يجوز لليزيدي أن يبوِّل واقفاً.

ثالث عشر:الزنى والخيانة في الحياة الزوجية من المحرّمات عند اليزيدية، وكذلك هم يقيمون حدَّ الرجم على المرأة الزانية.

الرجم:

تقيم الطائفة اليزيدية حدَّ الرجم على المرأة الزانية أو التي خانت الزوجية، ولكنْ؛ إن زنت المرأة اليزيدية مع شخص يزيدي، فإنه قد يغفر لفسقها، ومعصيتها.

أمّا لو زنت مع شخص لا ينتمي إلى اليزيدية، فإن جزاءها القتل؛ لأنها قد تنجب شخصاً ليس يزيدياً من ناحية الأب، وهذا ما لا يقبله المجتمع اليزيدي. وفي هذا السياق – أي الرجم– يسرد الباحث اليزيدي [1] (أبو أزاد) في مستهلِّ مقاله يتحدَّث عن المقارنة بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان،إلى أن يصل إلى الحلقة الثالثة والرابعة من مقاله، ثم يذكر بعض الجرائم التي وقعت في المجتمع اليزيدي، ومن بينها هناك ثلاثة جرائم أقامها البعض من أبناء هذه الطائفة على فتيات يزيديات لمجرد شبهة لا تصلح في قتل حيوان، بينما هم أقاموا حد الرجم عليهن حتى الموت، وفي إحدى هذه الجرائم تدخَّلت حكومة الإقليم في محاسبة الجناة، ونالوا جزاءهم. و يقول الباحث من هذه الحوادث التي وقعت أحداثها في إحدى القرى اليزيدية حيث كانت فتاة يزيدية تعيش بين أحضان أسرتها في إحدى البلدات العراقية وشاء

---

(1) في مقال له عبر شبكة الإنترنت، وفي بادية مقاله يقارن بين السلوك الحيواني والسلوك الإنساني،وذلك في أربع حلقات.

القدر أن تبقى هذه الفتاة أكثر من يوم في منزل أحد الجيران من المسلمين مع صديقتها، وكان ما كان وقيل ما قيل... إلا أن هذا الكلام كان سبباً في قتل الصغيرة المسكينة على يدي مجموعة من الشباب، وفي قعر دارها .

ثم يسرد عدة حوادث شبيهة بهذه الحالة، وفي نهاية المطاف أو بين سطور مقاله يشناالهجوم العنيف على الدين الإسلامي، وكأن المسلمين هم الذين أقام حدَّ الرجم على هذه الفتاة، وليس هم شباب اليزيدية الذين هم تربية سلوك فاسد.

ثم يقول إن اليزيدية أخذت عقوبة حدَّ الرجم العنيفة من المسلمين.

لا أعرف لماذا هؤلاء المساكين- اليزيدية- يتأثَّرون بجيرانهم من المسلمين والنصارى، لِمَ هذه البساطة، وعدم الثبات لدى أبناء هذه الطائفة، أَمَا عندهم ما يتمسَّكون به، وينهضون عليه من غير أن يتأثَّروا بالآخرين؟!

ومن ثم يبدو أن الكاتب جاهل تماماً بالدين الإسلامي، وبكيفية تطبيق الحدود عند المسلمين، فالحدود لا تُنفَّذ عشوائياً واعتباطياً كما فعله أبناء اليزيدية، وتشترط الشريعة الإسلامية أربعة شهود عدول، وأن يكونوا قد شاهدوا ارتكاب جريمة الزنى بأم أعينهم، وإلا؛ فالشهود يُعاقَبون عقوبة حدّ القذف بسبب إساءتهم لأعراض الناس، وكذلك لو أن شاهداً من بين هؤلاء الأربعة مشهور بالكذب أو بعدم المروءة، فيجب أيضاً معاقبتهم بحدّ القذف؛ لأن أعراض الناس ليست ألعوبة بأيدي الذئاب من البشر والسفلة، كي لا يقولوا عن أعراض الناس ما يشاؤون،ويفعلوا ما يشاؤون .

وأقول لك أيها الباحث لكي تدرك وتعرف ما كنتَ تجهله عن الدين الإسلامي، ففي الدين الإسلامي لا يوجد شيء اسمه رجم الفتاة بتاتاً؛ أي أن المسلمين لا يقيمون حدَّ الرجم على غير المتزوجات، ولكنْ؛ فقط على المحصَّنات؛ أي المتزوجات اللاتي يخُنَّ حياتهنَّ الزوجية، ولكنْ هل نترك هذه العقوبة بيد العوام كما تفعلون أنتم؟ لا، يجب أن يتم هذا بيد أولي الأمر في المجتمع، بعد بحث وتحرّ دقيقين. وتنكرون أشد الإنكار قول القائل بأن اليزيدية انبثقت من بطن الإسلام، وأنها قائمة بذاتها. وتتقهقر في قولك بالقول: إنهم أخذوا

الرجم من الإسلام،لمَ يقول هذا؟ لأن هـذه العقوبـة لا تحلـو لـه، فكـل شيء فاسـد عنـدهم ورديء نجدهم يلصقونه بالإسلام، والإسلام بريء من خرافاتهم، فلمَلا تقول إنكم أخـذتم الطـواف مـن المـسلمين، والزمـزم مـن المـسلمين، وكـذلك جبـل عرفـات؟ أَ ليـست هـذه المصطلحات تسميات لمقدسات إسلامية؟ ثم أطلقتم هذه التسميات على ماء وجبـل ومرقـد الشيخ عدي عندكم تشبيهاً بالمقدسات الإسلامية؟!

أنت الذي كنت تتحدث في مقالتك عن الإنسانية والحضارة وتقول إن الحيوان - أحيانـاً - أكثر رحمة من البشر، ومن ثم تأتي وتدَّعي شيئاً لا تطبقه؟ ألاتعلم أنـك تـبرئ نفـسك مـن التسامح والرحمة، حينما تهاجم الإسلام؟ أم أن هجومكم هو عين الرحمة في نظركم؟!

ثم يتابع فيبرهن على حقده الدفين وبغضه للإسلام، حتى يأتي ويسرد حـديثاً لرسـول الله بعد تحريف قام به هو، وليدلِّل به على عدم التسامح في الإسلام، وعلى أنـه ديـن يعتـدي عـلى الآخر، حتى لو كان هذا الآخر مظلوماً، فيقول : عند المسلمين حديث هذا نصه: انصر أخاك المسلم ظالماً أومظلوماً .

لا يخفى على أحد أنه ماكر ومحرِّف وحاقـد، ألا يكفـي أنهـم حرفـوا اليزيديـة؟ ثـم يـأتي هوويحرف حديث رسول الله عن موضعه، إن الحـديث لـيس كـما ذكرتـه أنـت، وإنـما نـص الحديث كالآتي: قال رسول الله: {حدثنا ...... عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: انصر أخـاك ظالمـاً أو مظلومـاً. قـالوا: يـا رسـول الله، هـذا ننـصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً، قال: تأخذ فوق يديه [1]}؛ أيْ تمنعه عن الظلم.

أولاً: لا يوجد في الحديث كلمة «مسلماً» بتاتاً، يعني انصر المظلوم، ولو كان غـير مـسلم، وامنع الظالم حتى لو كان مسلماً.

ثانياً : ليست نصرة الظالم يكون بمفهومك القاصر التي تفسِّره أنت، بأن نعين الظالم عـلى ظلمه، ليس هذا بتاتاً.

---

(1) رواه البخاري، رقم الحديث 2312.

قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1].

طبقات المجتمع اليزيدي

الأمير: ويسمَّى عندهم «مير الشيخان»، وهو يقيم في قرية «باعذرا»، وهي إمارة وراثية، حصرها الشيخ حسن منظِّم الدعوة في أولاده. ويتمتع الأمير بسلطة دينية ودنيوية على اليزيدية، وكلامه لا يُرَدُّ، وطاعته واجبة.

بابا شيخ: إقامته في مرقد الشيخ عدي، وهو الرئيس للطائفة اليزيدية دينياً، وهو عندهم من نسل الشيخ فخر الدين، وظائفه محصورة في الشؤون الدينية، وإليه يرجع الأمير في كل أمر ديني، وبابا شيخ لا يشرب الخمر، فهي عليه حرام، بخلاف ما عليه اليزيدية من شربها، ويحتفظ بسجادة مقدسة عندهم، ويذكرون أنها سجادة الشيخ عدي.

الشيخ: الشيوخ يتوارثون موقعهم الديني، وهي عندهم من ثلاثة أصول هي : الأدائية والشمسانية والقتانية؛ أي العدناني وأبناء عبد شمس وقحطاني، وهذه كلها من قريش، ولكل أسرة عمل خاص، فقد تخصَّصت أسرة الشيخ حسن، وهي من الأصل الأدائي بالقراءة والكتابة اللتين حرِّمتا على غيرهما،... وقد حرَّم المذهب اليزيدي التزاوج بين أسر هذه الأصول الثلاثة تحريماً مطلقاً، كما فرض على كل يزيدي ذكراً كان أم أنثى أن يكون له شيخ يقاسمه رزقه، ويكفِّر عنه سيئاته، ويحضر وفاته، ويغسِّله، ويكفِّنه، ويقبره.

البير: وهو المرشد أو المربي أو الطاعن في السن، وهم منتشرون في القرى، يتولون إرشاد المريدين، وتوجيههم إلى أصول الديانة اليزيدية، ويكون البير في مرقد الشيخ عدي أيام أعيادهم، ويتولى إطعام المريدين وتوجيههم إلى أداء الطقوس الدينية.

---

(1) سورة النساء، الآية 46.

الفقير: وهو المسكين الذي لا يملك شيئاً، وقد ترك الدنيا وزينتها، ورغب في الآخرة، ولزم «تكية» الشيخ عدي. وشعارهم خرقة سوداء هي خرقة التصوف التي كان يُلبِّسها الشيخ عدي لمن يراه أهلاً لها.

القوَّال: ويطلق عليه «مرتِّل»، وهم الذين يتولُّون تقديم الأناشيد في المناسبات الدينية، والقوَّال: لا يحلق لحيته، ولا شاربيه، ويلبس على رأسه، ويحملون معهم «السناجق» طاووس ملك أثناء جولتهم السنوية لجمع النذور والتبرُّعات.

الكَوجك: مهمَّتهم تغسيل الأموات، وتكفينهم، ودفنهم، وإعلام أهلهم بمصيرهم بعد الموت؛ إمَّا ينعمون، أو يشقون، وكذلك يدّعون أنهم يتصلون بالغيب، ولما يكون في المستقبل من الأمور المقدَّرة على العالم.

المريد: وهؤلاء هم عامة الناس من اليزيدية، سواء كانوا صغاراً أم كباراً، رجالاً أم نساءً، وهؤلاء محرومون من التعليم، ومن إبداء الرأي، وليس لهم من الحرية شيء، وكذلك لا يحق لهم التكلم بأمور الدين، ولا يكمل إيمان اليزيدي إلا إذا استسلم لرؤساء الدين، ولا بد أن يكون لكل مريد أو مريدة شيخاً أو بيراً معاً، فيقدم إليهما النذور والخيرات، ويتلقى من التعليمات والإرشادات، ولا يحق للمريدين أن يتزوجوا من الفئات السابقة .

الموازنة بين تشريعات الزرادشتية واليزيدية

بعد أن تحدثنا عن تشريعات كل من الزرادشتية واليزيدية، حري بنا أن نشرع في المقارنة والموازنة بين أحكامها، لنرى وجه الاختلاف عندهما، ووجه الشبه، إنْ وُجد، ومن ثم نحكم من هذه الأرضية: هل فعلاً أن اليزيدية ذات فرع وغصن من شجرة الزرادشتية العريقة، التي طالما آمنت وخضعت لها معظم شعوب المنطقة بأسرها؟ وهل فعلاً أن اليزيدية فتقت من صلب ورحم الزرادشتية؟ أم أن اليزيدية لا تعرف شيئاً عن الزرادشتية، لا في أحكامها، ولا في تشريعاتها الدينية، وبالتالي؛ فإن اليزيدية لا تمتُّ بصلة إليها؟

التوحيد الذي جاء ونادى به زرادشت، والذي ورد في الآفستا: منه عبادة الله وحده، لا شريك له.

بينما في اليزيدية نجد بالإضافة إلى عبادة الله العديد من الآلهة الأخرى التي تتجاوز في عددها سبعة آلهة، كـ «ملك طاووس»، وهناك إله للمطر، وإله للولادة، وإله للمرض، وإله للفيضان، بالإضافة إلى المزارات والشيوخ التي يرفعونهم في سمو ومصافِّ الإله، ويقدمون لهم القرابين والنذور.

- الديانة الزرادشتية لا تعرف شيئاً عن ملك طاووس وعن السناجق وجولاتهم وكذلك تلك (الطاسة) التي تكون برفقة السناجق، ويشرب فيها اليزيديون أثناء جولات القوَّالين بالسناجق في قرى ومدن اليزيدية للتبرُّك، وابتغاء مرضاة ملك طاووس.

- في مواضع كثيرة في الآفستا جاء فيه إعلان ومجاهرة لقطيعة الشيطان، وعدم اتِّباعه، وأنه مضلّ للبشرية، وعلى الإنسان بذل قصارى جهده لدحره، وهزيمته.

- أما في اليزيدية؛ فهم بخلاف هذا كله، فربما لو أنهم وجدوا إهانة الشيطان في الآفستا لقاموا بتمزيق وبتر الآفستا من غير تردُّد، ولطرحوه أرضاً بلا هوادة، علاوة على هذا هم اتخذوا الشيطان - أحياناً - إلهاً، وحيناً آخر ملكاً مقرَّباً، ومن ثم يقدمون له القرابين والعطايا.

- أهم المبادئ الأساسية في الزرادشتية ثلاثة مبادئ نادى بها زرادشت، وهي القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر الحسن.

بينما لم نجد مثل هذه المبادئ في اليزيدية كنصوص مدوَّنة، وإن كانوا في حياتهم العملية يسعون لتطبيق هذه المبادئ، أمَّا كنصوص مدوَّنة مثل الزرادشتية؛ فلا.

- أركان الديانة الزرادشتية: التوحيد، والإيمان بزرادشت والأنبياء، وبقاء الروح،والحساب، والجنة والنار، والمعاد في يوم القيامة.

-بينما نجد الأركان في اليزيدية: الإيمان بالله وبملك طاووس، الشيطان، والشيخ عدي ابن مسافر وتراب ضريحه، وآلهة أخرى متعددة، لا يؤمنون باليوم الآخر، وأن الإنسان الشرير يتحول إلى حيوان نجس بعد موته، والمعاد والحساب يكون في معبد لالش.

- في الزرادشتية هناك الاعتقاد بوجود ستة ملائكة مقدسين، وهم معاونون ومساعدون لزرادشت، بأمر من الله.

- بينما في اليزيدية لا يوجد شيء من هذا القبيل، بل إن الله أول ما خلق بعد ملك طاووس خلق مشايخ اليزيدية، ففي مصحف رش الأمر كالتالي:

يوم الاثنين خلق ملك دردائيل، وهوشيخ حسن.

ويوم الثلاثاء خلق ملك إسرافيل، وهو الشيخ شمس.

ويوم الأربعاء خلق ملك ميكائيل، وهو شيخ بكر.

ويوم الخميس سجاد الدين.

ويوم السبت فخر الدين . وفخر الدين هو الذي خلق الإنسان والحيوان والطير والوحوش.... .

- في الزرادشتية الاعتقاد بالجنة والنار والثواب والعقاب، وأن الناس سيبعثون من قبورهم للحساب والجزاء.

- بينما في اليزيدية لا جنة ولا نار، وكذلك عدم الإيمان باليوم الآخر، بل هم يعتقدون أن تجمُّعهم سيكون عند معبد لالش للحساب، ومن ثم سينهض الشيخ عدي، ويأخذ بيد الطائفة اليزيدية في طبق على رأسه إلى الخلاص والنجاة، بينما الملل الأخرى سيكون مصيرهم العذاب والشقاء.

- الزرادشتية يحرِّمون الخمر، وخاصة في أول مهدها؛ حيث إن زرادشت نبذ كل المسكرات، ورفضها رفضاً قاطعاً، واعتبرها من أعمال «أهريمان»؛ أي الشيطان.

- الأمر مختلف تماماً في اليزيدية، فهم لا يحرِّمون الخمر، بل جل احتفالاتهم لا تكون سعيدة إذا لم يقدَّم ويشرب فيها المسكرات، إلا أن التحريم يقتصر على بعض المشايخ كالبير والكوجك.

- الزرادشتية لا يدفنون موتاهم، بل يضعونهم على أبراج عالية تسميها بـ (أبراج الصمت)؛ ليكون جثة الميت طعاماً وزاداً للطيور الجارحة، علاوة على هذا، فهم يخشون ويعتبرون أن الأجساد بعد مفارقة الروح لها تتحوَّل إلى أدران، ولا يحبِّذون تنجيس الأرض بجثة الميت.

- أمَّا اليزيدية؛ فإنهم يدفنون أمواتهم بالأرض، ويقال إنهم يضعون قليلاً من بعر الغنم - روث - حتى لا تأتي الحيوانات المفترسة لإخراج جثة الميت، وبعد دفن الميت يمكث الكواجك فترة يسيرة على القبر، حتى يعرف مصير الميت بعد دفنه، وليدرك روح الميت إلى أي كائن حلَّ، ومن بعد يذهبون إلى ذوي وأقارب الميت، فيخبرونهم بمصير فقيدهم، وأين صارت روحه.

- الزرادشتية يتوجَّهون إلى الشمس، أو أي مصدر ينبعث منه نور كالقمر أو النار والنجوم .

- اليزيدية - أيضاً - يتوجَّهون في الصباح إلى الشمس، بشرط أن لا يراهم أحد من المسلمين أو غيرهم.

- الزكاة مفروضة على الزرادشتي، وتُؤخذ من أموالهم نصاباً معلوماً.

- أمَّا في اليزيدية؛ فهي ليست مفروضة، بل عملاً تطوعياً، فقد يقوم اليزيدي بدفع قدر من ماله اختياراً من عند نفسه، ولكنْ؛ قد يتحوَّل هذا الأمر إلى واجب، ولا سيما أثناء جولات السناجق في قرى ومدن اليزيدية،وهذا تقرُّباً إلى ملك طاووس.

- الزرادشتية يُصلُّون في اليوم خمس مرات، وعليهم أن يؤدُّوا خمس أوقات مفروضة عليهم.

- أمَّا اليزيدية؛ فعليهم - فقط - أن يتَّجهوا عند شروق الشمس لموضع الشروق، ويردِّد بعدها تراتيل، وهم يقولون بأن الشيخ عدي أسقط عنهم الصلاة والصوم، وإنهم ليسوا بحاجة إليهما.

- الزرادشتيون يقومون بأداء عبادة الحج إلى معبد للنار في مدينة باكو بأذربيجان.

- بينما اليزيدية فيقومون بأداء عبادة الحج إلى ضريح ومرقد الشيخ عدي بن مسافر، الكائن في معبد لالش، ويبدؤون بالطواف حول مرقد الشيخ. وحكم الزيارة فرض على كل يزيدي، سواء كان صغيراً أم كبيراً، قرب سكنه من المعبد أم بَعُد.

- الزرادشتيون لا يعرفون شيئاً عن تلك البراتة - تراب مأخوذ من مرقد الشيخ عدي - التي يحملها اليزيدي في إقامته وسفره، وعند وفاة أحد اليزيديين يجب أن يُوضَع قليل من هذا التراب في فمه، وإلا يموت كافراً.

- الطائفة اليزيدية محصورة على بضعة عشائر كردية فقط، ولا يجوز لأحد أن يعتنق اليزيدية إلا إذا كان يزيدياً بالمولد - أي أن يكون من أب وأمّ يزيديين-.

بينما الزرادشتية كانت ديانة الكرد والفُرس وغيرهم من شعوب المنطقة، ويرى البعض بأنها كانت دعوة لكافة شعوب المنطقة كدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

أما عن الزواج؛ فالزرادشتية تبيح تعدُّد الزوجات، ويفضِّل زرادشت المتزوج عليالأعزب، ويقال بأن زرادشت تزوج من ثلاث نسوة.

أما في اليزيدية؛ فإنهم أيضاً يعدِّدون الزوجات بحدود أربع، وبعضهم قالوا: بحدود ست، لكن أمراءهم لا يتقيدون بعدد معين من الزوجات.

- الشهادة عند الزرادشتية هي كالتالي: «أشهد بأني مؤمن بالله الخيِّر الغني، وأتبع زرادشت رسوله الكريم».

- بينما الشهادة في اليزيدية تكون هكذا «أشهد أن لا إله إلا الله شيخ حسن شيء لله»، أو«أشهد أن واحد الله، سلطان يزيد حبيب الله».

- اليزيدية يحلفون بـ الله وطاووس ملك والشيخ عدي والشيخ عبد القادر وبالخرقة.

- بينما هذه الأشياء المقدسة لدى اليزيدية لا توجد مثيلتها في الزرادشتية إلا «الله»، وهم - أيضاً - يحلفون بالله تعالى، و بزرادشت، وبالنار، وكذلك بالآفستا.

- اليزيدية يقدِّسون الخرقة، وكذلك يقدِّسون لابسيها، فمثل هذا الأمر معدوم ومجهول عند الزرادشتية، فالزرادشتية عندهم الصدرة، وكذلك الكوشتي.

- الأعياد اليزيدية مثل رأس السنة «سر سالى» - وهذا ليس عيد النيروز، ونصب تخت يزيد، وعيد مربعانية الصيف، ومربعانية الشتاء.

- في الزرادشتية لا يوجد مثل هذه الأعياد سوى عيد النيروز في الاعتدال الربيعي، والمهرجان في الاعتدال الخريفي، ويقال بأن زرادشت هو الذي وضع لهم هذا العيد، لكن هذا العيد يحتفل به الأكراد؛ حيث أصبح عيداً قومياً لديهم، وبمن فيهم اليزيديون، وكذلك إيران وأفغانستان وعديد من شعوب المنطقة، وهناك مناسبات أخرى غير التي عند اليزيدية.

اليزيدية يدّعون أنهم من نسل آدم فحسب، وإنهم لا ينتمون إلى حواء إطلاقاً.

- بينما هذا الادعاء غير موجود في الزرادشتية.

- المحرَّمات في اليزيدية مثل عدم أكلهم للحم الغزال والديك والسمك، وكذلك بعض الخضروات كالملفوف والخس والقرع.

فهذه المحرَّمات هي من الطَّيِّبات لدى الزرادشتية، لكن الزرادشتية لا يذبحون الحيوانات، حتى تهرم؛ لأن نبيهم زرادشت أوصاهم بالحيوانات خيراً، ولا سيما الأليفة منها.

- اليزيدية يتقرَّبون إلى ملكهم طاووس بالقرابين وذبح الحيوانات كالثور والبقر والغنم، وكذلك في مناسباتهم وأعيادهم الدينية.

- في مجتمع الزرادشتية، الناس كلهم سواسية، لا فرق بين كبير وصغير، وعابد وعامل، فلا وجود لتلك الطبقات الموجودة عند اليزيدية، وحتى نظام كهنة معابد النار، فإنه

مستحدث، لم يقرّه زرادشت، وبالتالي؛ فللفرد الزرادشتي أن يتزوج من أي فتاة، فلا مانع مادام هناك تراض، ولا يوجد تلك العوائق الموجودة عند اليزيدية، ولا يوجد في المجتمع الزرادشتي طبقات عليا وأخرى سفلى.

بينما في اليزيدية هناك عدة طبقات: طبقة الأمراء والشيوخ والبير والقوَّال والكوجك، وهناك الطبقة الدنيا التي يجب عليها أن تحترم الأعلى منها مرتبة، وبالتالي؛ لا تستطيع هذه الطبقات التزاوج من طبقة أعلى منها، وعلى أفراد كل طبقة أن يأخذوا ويتزوجوا من طبقتهم حصراً.

- وحتى في انتشار وتواجد الزرادشتية، فالمناطق مختلفة تماماً.

- الزرادشتية ينتشرون في الهند وباكستان وإيران، وفي المدن التالية: بومباي - يزد طهران كرمان - وكراتشي.

- بينما اليزيدية فينتشرون في قضائي الشيخان وسنجار في شمال العراق، وكذلك زاخو وعدد قليل في أربيل .أمَّا في سورية؛ فيتواجد عدد يسير في منطقة حلب، عفرين، تحديداً، وكذلك في مناطق الجزيرة.

المتشيِّع اليزيدي:

يدَّعي هذا الشاب أنه كان يزيدياً، ثم ترك ملَّته، واعتنق الدين الإسلامي، بعد أن عرف خرافة وأسطورة اعتقاده الأول، إلى أن أدَّى به الحال أن يعتنق الإسلام بعد دراسة جادة ذاتية قام بها، ومن ثم؛ دخل عالم التَّشيُّع بعد أن كان سُنيَّ المذهب، هذا ما ورد في الحوار الذي أُجري معه، ونُشر على مواقع عديدة على شبكة الإنترنت، وقمتُ من جانبي بحذف بعض الكلمات التي كانت تخلو من الوقار والحياء، ونحن لا ندَّعي صدق أو كذب ما أباح به عن الاعتقاد اليزيدي، فكلامه لا يُثبت، ولا يُنشئ مركزاً جديداً، فما ذكرناه في كتابنا هذا عن حقيقة اليزيدية، وما استدللنا واستشهدنا به من مصادر وكُتُب اليزيدية أكثر من غيرها يكفي برهاناً، وشاهداً على حقيقة تاريخ ونشأة هذه الطائفة، وحتى جانب الطقوسات والعبادات منها، حيث اعتمدنا على كتابهم مصحف رش، وما ورد فيها من أحكام عن الحلال والحرام لدى اليزيدية، وبعض الأساطير المتداولة على ألسنة العوام والمشايخ اليزيدية. وبالفعل لو أن

هذا الشاب كان يزيدياً في وقت سابق، لا بد أنـه عايـشهم واصـطحبهم في حيـاتهم اليوميـة، وأدرك حقيقة وكنه اعتقاد ملَّته السابقة، أو على الأقل أنه أدرك وتعلَّم الكثـير مـن أبيـه وأمِّـه اليزيديَّيْن، فلا بد أنهم تحدثوا مع أولادهم عن معتقدهم ودينهم كشأن جل العائلات عنـدما تُفاتح وتتحدَّث مع أبنائها في هذا الخصوص، وأهل مكة أدرى بشعابها، وهاكم الحوار:

المتشيّع اليزيدي :عامر سلو رشيد

العراق الموصل

مواليد عام (1967م)

اعتنق التشيع عام (2001)

الغموض هو أبرز سمات أتباع طائفة اليزيدية – القاطنين في شمال العراق ومناطق متفرقة أخرى – فهم يشتركون مع الدروز وبعض الفرق الباطنية بشدة التَّكتُّم والسِّرِّيَّة عـلى أصـول وفروع مذهبهم، وكان هذا الغموضوالابتعاد عن الأضواء هو سرُّ توجُّه البـاحثين والمـؤلّفين بالكتابة عنهم وشرح أحوالهم وأسرارهم – إن حالفهم الحظ– وبالفعل؛ صدرت عدة كُتُـب وبحوث حاولت – بصورة وبأخرى – عرض المعتقد اليزيدي بما تـوافر لـديهم مـن مـصادر نادرة للغاية، أو حكايات، حصلوا عليها من هنا وهناك .

ولكنْ؛ أن نسمع الحقائق مفصَّلة من رجل وُلد يزيدياً، وعـاش في تلـك البيئـة، ومـارس طقوسها الدينية، فهو حدث جديد، بل يُعدُّ الأول من نوعه، والأغرب من كل هـذا وذاك أن الرجل اليزيدي – بالأمس – أصبح شيعياً إمامياً اليوم. فما هي أسرار اليزيدية ؟ وما سر هذه التسمية؟ وكيف تحوَّل هذا الرجل اليزيدي إلى شيعي؟ هـذا مـا سـنعرفه مـن خـلال الحـوار الشَّيِّق الذي أجريناه معه. وهذه تفاصيله :

في البداية؛ ما هويتكم؟

اسمي عامر سلو رشيد من مواليد 1967 للمـيلاد. وُلـدت بمدينـة الموصـل العراقيـة في الناحية التي تقطنها القرية اليزيدية (بعشيقة)، ومن خـلال التقليـد الأعمـى وجـدتُ نفـسي يزيدياً على طريقة آبائي، ونشأتُ نشأة يزيدية من دون أن أعرف كيف؟ ولماذا؟

ما هي الخطوط العقائدية العريضة لهذه الفرقة التي لا يُعرَف عنها الكثير؟ وما هو سرّه؟

الغموض هو أول شيء.

الغموض جاء إثر السلطة الدينية اليزيدية التي سعت منذ القدم وإلى اليوم أن تعتبره من أبرز المعالم اليزيدية .

- ما هي هذه السلطة الدينية؟ ولماذا سعت لإبقاء حالة الغموض بينكم؟

هناك سلطة دينية تشرف على الفرقة اليزيدية، وتتولاها أسرة (بيت الأمير)؛ حيث يعود نسبهم إلى عدي بن مسافر الأموي الصوفي، الذي ينتهي نسبه إلى بني أمية، ومن أجل بقائهم في هذا المنصب سعوا إلى نشر سياسة التعتيم بين أفراد اليزيدية، ليبقى كل شيء غامضاً، ومن ثم أباحو لأنفسهم كل شيء، وحرَّموا أشياء وأشياء عن بقية أفراد قاعدتهم، مثل الدراسة، فقد حرَّموها على اليزيدية ليعيشوا الجهل المطبق، بينما أباحوا التَّعلُّم لأنفسهم، إلى أن عرف الناس كذبهم، وأخيراً؛ سمحوا لنا بالدراسة منذ عام 1980 للميلاد .

اليزيدية ما سرُّ هذا الاسم؟ هل هناك علاقة بيزيد بن معاوية؟ أم ماذا ؟ وهل يعبد اليزيديون الشيطان كما يقال؟

لقد ذكر بعض مَن كتب عن ملَّتنا أن سبب التسمية هي نسبة إلى (يزد) المدينة الإيرانية، وبعضهم احتمل نسبتهم إلى يزيد بن معاوية، ولكن الحقيقة ليست كذلك.

فاليزيديون يعتقدون أن الشيطان كان نبياً بعثه الله إلى العالم كله، ولكن المسلمين لعنوه، ولم يتبعوه، وهكذا انحرف المسلمون! وظل اليزيديون وحدهم يتبعون هذا النبي - الخرافي- الذي له عدة أسماء في عقائدهم؛ منها (طاووس ملك)، ومنها (يزيد)، ومن هنا جاءت تسميتهم باليزيديين، ولكنْ؛ لا ننسى أن تأسيس هذه الفرقة جاء كما أسلفتُ من شخص يتحدَّر من نسب يزيد بن معاوية.

- وماذا عن عقائدهم أيضاً؟

لليزيدية حجّ، كما للمسلمين حجّ، ولكنهم يحجُّون إلى قبر منسوب إلى بلال الحبشي، وبالقرب منه عين ماء يعتقدون أنه ماء زمزم يأتي من مكة إلى منطقتهم، ويعتقدون أن

المسلمين سرقوا منهم آية الكرسي، وعيد الأضحى، ففي كل بيت يزيدي تجد آية الكرسي معلَّقة على الجدار!

وهم يبتعدون عن الألفاظ القريبة في إيقاعها الصوتي من أسماء الشيطان، كما ولهم خرافات أخرى .

- كيف فكَّرتَ بالانتقال من اليزيدية إلى الإسلام؟

هناك ذكريات أثَّرت في حياتي، فقادتني بمرور السنين إلى الإسلام.

- هل لك أن تذكرها لنا؟

نعم، أذكر أني رأيتُ والدتي وهي صائمة في شهر رمضان، مع أن اليزيدية لا يصومون فيه، ولَمَّا سألتها عن ذلك - وكان عمري آنذاك 10 سنوات - أجابت : لقد حدثت لنا مشكلة خطيرة جداً في يوم ما، فتوسَّلتُ بملك طاووس (الشيطان في العقيدة اليزيدية)، كيف يكشف عنا هذه الملمَّة، ولكنْ؛ دون جدوى، ثم توسَّلتُ بني النصارى عيسى بن مريم، فلم أر أي نتيجة، ومازال الخطر محدقاً بنا ،ثم فكَّرتُ أن أتوسَّل نبي المسلمين محمد، وكنتُ قد نذرتُ أن أصوم شهر رمضان كما يصومه المسلمون، إن خرجنا من هذا المأزق ببركة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وفعلاً فقد رأيتُهُ في عالم الرؤيا نورانياً بهياً قد بشَّرني بالفرج، وزال الخطر عنا، وأخذتُ أصوم شهر رمضان من كل عام. هذه القصة شدَّتني إلى النبي العظيم، وضعف - بالمقابل - اعتقادي بـ (طاووس ملك).

- وكيف دخلتَ الإسلام بعد ذلك؟

ظلَّت هذه القصة تدور في ذهني حتى كبرتُ وتجاوزتُ العشرين عاماً، فأخذتُ أسأل من بعد أصدقائي - اليزيديين - عن كتابنا المقدَّسأين هو؟ وماذا فيه؟ ولماذا لا يُطبَع؟ بل لماذا لا يُسمَح لنا برؤيته كبقية الديانات؟ فكنتُ أواجَهُ بالنفي وعدم التَّدخُّل بهذا الموضوع؛ لأنه من اختصاصات بيت الأمير، وهم وحدهم لهم صلاحية النظر في هذا الكتاب (المقدس)، الذي يطلقون عليه اسم (رش)، وهو يعني الكتاب الأسود، وهو مؤلَّف من سبع صفحات فقط.

ولكني تابعتُ البحث وسؤال الناس، بل من المقربين من بيت الأمير، حتى وصلتُ إلى نتيجة قطعية أنه لا وجود لمثل هذا الكتاب، وإنما هو مجرد أكذوبة، حاكها بيت الأمير لخلق هالة من القداسة الزائفة لمثل هذا الدين الخرافي، فأيقنتُ أني أؤمن بأشياء لا وجود لها. ثم اتصلتُ بأحد المسلمين الذي زوَّدني بالكُتُب الإسلامية، فقرأتُ أول كتاب وهو عن قَصَص الأنبياء؛ فتأثَّرتُ بقصة سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)، مع ما كنتُ أحمل في ذهني من صور الإعجاب والقداسة والاحترام له (صلى الله عليه وآله).

الخاتمة:

مجمل ما سلف في مؤلفنا هذا أننا وجدنا أن جلَّ العلماء والمؤرِّخين أقرُّوا بنبوة زرادشت ورسالته السماوية، وأنه ظهر في بلاد فارس، وكان نبياً للشعوب المنطقة قاطبة من الكرد والفُرْس وغيرهم من بلاد المجاورة، ويذكر بعض المؤرّخين أن قورش الأكبر بعد أن أخذ بثأر زرادشت من الطورانيين؛ حيث أجبرهم على اعتناق الزرادشتية، مما يبرهن أن هذه الديانة لم تكن محصورة في قوم وعِرْقٍ بعينه، بل كان هذا الدين دعوة لكافة شعوب المنطقة إلى عبادة الله وحده.

جاء زرادشت رسولاً إلى قومه، وعلى امتعاض ونكران منهم؛ حيث لم يقبلوا دعوة هذا النبي الحكيم في بداية أمره، ووقفوا له بالمرصاد،وسلكوا جميع الدروب والشِّعب في الكيد منه، والتَّخلُّص من هذا النبي الكريم، الذي أدهش الحكماء والعلماء والفلاسفة، وبحكمته وفلسفته المثالية الرائعة، وأعجب به الغرب والشرق، مما دعا أمثال فيلسوف الألماني نيتشه إلى تأليف كتابه أسماه «هكذا تكلَّم زرادشت» - زارا- ومن أمثال فيثاغورث، فهؤلاء لم يواروا دهشتهم وإعجابهم بهذا الرجل العظيم.

بُعث زرادشت إلى صناديد الكفر والشرك في ذاك الوقت تماماً كشأن «محمد بن عبدالله» خاتم الأنبياء والمرسلين عندما بُعث في مكة، ولاقى من الظلم والاضطهاد والمعارضة الصلبة من صناديد المشركين وطغاتهم. أنكر زرادشت عليهم عباداتهم للجماد والحيوان، وأنكر خرافاتهم، وحارب ظلمهم واضطهادهم للضعفاء والمساكين، ودعاهم إلى عبادة الواحد

القهار، هذا في وقت كانت البشرية تعجُّ وتعوم في بحر من الخرافات وعبادة الماديات والحيوانات، أنكر عليهم زرادشت هذه الأشياء بقدر ما استطاع إليه سبيلاً، بل أرشدهم ودلَّهم أن الجمادات والحيوانات ما هي إلا مخلوقات مسخَّرة للبشر، فلم هم يسخِّرون أنفسهم لهذه الأشياء، التي هي في الأصل مخلوقة لخدمتهم؟!

حاولوا مراراً وتكراراً قتل هذا النبي المبجّل، ونفيه، وطرده، لكنْ؛ نحن نريد، والله يفعل ما يريد وما يشاء، فدائماً كانت عناية الله وتوفيقه تنقذ زرادشت من براثن هؤلاء الطغاة. ورغم هذا القهر والإذلال هل تخلى زرادشت عن دعوته؟ وهل لان من صلابته وتحدِّيه شيء لهؤلاء الطغاة؟ لا، بل كلما ازدادوا ظلماً وضيماً على زرادشت، كان يزداد زرادشت إيماناً وثباتاً وقوة على الحق والإيمان، نعم، كان يزداد تمسُّكاً بنهج وتعاليم «أهورامزدا» قائلاً بلا وجل وخوف:

يا أهورامزدا لا شيء يستحقُّ العبادة إلا أنت

يا أهورامزدا لا شيء يستحقُّ التضحية والفداء إلا أنت

يا أهورامزدا لا شيء يستحقُّ الاحترام والتبجيل والتكبير والتسبيح إلا أنت

يا أهورامزدا لا شيء يستحقُّ الخضوع والطاعة إلا ذاتك «المقدسة»

فكُنْ معي، ولا تتركني وحيداً بين أنياب ومخالب الذين يستكبرون في الأرض علواً وفساداً.

يا أهورامزدا كل الصعاب تهون في سبيلك، أيها الرب الحكيم،

وكل المصائب والشدائد تحلو وتتوق إليها النفس في سبيل رضائك،

وكأن وقتها لسان حال زرادشت يبتهل إلى الله بنفس الدعاء الذي ناجى به رسول الله ربه عندما عاد من الطائف، بعد أن طلب منهم النصر والحماية، لكنهم خذلوا رسول الله، وطردوه من بلادهم، وأرسلوا خلفه غلمانهم يقذفونه بالحجارة، ثم استظلَّ رسول الله ببستانٍ من بساتينهم، وتضرَّع إلى ربه القوي المتين بهذا الدعاء المفعم بالإيمان والثبات، قائلاً:

(اللهمَّ؛ أشكو إليكَ ضعف قوتي وقِلَّة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي، إلى مَنْ تَكِلُني: إلى بعيد يتجهَّمني؟ أم إلى عدوّ مَلَّكْتَهُ أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ، فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبكَ أو يحلَّ عليَّ سخطكَ، لك العتبى، حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).

كان زرادشت يبتهل إلى ربه بهذا الدعاء: يارب، يا «أهورامزدا» إن قومي استضعفوني وكادوا يقتلونني، فامددني بنصر وتوفيق من عندك، أيها الرب الحكيم. بهذه الصلابة وبهذه الروح العالية حتى دخل زرادشت على ملك «كشتاسب»، ودعاه إلى عبادة الله الواحد الأحد، ونبذ الأصنام، ولكن دور الأبالسة منذ أن خلق الله آدم إلى يوم القيامة إنما يتربَّصون بأهل الخير والصلاح، فبرز دورهم على الساحة، فأراد «السَّحَرَة والكَهَنَة» حاشية الملك التغلب على زرادشت بحيلهم، وأرادوا دحر زرادشت من ديوان الملك كي لا يعتنق الملك هذا الدين الجديد، لكن حجة زرادشت الدامغة خرقت الآذان الصم، وفتحت القلوب الغُلف، وأزالت عن العقول الغشاوة، حتى وجد الملك في دعوة زرادشت الحكمة والمنطق والتقوى والإنسانية، فأسلم على الحال، وآمن بدعوة زرادشت.

خاض زرادشت في غمار نشر دعوته السماوية السامية حتى آمن به شعوب المنطقة قاطبة، ودخل مع الطورانيين حرباً ضروساً أشد فتكاً وضراوة ممَّا لقاه من قومه في أول دعوته، وكان زرادشت يبغي إنقاذ البشرية من العبودية والاستبداد ونشر الوحدانية بين الطورانيين، إلى أن تمكَّن الطورانيون من قتل هذا الناسك المتعبِّد في محرابه – زرادشت – غدراً، بطعنه من الخلف، بينما كان زرادشت ينادي ويناجي ربه في محرابه. إنه شهيد المحراب. ولم تخمد نور هذه الدعوة – أي الدعوة إلى الله – حتى أقبل على الناس نور الإسلام، وبالأخصِّ عندما شَرَعَ مجوسيٌّ وهو (أبو لؤلؤة المجوسي) بالغدر بسيدنا عمر وهو يصلي بالناس إماماً في المحراب، وليدخل سيدنا عمر مع قافلة الشهداء الذين جاهدوا في الله حق جاهده، ولِينال وسام وشرف «الشهيد الثاني» للمحراب بعد زرادشت.

بعد انتقال زرادشت إلى جوار ربه، ترك في قومه كتاباً سماوياً، وأسماه «الآفستا أو الأبستاق». وبعد مضي حِقَبٍ من الزمن شرع أتباع زرادشت المتذبذبون على الحق بتحريف دينه التوحيدي، وأدخلوا فيه أشياء لم يكن يرضى بها زرادشت، لا في حياته، ولا بعد مماته، فبدلاً من عبادة «أهورامزدا» وحده هبّوا لتقديس النار، وشرعوا في بناء معابد للنيران، علاوة على هذا اخترعوا إلهين اثنين، وقالوا إله للخير وإله للشر، وسبب هذا لأن زرادشت كان يقول الدنيا صراع بين الخير والشر، وبين الليل والنهار، وبين الظلمة والنور، وأتباعه من بعده قلبوا الآية عكساً، وأقروا بوجود إلهين.

ولم يمض هذا التحريف طويلاً، حتى أدرك جماعة من عقلاء وحكماء الزرادشتية الصواب، ورأوا ما أدخله أصحاب قلوب الضعيفة في دينهم، فأعلنوا انشقاقهم وبراءتهم من هذه الوثنية الضالة، وأطلقوا على أنفسهم {الزور فانيين} أي الموحِّدين، وكان هدفهم إحياء دين زرادشت بعيداً عن هذا الانحراف والتبديل، وقالوا: لا يوجد في الزرادشتية {إلهين اثنين}، ولكنْ؛ الله واحد أحد، لا شريك ولا ند له، تماماً كما حدث مع (بروتستانت المسيحية) عندما أنكروا على كنيسة الفاتيكان منح المسيحيين صكوك الغفران، والتي تمنحها الفاتيكان للعصاة والمذنبين، كي يدخلوا بها الجنة بعد مماتهم، وهذا ما رفضه وأنكره البروتستانتيون، وعلى رأسهم مؤسِّسهم «مارتن لوثر»، فلم يعترفوا بهذه الصكوك، وخرجوا على كنيسة روما، وقالوا على الإنسان أن يتَّجه إلى خالقه إذا ما ارتكب معصية ليغفر الله له ذنوبه وسيئاته، فالذنوب والآثام لا تُمحى بهذه الصكوك.

أما في جانب اليزيدية؛ فنلاحظ أنها الطائفة الوحيدة التي ليس فيها ذِكْر لنبي أو رسول لديهم، حتى تسنى لنا القول بأن مصدر شرعتهم ومناهجهم من الله سبحانه وتعالى، لكن بعض اليزيديين يردُّون على هذا، ويتشبَّثون بالقول: بأن نبيهم هو إبراهيم عليه السلام، وإنهم على دين إبراهيم الخليل.

لكنْ؛ لا ننسى أن دعوة سيدنا إبراهيم كانت لله وحده، والله تعالى يثني على إبراهيم عليه السلام في كتابه العزيز: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1].

وقال أيضاً:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [2]؛ أي كان يعبد الله مخلصاً وموحِّداً، لا يميل عن دين الإسلام. وكان يحارب الشرك والوثنية البغيضة، ألا يعلمون أن ما يقدِّسونه من أشياء، ما كانت، ولم تكن في قاموس سيدنا إبراهيم عليه السلام «فمتى قدّس إبراهيمُ الخليل «ملكَ طاووس»؟! ومتى أراد القرب والرضاء الشيطان؟! أَ ليس هذا ما يفعلونه هم؟!

ليتيقَّنوا أن سيدنا إبراهيم حارب الشيطان «ملك طاووس» بكلِّ ما أُوتي من قوة، فإذا كان إبراهيم هو نبيهم، فلمَ يخالفون سُنَّة نبيهم؟! ولمَ لا يقتدون به؟! أَ ليس إبراهيم هو الرافع لقواعد البيت الحرام – مكة مكرمة –؟! أَ ليس هو وآل بيته بنوا الكعبة، ورسَّخوا أركان الحجِّ من {الزمزم والصفا والمروة ورجم الشيطان والطواف حول البيت} ؟! أَ ليست كل هذه الشعائر سُنَّة سيدنا إبراهيم؟ فلمَ تخلوا – هم – عن نبيهم، وارتدوا على أعقابهم؟ ولم لا يحجُّون إلى مكة المكرمة؟ ولم لا يذهبون إلى زيارة مقام نبيهم إبراهيم في الحج؟ ولم اصطنعوا لأنفسهم زمزماً وحجاً وعرفة، وجلها مكوَّن من أضرحة مشايخهم كضريح الشيخ عدي بن مسافر وغيره؟ ولما يحجُّون إلى هذه الأضرحة بدلاً من الحج الذي وضعه لهم نبيهم؟ هل يزعمون أن هذه الأضرحة ستنقذهم إلى بر الآمان، وأنها ستنجيهم من العذاب؟ فلينج أصحاب الأضرحة أنفسهم أولاً، ثم ليفكِّروا في غيرهم.

لمصلحة مَن تخلوا عن نبيهم إبراهيم؟ لم لا يسعون بضراوة لإحياء نهجه القويم، الذي يزعمون فيه أنه نبيهم؟ أم أنه مجرد قولٍ، ولا يلقون إليه بالاً؟

---

(1) سورة آل عمران، الآية 67.

(2) سورة النحل، الآية 120.

أيها اليزيديون:

ألا تدركون أنكم تخالفون العالم بأسره، سواء في جملة تحريمكم للأشياء، أو في تقديسكم للشيطان - ملك طاووس -، اسألوا أنفسكم، ومشايخكم أيّ أمَّة حرَّمت على نفسها حَلْق الشوارب؟ وأيّ أمَّة حرَّمت على نفسها أكل السمك والخس واللوبياء والملفوف والقرع؟ راجعوا التاريخ، وتدبَّروا فيه بتمعُّن، منذ مهد البشرية، من أولها إلى يومكم الراهن، سوف لن تجدوا أمَّة حرَّمت هذه الأشياء على نفسها، ولم تكن محرَّمة على أحد إلا عليكم؛ لأن هذه الأشياء من الطيبات التي جعلها الله للبشر، والسبب هو أنتم، فقد حرَّمتم على أنفسكم، وليس بارئكم هو الذي حرَّم عليكم.

إذا كنتم تريدون النجاة، فالنجاة غير مأمولة في عبادة وتقديس ملك طاووس، وكذلك ليس في تلك السناجق التي يجول ويصول بها القوَّالون والكواجك في قراكم وضيعكم، بل الهدف من تجوالهم وخروجهم بهذه السناجق عليكم هو جمع النذور والأموال والتبرُّعات وقدر أكبر من العطايا، تلك التي أنتم تأخذونها من أفواه أطفالكم، وتأخذون نصيباً من أرزاق أولادكم، لتمنحوا وتُعطوا لهؤلاء المتجوِّلين بالسناجق.

أسألكم ما الفرق بين الذين كانوا يعبدون الأصنام والحجارة وكانوا يقدّمون لها النذور والهبات وما تقدّمونه أنتم للسناجق ومللك طاووس؟ الفاجعة أنكم كلما منحتم لهم العطايا فأصحاب السناجق يطلبون - دائماً - المزيد من العطايا من هؤلاء المساكين والفقراء، ألا تدركون أن هؤلاء الفقراء بالكاد يستطيعون تأمين قُوْتهم اليومي؟! وأن الفاقة والفقر بَصَمَا وعلَّما خطوطاً عريضةً في جباهكم، وكأن شبَّانكم قد وصلوا إلى أراذل العمر، لما يعانون ويرزخون تحت وطأة الفقر ووبد العيش.

عودوا إلى رشدكم، واتجهوا إلى الواحد القهَّار، الحي الذي لا يموت، الذي يأخذ ويعطي ويهب لمن يشاء ذكوراً وإناثاً، ويجعل مَن يشاء عقيماً، وأخيراً - وليس آخراً - اقرؤوا، وتدبَّروا في التاريخ، هل تجدون أمة بين الأمم حرَّمت القراءة والكتابة على نفسها؟! أَلم تسألوا رؤساءكم وأمراءكم ومشايخكم لمَ حرَّموا عليكم القراءة والكتابة، بينما هذان الأمران حلالان

عليهم وعلى أولادهم؟! ففي الوقت الذي كانوا يرسلون أولادهم إلى أحسن المدارس والجامعات كان حراماً ومحرَّماً على فقرائكم ومساكينكم التعليم. اسألوا لماذا يفرضون عليكم جملة من المحرَّمات غير المبررة، ومنها الأمية؟! لا شك أن الجواب هو كي تبقوا في دوامة من الجهل والتخلُّف، ولتقوموا على خدمة الأمراء والمشايخ فحسب!.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [1].

(1) سورة ق، الآية 37.